336

HARLEQUIN

روايات أحلام

ليل الغرباء

كارول مورتيمر

www.elromancia.com
مرمورية

ليل الغرباء

هل يصبح الخيال حقيقة!

تناهى إلى مسمعي فيرغوس صوت أنثوي عذب من مكان ما قرب باب غرفة نومه:

- لقد جلبت لك فنجان قهوة.

عبس وأبقى عينيه مطبقتين. فلا يمكن أن يكون مستيقظاً.. في غرفته امرأة!

قال الصوت الأنثوي:

- هيا أيها الكسول.. اجلس واشرب قهوتك!

فتح عينيه ببطء... ثم أدار رأسه بحذر، خائفاً بعض الشيء مما قد يراه!

لا يتذكر فيرغوس شيئاً مما حدث الليلة الماضية.. كل ما يعيه أنه وقع في شباك امرأة لديها هدف... وهي على استعداد لاستعمال كافة الوسائل لتحقيق هذا الهدف!

كارول مورتيمر

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال، فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: ماثيو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً أسمه بيتر، ونحن صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة تماماً».

كارول

١ ـ زائرة غامضة

ـ أراك تحتفل بمفردك! ألا تود أن يشاركك أحد؟

لم يكلف فيرغوس نفسه عناء الالتفات نحو مصدر الصوت بل استمر بالنظر إلى كوب العصير أمامه. فكل ما كان ينشده هو الجلوس باسترخاء في تلك الزاوية من المقهى، بعيداً عن صخب الموسيقى وجلبة الناس الذين يستمتعون بوقتهم من حوله.

يا لهذا السؤال السخيف! هل يبدو عليه أنه يحتفل؟

ـ ألم يخبرك أحد من قبل أن على المرء أن يبحث عمن يشاركه الاحتفال؟

فكر فيرغوس في سرّه: تباً! لا تزال هذه المرأة هنا. ألا تدرك أنني أنشد البقاء بمفردي؟ على الأقل هذا ما كنت أنويه.

ـ أود الانضمام إليك، فهل تمانع؟

بالطبع، إنه يمانع. لكن إصرار المرأة جعله، على الأقل، يلتفت نحوها وهو يحاول لجم غضبه الذي راح يتزايد ليشكل ضغطاً داخل رأسه.

يا إلهي..! هذه المرأة تبدو رائعة الجمال حقاً؛ طولها لا يتجاوز الخمسة أقدام وهي ترتدي فستاناً قصيراً أسود اللون يظهر رشاقة جسمها ونحافة خصرها. وقد انسدل شعرها الداكن كالليل كوشاح حريري فوق كتفيها. أما وجهها فبدا ذا جمال سماوي ساحر، وبدت عيناها الزرقاوان رائعتين تحيط بهما رموش سوداء كثيفة.. عينان لم يرَ فيرغوس لهما مثيلاً من قبل.

إنها جميلة حقاً! وفكر فيرغوس في أن تلك المرأة تحاول إغواءه، وهو لا ينوي التورط مع أي امرأة في الوقت الحاضر.. ولا حتى في ما بعد!

www.elromancia.com

استند إلى الوراء في مقعده وراح ينظر إليها بغطرسة متعمدة. أخذ يراقبها من رأسها حتى أخمص قدميها، متأملاً وجهها الطفولي القسمات، ثم عبس قائلاً: «هل أنت واثقة من أن سنك يسمح لك بارتياد المقاهي؟».

ضحكت المرأة بصوت مرتفع فظهرت أسنانها الصغيرة البيضاء، وقالت بصوت حاد: «أؤكد لك أنني بلغت سن الرشد منذ زمن».

لم يدرك فيرغوس لما راح يتحدث إليها. وهي.. ألم تدرك أنه يرغب في البقاء وحيداً، وأن أي شخص لديه حسن الإدراك لن يقترب منه ليجبره على التحدث إليه؟

أشارت المرأة إلى المقعد المقابل له وسألته مجدداً: «أود الانضمام إليك، فهل تمانع؟».

نعم.. إنه يمانع. هل هي متلبدة الإحساس كي لا تلاحظ أنه لا يود التحدث إليها؟ أدرك فيرغوس، بخيبة أمل، أنها لم تلاحظ ذلك في الواقع. فهي لم تنتظر جوابه بل جلست قبالته بهدوء.

ـ إسمعي، آنسة..

أكملت المرأة بنعومة وهي تنظر إليه مباشرة: «كلويه».

ثم وضعت مرفقيها على الطاولة وشبكت يديها مسندة بهما ذقنها، وراحت تحدّق إليه بعينيها الواسعتين.

تنهّد فيرغوس وكرّر وراءها والقنوط بادٍ في عينيه: «كلويه، لا أقصد أن أكون فظاً..».

ـ لا تكن كذلك إذاً!

فكّر فيرغوس في أن عليه أن يتصرف حقاً بفظاظة إذا أراد أن تتركه وشأنه. فتنهد قائلاً: «لم يكن نهاري جيداً، كلويه..»

فتمتمت قائلة: «إذاً، قد يتغيّر حظك الآن».

لكنه لم يكن يريد تغيير حظه!

لم يكن متحمساً لحضور حفل الزفاف اليوم. إنه حفل الزفاف الثاني الذي يحضره هذا الشهر. أما الأول فكان زفاف خالته ميغ من الشيف دانييل سيمون وهو

صاحب مطعم. واليوم تزوج لوغان ابن خالته، من دارسي سيمون، وكان هذا الحدث الأسوأ. ومع أن دارسي فتاة طيبة، وهي ولوغان مغرمان ببعضهما البعض كثيراً، إلا أن فيرغوس لم يكن يدرك أن هذا الزواج سيؤثر فيه بهذا الشكل.

فمنذ طفولتهم، كان فيرغوس ولوغان وبرايس، وهم أبناء خالات، مقربين جداً من بعضهم البعض، إذ نشأوا معاً في اسكتلندا ثم انتقلوا معاً إلى جامعة أوكسفورد.

ورغم أنهم عاشوا متباعدين إلى حدٍ ما في السنوات الأربع عشرة الماضية، إلا أنهم كانوا يلتقون معاً في أحيان كثيرة ليستمتعوا بعزوبيتهم! ولطالما عُرفوا باسم «المراوغين الثلاثة». أما الآن، فلم يبق سوى هو وبرايس، ولقب «المراوغين الإثنين» لا يمكن أن يكون له الوقع نفسه على الإطلاق.

التوى فمه وقال بسخرية: «لا أعتقد أن حظي سيتغير، كلويه. شكراً لك ولكن..».

اقترحت المرأة ببرودة: «ما رأيك بأن نرقص؟».

لم يكن واثقاً من قدرته على الوقوف، فكيف بالرقص؟ لقد تناول لتوه حبة منوّم، وكان يعتزم مغادرة المقهى إلى منزله ليغط في سبات عميق علّه ينسى متاعب يومه هذا. بعد انتهاء حفل الزفاف لم يشعر فيرغوس برغبة في العودة إلى منزله وحيداً، لذا طلب من سائق سيارة الأجرة التي أقلته أن يوصله إلى هذا المكان.

أراد أن يشرب كوباً من العصير ليتناول بعدئذ حبة من ذلك الدواء المنوّم الذي اشتراه وهو في طريقه إلى هنا. والآن بات عليه المغادرة بأسرع ما يمكنه قبل أن يداهمه النعاس وهو خارج المنزل. تنهد قائلاً: «في الواقع، كلويه، أريد أن..»

ـ لا أريد سوى كوب من المياه المعدنية.

نظر إليها بغضب متسائلاً لماذا لا تسمح له بإكمال جملته حين يكلمها! وسرعان ما ابتسمت له المرأة وإذا بتعابير وجهه تغدو أقل قسوة. فما ذنب هذه المرأة إذا كان مزاجه سيئاً؟ لكن آخر ما يريده الآن هو التقرب من امرأة لم يرها قط من قبل في حياته. وإذا بها تتابع قائلة بلهجة مازحة: «إنه مجرد كوب ماء لا أكثر».

لا بأس بذلك! فهو أيضاً يمكنه شرب كوب من الماء. حسناً.. كوب واحد

من الماء ثم يغادر بأقصى سرعته . . هذا ما وعد نفسه به .

التفت فيرغوس وأشار إلى النادل كي يحضر لهما زجاجة مياه معدنية مع كوبين فارغين . وما إن أحضر النادل طلبهما حتى أخذ فيرغوس يسكب الماء لكليهما بنفسه، أو هذا، على الأقل، ما كان ينوي القيام به . كان قد ملأ كوب كلويه وراح يملأ كوبه، حين لم تعد يده تسعفه وكأنه فقد تركيزه في اللحظة الأخيرة . فارتطمت يده بالكوب وتدفق الماء على الطاولة .

ماذا دهاه بحق الله! هل هو تأثير حبة المنوم؟

ظهر التعاطف على وجه كلويه وراحت تمسح الماء بواسطة المناديل الورقية، ثم قالت: «لِمَ يبدو عليك الاستياء؟» .

أجابها فيرغوس بحزن قبل أن يحتسي كوبه جرعة واحدة: «بسبب الأصدقاء الذين ابتعدوا عنّا» .

مع أن لوغان سيبقى صديقه وابن خالته دائماً، لكن فيرغوس يعرف أن الأمور بينهما لن تبقى على حالها . إذ بدءاً من هذا اليوم سيتشارك لوغان حياته مع زوجته .

لقد عاش أبناء الخالات الثلاث حتى الآن، كالأخوة تماماً؛ فلطالما وقفوا إلى جانب بعضهم البعض وتبادلوا الدعم والمساندة في الأوقات العصيبة .

والآن سيحتاج فيرغوس لبعض الوقت قبل أن يعتاد على فكرة أن دارسي أصبحت رفيقة روح لوغان وأقرب منه إليه .

نظرت كلويه إليه وقالت ممازحة: «يقال إن الأصدقاء كالماء الذي يروي الظمأ» .

هزّ فيرغوس رأسه بتهذيب: «هذا صحيح تماماً . لقد حاولت تحذيرك بأن رفقتي غير ممتعة» .

لم يبدُ عليها الانزعاج مطلقاً، لكنها قالت تشجعه بلطف: «هل تود التكلم عن الموضوع الذي يزعجك؟» .

شكراً جزيلاً! بالطبع، ليس لامرأة لا يعرفها ولا يرغب حتى بالتعرف إليها .

أمالت كلويه رأسها قليلاً وهي تنظر إليه فيما راح شعرها يلتمع بلون أزرق

داكن بسبب الإنارة القوية في المقهى . وأخيراً أدركت من هو هذا الرجل، فقالت: «أنت فيرغوس ماكلاود، أليس كذلك؟» .

ظهر التصلب على وجه فيرغوس وردّ بحذر: «نعم، هذا صحيح» .

ألهذا السبب بدت مصرة على التحدث إليه؟ إن كان الأمر كذلك فهي تضيع وقتها، لأنه ليس مستعداً للنقاشات الفكرية مطلقاً .

ـ بالطبع، هذا أنت .

ثم أضافت بلهجة حميمة: «لقد قرأت العديد من كتبك، ورأيت صورك على غلافاتها . أنت بارع جداً» .

أجاب بدون اهتمام: «شكراً لك» .

ضحكت كلويه وقد لاحظت عدم اهتمامه: «لكنك لست متأثراً بكلامي على الإطلاق» .

قال فيرغوس بتبلد واضح: «أنت محقة . لقد قرأت هذه الكتب أيضاً . إنها عبارة عن روايات تقليدية؛ القليل من الغرابة، لمسة عنف مع الكثير من مشاهد الإغراء» .

ـ لقد نشرت ستة كتب في السنوات الست الماضية، وقد احتلت المرتبة الأولى في لائحة المبيعات .

ثم تابعت تصحح له كلامه بنعومة: «لا يمكن وصفها أبداً بالكتب التقليدية» .

هذه المرة، تأثر فيرغوس بكلامها بعمق . لكن معرفتها الكثير عنه جعلته يقتنع بأنها تنتمي إلى إحدى المجموعات الفكرية، أو . . ربما أسوأ من ذلك .

هزّ كتفيه بلا مبالاة: «هذا يؤكد أن لا أهمية للرأي العام على الإطلاق» .

ردّت كلويه: «يبدو أنك تشعر بالأسى على نفسك هذا المساء . أليس كذلك؟» .

نعم، إنه يشعر بذلك فعلاً! لِمَ لا تدعه وشأنه إذاً، ليتخبط في حالته بمفرده؟

فكّرت كلويه في أن التعرف إلى هذا الرجل سيكون مهمة صعبة أكثر مما تصورت . لقد أمضت أسابيع طويلة وهي تبحث بيأس عن وسيلة تسمح لها

بلقائه «صدفة»، حتى ظنّت في النهاية أن الأمر مستحيل.

بما أنه كاتب ناجح، فمن البديهي أن يترك فيرغوس المحاماة، لذا لم يعد لديه مكتب محاماة. كانت حياته الإجتماعية مشتّتة، والمكان الوحيد الذي استطاعت التأكد من وجوده فيه هو حفل زفاف لوغان اليوم. ففيرغوس هو إشين العريس! لكن كلويه لا تعرف أياً من العروسين لذا لم تتمكن من حضور ذلك الزفاف لرؤيته. شعورها بالإحباط بسبب هذا الوضع جعلها تقبل دعوة مجموعة من الأصدقاء لتناول العشاء ثم الذهاب إلى هذا المقهى. ولم تصدّق عينيها وهي تخرج من المقهى مع أصدقائها بقصد الذهاب إلى مكان آخر، حين رأت فيرغوس يدخل إلى هناك من دون رفيق.

شعرت كلويه بالاضطراب، ولم تعرف ما عليها فعله. أخيراً ستتاح لها الفرصة للتحدث إليه. إلا أنها لم تعرف من أين تبدأ.. وفي النهاية أجبرت نفسها على التحلي بالهدوء لتفكر بروية.

الجواب واضح! لفقت بعض الأعذار لتقنع أصدقاءها بأنها تود العودة إلى المنزل.. لكنها وبدلاً من العودة إلى منزلها عادت إلى المقهى لتلحق بفيرغوس. وقفت على مسافة منه تراقبه وهي تفكر بالخطوة التالية التي ستقوم بها.

بدا واضحاً أنه يجلس بمفرده لكنها لم تكن واثقة من أنه لا ينتظر أحداً، امرأة مثلاً. وبعد فترة طويلة من المراقبة، كان فيرغوس قد أنهى شرب كوبين من العصير ثم شرب جرعة ماء بعد أن تناول حبة دواء. هل يؤلمه رأسه بعد يومه الشاق ذاك؟

بعد مضي ذلك الوقت الطويل، تأكدت كلويه من أن لا أحد سينضم إليه. هذا ممتاز! إنها فرصتها الذهبية للتحدث إليه، إلا أنه أوضح لها منذ البداية أنه لا يود التكلم إلى أحد.

حسناً! لن تستسلم الآن.

سألته مجدداً: «كيف كان حفل زفاف قريبك اليوم؟»

لم تكن قد شربت بعد أي رشفة من كوب الماء أمامها، إذ كان طلبها مجرد حجّة لئلا يجبرها على الرحيل. عبس فيرغوس في وجهها، فطغى عبوسه على تعابير وجهه الهادئة ومظهره الرائع. لكن وسامته لم تخف مطلقاً على كلويه، مع

أنها لم تكن قد لاحظت من قبل قوته الجسدية. فهو طويل القامة، قوي البنية وقد بدا في غاية الوسامة في بذلته الرسمية. أما شعره الأسود فطويل إلى حدٍ ما وقد بدا وجهه الأسمر منحوتاً كقطعة خشبية مصقولة بعناية. عيناه البنيتان بلون الشوكولا هما الوحيدتان اللتان كانتا تضفيان اللطف على قسمات وجهه القاسية. فكرت كلويه في أن هذا الرجل بالغ الجاذبية. آه.. لو أنها التقت به في ظروف مختلفة!

تكلم فيرغوس بصعوبة: «تعرفين الكثير عن حياتي الشخصية، وهذا يشعرني بعدم الارتياح».

أدركت كلويه أنها أخطأت حين سألته عن حفل زفاف قريبه. فضحكت بنعومة لتقلل من أهمية الأمر: «لا أظن أن علاقة القربى التي تربطك بلوغان ماكنزي أو حتى حفل زفافه أمران سريان».

قال فيرغوس ببطء: «لا..».

أراد أن يضيف شيئاً ما لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة. أخذت كلويه نفساً عميقاً لتشعر بالهدوء وتستعيد السيطرة على نفسها. في الواقع، إنها ليست بارعة في مثل هذه الأمور. تصرفاتها هذا المساء والطريقة التي تقربت بها من فيرغوس ماكلاود وانضمامها إليه بهذا الشكل لم تكن مطلقاً جزءاً من شخصيتها الحقيقية.

لو أن أحداً من أصدقائها أو من أفراد أسرتها رآها أو سمعها لأصيب بصدمة قوية حتماً. لكنها فقدت السيطرة على نفسها حين رأت فيرغوس يصل إلى المقهى فجأة، لذا تصرفت بسرعة بهدف الإنضمام إليه. فهو لم يكن في مزاج يسمح له بالتقرب منها.

أكملت تقول ممازحة: «هذا الزفاف هو أهم حدث اجتماعي لهذا الشهر، فيرغوس».

كشر اشمئزازاً وقال: «حسناً، رداً على سؤالك، كان على ما يرام».

ثم أضاف مستدركاً: «أو بالأحرى، تم بأفضل ما يمكن للزفاف الناجح أن يكون».

رفعت حاجبيها الداكنين وقالت: «أنت لا تحب حفلات الزفاف، أليس كذلك؟».

عبس في وجهها مرة أخرى وقد بدأ الشك يساوره وقال: «أنت لست صحفية، أليس كذلك؟ أم أنني سأرى على صفحات الجرائد الأولى في صباح الغد حديثاً نقل عني وأنا في هذه الحالة من الإرهاق والنعاس؟».

لم تكن كلويه تحب الصحفيين والمراسلين أكثر منه! لقد سبق أن دمّروا حياتها مرة...

أكدت له قائلة: «لا. كل ما في الأمر أنني مهتمة، وأردت الاطمئنان عليك ليس إلا».

قال فيرغوس بجفاء: «حسناً، سبق وأخبرتك أن الزفاف كان جيداً. والآن، أعذريني، حان الوقت لأطلب سيارة أجرة وأعود إلى منزلي».

ما إن أنهى جملته حتى أخذ يستعد للوقوف. نظرت كلويه إليه بقلق؛ لا يمكنه الانصراف الآن! لم تتمكن من التحدث إليه بعد، وإن غادر الآن فلن تتاح لها فرصة أخرى للتكلم معه مجدداً. فهذا...

تأوه فيرغوس ماكلاود: «آه، تباً..».

لقد وجد أنه لا يستطيع الوقوف، فجلس في مكانه مجدداً وأغمض عينيه ثم تنفس بعمق وسأل كلويه بحذر وعيناه لا تزالان مغمضتين: «هل يمكنك أن تسدي لي خدمة؟».

سوف تفعل أي شيء مقابل ألاّ يتركها في تلك اللحظة ويذهب. فأجابت كلويه مقطوعة الأنفاس: «ربما.. ماذا تريد مني؟».

أخذ نفساً عميقاً وأجاب وهو ينظر إليها بعينيه البنيتين الدافئتين: «أظنني لن أتمكن من الوقوف بمفردي. في الواقع، لقد تناولت حبة منوم وكان علي مغادرة المقهى قبل الآن!».

سألته: «ماذا تريدني أن أفعل؟».

كشر منزعجاً: «هل يمكنك مساعدتي لأخرج من هنا وأركب سيارة أجرة؟».

بدا واضحاً من كلامه أنه ليس من عادته طلب المساعدة من الآخرين. فكرت كلويه في أن بإمكانها استغلال هذا الموقف لمصلحتها، لكنها ستحتفظ بهذه الفكرة

لنفسها الآن...

- بالطبع.

وقفت بلباقة وعلّقت حقيبة يدها على كتفها ثم اتجهت نحوه وقالت تشجعه: «حاول فقط أن تقف وتستند إليّ».

لاحظ فيرغوس نحول جسدها، فقال والشك واضح في صوته: «لا أظن أن بإمكاني الاستناد إليك فقد يتسبب ذلك بوقوعنا معاً».

كانت كلويه تنتعل حذاء ذا كعبين عاليين إلا أن فيرغوس بدا أطول منها بكثير كما أن وزنه يوازي ضعف وزنها على الأرجح. لكن كلويه تتمتع بقوة جسدية لا يستهان بها، فقد ساعدته على الوقوف على قدميه ليغادرا المقهى معاً. وبعد أن قطعا مسافة من دون أن يتعثرا قال فيرغوس باشمئزاز: «يا له من موقف محرج».

التفتت كلويه إليه وقالت من دون أن يبدو عليها التعاطف: «لما شعرت بالإحراج لو كنت شيخاً مسناً».

- أشعر الآن وكأن عمري مئة عام!

في الواقع، لم يبدُ عليه ذلك بل بدا مظهره صبيانياً لا يدل إطلاقاً على سنوات عمره الخمس والثلاثين. فقد انسدل شعره الحريري الداكن على جبهته وعلت وجهه علامات الدهشة لعدم قدرته على الحفاظ على توازنه.

لم تكلف كلويه نفسها عناء استدعاء سيارة أجرة، بل أرشدته إلى سيارة رياضية خضراء اللون مركونة في موقف السيارات المجاور.

ما إن اقتربا من السيارة حتى ضغطت على زر في تعليقة مفاتيحها لفتح الأبواب آلياً، ثم فتحت باب المقعد المجاور للسائق وساعدته على الجلوس.

- هذه ليست سيارة أجرة.

أدرك فيرغوس ذلك أخيراً وهو ينظر حوله وقد أصيب بدوار. يبدو أن الهواء النقي لم يساعده أبداً على استعادة توازنه وتركيزه. بعد أن جلست كلويه خلف المقود وبدأت بتشغيل المحرك أجابت: «لا، هذه سيارتي».

أراد فيرغوس أن يحتج على الوضع، لكن وبعد أن فكر قليلاً في الموضوع أسند رأسه بضعف إلى الوراء واسترخى في المقعد الجلدي، ثم أغمض عينيه قائلاً: «هل

أحتاج إلى إطلاعك على عنوان منزلي أم أنك تعرفينه أيضاً؟».

استدارت كلويه إليه ونظرت إليه بحدة؛ هل بدا أنها تعرف الكثير عنه؟ حين تأخرت في الإجابة فتح فيرغوس عيناً واحدة وقال بنفاد صبر: «حسناً؟».

أحنت رأسها قليلاً وأجابت بصوت أجش: «أعرف هذا أيضاً».

أخرجت السيارة من موقف السيارات، وتوجهت إلى الشارع حيث الزحمة. وإذا بفيرغوس يتمتم: «ذكّريني أن أسألك لاحقاً عن مصدر معلوماتك. لدي شعور بأنني لن أتذكر الكثير عن هذه الأمسية حين أستيقظ غداً صباحاً».

أملت كلويه بصدق ألاّ يحدث ذلك أبداً...

***

٢ ـ مهما كان الثمن!

استيقظ فيرغوس عند الصباح ببطء لكنه لم يستعد تركيزه إلاّ بعد لحظات. أدار رأسه يميناً ويساراً ليشعر ببعض الحيوية، فأدرك أنه يستلقي في سريره في غرفة نومه الخاصة. شعر بثقل كبير في رأسه. كيف وصل إلى هنا؟ تباً! ليته يتذكر.

حدّق إلى الساعة الموضوعة قرب السرير وإذا بها تشير إلى التاسعة والنصف. استلقى مرة أخرى على الوسادة وأغمض عينيه مجدداً. أي يوم هو هذا اليوم؟ بالأمس كان حفل زفاف لوغان ودارسي. إذاً، فاليوم هو يوم الأحد. لا ضرورة إذاً للنهوض باكراً، فليس لديه ما يقوم به أو مكان يقصده أو شخص يلتقيه، كما أن الخادمة مود لا تأتي أيام الآحاد.

يمضي فيرغوس نهار الأحد في العمل عادة. وعندما يشعر بالجوع يتناول السندويشات. لذا لا حاجة لوجود مود يوم الأحد. لمَ يشتم رائحة القهوة إذاً؟ هل يشعر بالهلوسة بسبب الدواء المنوم الذي تناوله، أم لأن القهوة هي أكثر ما يرغب بتناوله الآن؟

لكن.. لا! لا شك في ذلك. إنه يشتمّ فعلاً رائحة القهوة، رائحة قوية منعشة. ما الأمر إذاً؟.

وفجأة سمع فيرغوس صوتاً أنثوياً حاداً من مكان ما قرب باب غرفة النوم: «هيا! هيا استيقظ فيرغوس! لقد أحضرت لك فنجان قهوة».

لم يتحرك فيرغوس، بل عبس وهو لا يزال مغمض العينين وقد أدرك أن رائحة القهوة قد أصبحت أقوى الآن. لكنه لم يصدق ما تسمعه أذناه. لا يمكن أن يكون الأمر حقيقياً.. هل هناك حقاً امرأة في غرفته؟ وجود امرأة في غرفته ليس

www.elromancia.com

بالأمر المستغرب، فلطالما أمضى ساعات مثيرة برفقة النساء. لكن ليس الليلة الماضية على الأقل. تابع صوت المرأة بمرح: «هيا، أيها الكسول. اجلس لتناول قهوتك».

فتح فيرغوس عينيه بهدوء، وأدار رأسه خائفاً مما سيراه. وإذا به يرى فتاة ذات عينين زرقاوين وشعر أسود لامع وجسد نحيل. كانت ترتدي قميصاً طويلاً، وقد ظهرت من تحته ساقاها الطويلتان. هل ما يراه حقيقة أم أنه لا يزال غارقاً في عالم الأحلام؟ ما الذي أتى بهذه المرأة إلى غرفته؟ يذكر جلياً أنه غادر حفل الزفاف بمفرده يوم أمس.

وضعت المرأة أحد الفنجانين على الطاولة المجاورة له: «هذه قهوتك، من دون حليب وخالية من السكر».

تماماً كما يحب القهوة. لكن، كيف عرفت ذلك؟ نظر إليها غير مصدّق وهي تجلس على السرير إلى جانبه: «ماذا تفعلين هنا؟».

رفعت كلويه حاجبيها بتعجب وابتسمت له: «هل تمانع إن جلست هنا، وشربت القهوة معك؟ و.. ارتديت قميصك؟ فالجو بارد في المنزل».

وارتعشت قليلاً قبل أن تتناول رشفة من فنجان القهوة.

حدّق فيرغوس إليها، غير واثق مما إذا كان يريدها أن تجلس معه أم لا. كانت هذه المرأة تجول في المنزل باحثة عن الأغراض التي تحتاجها لتحضير القهوة. وهي ترتدي قميصه أيضاً!

لحسن الحظ أن مود في إجازة اليوم. فبالرغم من أن خادمته تعرف طريقته في قضاء حياة العزوبية، إلا أنه لا يرغب في التباهي بهذه الحياة أمامها.

استدار ليأخذ قهوته. ورشف رشفة منها. لكنه في الواقع أراد أن يمنح نفسه بضع لحظات إضافية ليفكّر. إنه لا يذكر كيف التقى هذه المرأة، وكيف أتى برفقتها إلى المنزل. لكن رغم ذلك، فإن الحقيقة التي لا شك فيها هي أن هذه المرأة، بغض النظر عن هويتها، أمضت الليلة هنا. لكنه لا يذكر شيئاً مما حدث.. لا يذكر اسمها حتى.. كيف حدث ذلك بحق السماء؟ كل ما يذكره هو أنه غادر حفل الزفاف ودخل أحد المقاهي، لكنه لا يذكر شيئاً بعد ذلك.

قالت الفتاة بسخرية من خلفه: «شكراً لك كلويه».

شعر فيرغوس ببعض الارتياح؛ كلويه، هذا هو اسمها إذن، لكنه لا يذكر..

بلى إنه يذكر. بدأ يستعيد ذكريات الأمس تدريجياً. أتت هذه المرأة للتحدث إليه في المقهى. جلست بقربه مع أنه لم يشجعها أبداً، وفي النهاية.. رافقته إلى منزله!!

وبدا كأنه فوّت جزءاً مما حدث بعد أن تناول حبة المنوّم تلك. لقد استيقظ هذا الصباح ليجدها في غرفته، لكنه لا يتذكر كيف وصلا معاً إلى هنا.

تنهد قائلاً: «آه، كلويه؟».

ثم التفت بهدوء، وقد استعاد تركيزه، ونظر إليها بعينين فاحصتين، وإذا به يصعق لجمالها الفتان. إنها صغيرة جداً، وقد بدت يداها حول فنجان القهوة كيدي طفل. لاحظ فيرغوس أنها لا تضع خاتم زواج.

حسناً، على الأقل، لم يجد نفسه في هذا المأزق مع امرأة متزوجة! لكن.. لا شك أنه في مأزق كبير.

كيف سيتصرف، بحق الله، مع امرأة أمضى الليل معها وهو لا يذكر عنها شيئاً؟ لا شك أنه غرق في نوم عميق معظم الليل، لكن ما حصل قبل ذلك.. لا شك أن الاعتذار ليس كافياً الآن. بدلاً من ذلك قال بلهجة لا مبالية: «إنها قهوة لذيذة».

تقبلت كلويه كلامه بدفء، ووضعت فنجانها جانباً: «شكراً لك».

ثم تابعت بخجل: «لا يسعني أن أصف لك مقدار سعادتي بلقائك بالأمس فيرغوس».

ـ حقاً؟

مع أنه لم يكن في أفضل حالاته بالأمس، فقد كان يشعر بالإحباط.. والاستياء.. والنعاس.. لكن، تباً! لا يمكنه مناقشتها فهو لا يذكر شيئاً مما حدث بينهما. ولا يمكنه ادعاء العكس. لكنه يشعر بصعوبة في الاعتراف لها بذلك، لأنه سيبدو عديم الإحساس بل سيجعلها تشعر بالإهانة.

أجابها: «أنا سعيد لذلك. آه، هل قمنا...؟».

جعله رنين جرس المنزل يتوقف عن الكلام. لكنه شعر بالسخرية من نفسه!

من الطارق يا ترى؟ اليوم هو الأحد والساعة لا تزال العاشرة إلا ربعاً صباحاً.

ثمة طريقة واحدة لمعرفة الجواب. لكن بالطبع، كلويه الجميلة لن تتمكن من فتح الباب وهي ترتدي قميصه. عليه إذن أن ينهض من السرير وينزل ليفتح الباب. لعله من الأفضل أن يتجاهل ذلك الطارق ويبقى هنا برفقتها.. لكن الجرس عاد يدق مجدداً، وبإصرار أكبر هذه المرة. يبدو أن الشخص الذي يقف أمام الباب لا يفكر مطلقاً بالرحيل الآن.

وقفت كلويه قائلة: «ألن تنزل لكي تفتح الباب؟».

بالطبع عليه أن يفعل ذلك. لكن من الطارق يا ترى؟ ربما.. أمه التي جاءت إلى المدينة لحضور زفاف لوغان، أو ربما.. إحدى النساء اللواتي كان يخرج برفقتهن خلال الفترة الماضية. سيكون من الصعب عليه أن يعرّف كلويه إلى أيّ شخص كان، فهو نفسه لا يعرفها جيداً.

جلس على حافة السرير ووضع قدميه على الأرض، ثم قال لها محذراً: «ابقي هنا!».

دخل إلى الحمام ليبدل ثيابه وعندما خرج منه طمأنها قائلاً: «لن أتأخر».

ثم غادر الغرفة. يا له من موقف محرج! من هي كلويه، ومن أين أتت؟ وكيف سيتصرف حيالها الآن؟.

فتح فيرغوس الباب، فرأى قريبه برايس يقف أمامه وقد بدا وجهه مشرقاً. فتنفس بارتياح: «برايس!».

حياه برايس قائلاً: «فيرغوس، يا لها من سيارة جميلة!».

والتفت إلى السيارة الرياضية الخضراء المركونة أمام المنزل. رفع برايس حاجبيه وسأل بفضول: «هل هي امرأة أعرفها؟».

حدّق فيرغوس إلى السيارة، وكأنه لم يرها من قبل. لكنه استنتج أنها سيارة كلويه. حسناً! هذا يجيب عن بعض التساؤلات التي كانت تراوده منذ الصباح،

حين استيقظ ليجد كلويه في غرفته. إن امرأة تملك هذه السيارة ليست من نوع النساء اللواتي يطلبن أجراً مقابل قضاء ليلة برفقة رجل.

أضاف برايس ممازحاً: «أو.. ربما امرأة أود التعرف إليها؟».

فكّر فيرغوس في أن برايس سوف يصاب بالذهول ما إن يرى جمال كلويه، تماماً كما حصل معه، فلم يشعر بالارتياح مطلقاً لهذه الفكرة. سأل قريبه بسرعة: «ماذا تريد مني برايس؟».

علت الدهشة وجه برايس: «ألا تذكر أننا اتفقنا على لعب الغولف معاً؟ قلت لي إنك لن تعمل اليوم، لذا قمت بحجز الملعب عند الساعة الثانية عشرة ظهراً».

لقد تواعد مع برايس للعب الغولف اليوم! لكن كيف يمكنه الخروج برفقته وكلويه لا تزال في غرفة نومه؟ عليه أن يبقى معها ليكتشف من هي وماذا تريد...

وقفت كلويه خلف فيرغوس تماماً، وحيّت برايس قائلة: «صباح الخير».

أجفل فيرغوس. فقد أمل أن يتخلص من برايس قبل أن يعود إلى غرفة النوم للتحدث إلى كلويه، فيتجنب بذلك حصول لقاء بينهما. لكن حضورها الآن ووقوفها خلفه جعلا الأمر مستحيلاً. أجابها برايس وقد علت وجهه ابتسامة: «صباح الخير لك أيضاً».

تذكر فيرغوس كم تبدو كلويه فاتنة ومثيرة وهي ترتدي قميصه. في الواقع، إن كانت لا تزال ترتديه، فسيبدو جلياً أنها أمضت الليل هنا. صحيح أنه وبرايس مقربان جداً، لكن ذلك لا يعني أنه يرغب بأن يراها ابن خالته في تلك الحالة.

استدار بهدوء متمنياً لو أن تلك اللحظات تمر بسرعة. آه! لا داعي للقلق. لم تكن كلويه ترتدي القميص بل فستاناً قصيراً أسود، وتنتعل في قدميها الصغيرتين حذاءً ذا كعبين عاليين، ما أظهر جمال ساقيها. ولم يعد شعرها مشعثاً بل انسدل على كتفيها كمنديل أسود لامع. لم تكن تضع على وجهها أي مساحيق تجميل إنما اكتفت بلمسة من أحمر الشفاه على شفتيها. ورغم ذلك، لم يساوره أي شك في أنها أجمل فتاة وقع نظره عليها يوماً.

انضمت كلويه إلى الرجلين اللذين يقفان قرب الباب، وهي تسير بخطوات أنيقة. نظرت إلى فيرغوس بترقب وهي تقول: «ألن تعرّفنا ببعضنا البعض،

فيرغوس؟».

يعرّفها على برايس؟ نعم، من الأفضل أن يفعل ذلك. لكنه شعر للحظات بأنه مخطوف الأنفاس بجمالها. أخذ نفساً عميقاً ثم قال بهدوء: «كلويه، هذا ابن خالتي برايس ماكاليستر. برايس، إنها كلويه».

ثم توقف فجأة لينظر إليها بعبوس. ليس لديه أدنى فكرة عن اسم عائلتها! أنقذته كلويه في اللحظة المناسبة، وقد لاحظت ارتباكه، فقالت ضاحكة: «فوكس».

ثم مدّت يدها لمصافحة برايس قائلة بسخرية: «لا تلمه برايس، لقد استيقظ لتوّه».

ثم نقلت نظرها بين الرجلين وقالت: «أعذراني، لكنني سمعتكما تتحدثان عن لعب الغولف. وأنا لدي موعد عند الساعة الواحدة. سيكون علي أن أستحم وأغيّر ملابسي».

وأشارت بسخرية إلى فستان السهرة الذي كانت ترتديه.

شعر فيرغوس بالتوتر وتساءل لمن ضربت موعداً في الواحدة يا ترى؟ لا يمكنها أن تختفي هكذا فجأة! متى سيتمكن من رؤيتها مجدداً؟ هل انتهى كل شيء الآن؟.

وفجأة شعر برغبة قوية في رؤيتها مجدداً، كما شعر بالإحباط لأنه لا يذكر شيئاً عن الأوقات التي أمضياها معاً بالأمس. إنه بحاجة لأن يراها مرة أخرى لكي تتسنى له، على الأقل، فرصة أن يستعيد في ذاكرته أحداث الليلة الماضية.

التفتت كلويه إليه مبتسمة قبل أن تعانقه بسرعة، ثم تمتمت بهدوء: «سأتصل بك لاحقاً، موافق؟».

عناقها السريع هذا جعله يدرك بعض ما حدث بينهما الليلة الماضية. لقد سبق أن عرف فيرغوس العديد من النساء الحسناوات المثيرات، لكنه لم يشعر مرة بمثل هذا التأثير جراء عناق بريء. كلويه فوكس قنبلة موقوتة حقاً!

أجابها بتوتر: «بالطبع سأنتظر اتصالك».

هزت رأسها مخاطبة برايس: «سررت بلقائك برايس».

وسارت بهدوء إلى سيارتها.

راقبها فيرغوس بإعجاب وهي تتمايل بجسدها النحيل، وساقاها المشوقتان تتحركان برشاقة نحو سيارتها الرياضية. عندما صعدت كلويه إلى السيارة لوحت لهما بيدها قبل أن تدير المحرك وتنطلق نحو الطريق العام.

أطلق برايس صفيراً خافتاً ينم عن الإعجاب، ثم قال لفيرغوس: «إنها فائقة الجمال حقاً، فيرغوس!».

وافقه فيرغوس في سرّه، وفكّر في أنها رائعة فعلاً، لكن... ها هي قد خرجت من حياته للتو. شعر بالضيق لهذه الفكرة؛ إنه فيرغوس ماكلاود، الرجل الذي ينهي دائماً علاقاته الغرامية قبل أن تأخذ طابعاً جدياً. أتراه وقع هذه المرّة في شباك هذه المرأة الغريبة؟ لقد فات الأوان الآن. قد لا تتصل به كلويه فوكس أبداً فلعلها لا تملك رقم هاتفه!

تمكنت كلويه من الحفاظ على بسمتها إلى أن وصلت إلى أول منعطف. وما إن تأكدت من ابتعادها عن منزل فيرغوس حتى بدأت ركبتاها ترتجفان ليمتد الارتجاف بعد ذلك إلى يديها، ما جعلها تواجه صعوبة في إبقاء السيارة في المسار الصحيح. أدركت أن عليها التوقف قليلاً بجانب الطريق تفادياً لأي اصطدام. أغمضت عينيها وأسندت رأسها إلى الخلف وقد راح جسدها كله يرتعش.

بالأمس فرضت نفسها على فيرغوس وذلك بهدف واحد هو إيجاد فرصة للتحدث معه، وأوصلته إلى منزله للغاية نفسها. لكن استسلامه بسرعة إلى النوم ما إن أوصلته إلى سريره في غرفته التي تقع في الطابق العلوي من منزله، أفشل خطتها تماماً. أخذت تحدّق إليه لدقائق وقد شعرت بالإرهاق. وأدركت أنها إن غادرت منزله في تلك اللحظات، كما طلب منها أن تفعل، فسوف ينسى كل ما يتعلق بتلك السهرة بل كل ما يتعلق بها. لكنها لم تكن مستعدة للمخاطرة بعد أن تمكنت من الوصول إليه، لذا قررت البقاء في منزله. فأمضت الليل متكورة بانزعاج على الكرسي في غرفته فيما غفا فيرغوس بهدوء وارتياح في سريره الضخم.

حينذاك بدت لها الفكرة جيدة، أما الآن فلم تعد واثقة من ذلك. لقد تمكنت من إثارة فضوله من دون شك، فقد بدت صدمته واضحة حين استيقظ ورآها في

غرفته. كل ما أرادته هو كسب تعاطفه، لكنها شعرت بأن هذا الأمر صعب المنال. ومع وصول قريبه المفاجيء فقدت كلويه أي فرصة للتحدث إليه.

أخيراً توقفت عن الارتجاف، فأخذت نفساً عميقاً وأدارت المحرك من جديد لتكمل طريقها إلى المنزل حيث تسكن مع والديها.

كيف سيكون ردّ فعل فيرغوس إن علم بذلك؟ لا شك أن الدلائل التي رآها ليلة أمس جعلته يظن أنها امرأة متحررة تستطيع الخروج ساعة تشاء. فتلك النظرة المريبة التي تفحص بها يديها ليتأكد من عدم وجود خاتم زواج لم تفتها على الإطلاق. لكنه أخطأ باعتقاده أنها امرأة غير مرتبطة. لحسن حظها أن والديها خرجا منذ الصباح إلى الكنيسة، ولن يكتشفا دخولها خلسة إلى المنزل.

ركنت سيارتها إلى جانب سيارة والدتها. بدا واضحاً أن والديها خرجا بالجيب الخاص بوالدها. تنهدت كلويه وقد شعرت بالارتياح. فلو أن والديها رأياها بفستان السهرة الذي ما زالت ترتديه لاكتشفا فوراً أنها أمضت الليل خارج المنزل. وآخر ما تريده هو مواجهة الأسئلة حول الليلة الماضية وما جرى فيها!

كانت تهمّ بصعود الدرج المؤدي إلى غرفتها، محاذرة أن يراها أحد الخدم، عندما فتح الباب خلفها: «كلويه؟».

إنه دايفيد، زوج أختها والمساعد الشخصي لوالدها.. لا يأس! كانت لتواجه موقفاً أسوأ من هذا!

التفتت إليه مبتسمة؛ إنه نهار الأحد، وهي تعلم أن أختها وأولادها الثلاثة ينتظرونه في منزله، فقالت ممازحة: «أليس لديك منزل خاص بك تقصده؟».

بدا دايفيد طويلاً، نحيل الجسم، وقد بدأ شعره الأشقر يتساقط عند قمة رأسه.

دايفيد لاتام هو مساعد والدها منذ خمسة عشر عاماً، ووجوده في المنزل جعله مقرباً من العائلة. ومنذ إثني عشر عاماً تزوج من شقيقتها الكبرى بيني، ما أفرح قلب والديها المولعين بأحفادهما الثلاثة: بول، وقد سمي كذلك تيمناً بجده، وهو الآن في العاشرة من عمره؛ وديانا، هي في السابعة من عمرها؛ وأخيراً جوش وهو ابن خمس سنوات.

رفع دايفيد بعض الأوراق في وجهها قائلاً: «جئت أعطي والدك هذه الأوراق، فسيحتاج إليها فور عودته من الكنيسة. الأحرى بي أن أسألك إن كنت قد نسيت أن لديك منزلاً تعودين إليه مساء أمس».

وأشار بعينيه إلى فستانها، ثم أضاف قائلاً: «من المؤكد أنك لا تفكرين بالإنضمام إلى والديك وأنت ترتدين هذا الفستان».

أجابته مكشرة: «أنت محق».

ضحك بنعومة: «لا تقلقي كلويه، تعلمين أنني مررت بهذه المرحلة قبلك».

بدا واضحاً أن دايفيد استنتج أنها أمضت سهرة صاخبة فتأخرت في العودة إلى المنزل. من الأفضل أن يعتقد الجميع ذلك. مع العلم أن كلويه تعرف أن أموراً كهذه تثير الأقاويل والشكوك حول مركز والدها السياسي.

ففي هذه الفترة، تصبح المظاهر ذات أهمية كبرى بالنسبة لوالدها، وذلك يشمل صهره ومساعده الشخصي كما يشمل ابنته الصغرى. أجابت كلويه بخفة: «إن لم تخبر والدي عني، فلن أخبره شيئاً عنك. والآن، أظن أنه من الأفضل أن أصعد إلى غرفتي لأستحم وأبدل ملابسي قبل أن يراني أحد سواك».

ابتسم لها دايفيد ابتسامة عريضة: «يبدو أنك لم تأخذي قسطاً وافياً من النوم الليلة الماضية».

إنه على حق! أدركت كلويه ذلك بعد دقائق معدودة حين نظرت إلى صورتها في المرآة في غرفتها. فقد بدا وجهها شاحباً ووجنتاها باهتتين وعيناها محاطتين بهالتين سوداوين. كانت ليلتها طويلة كما تذكر، لأنها أمضت معظم الليل مستيقظة وهي تجلس على كرسي في غرفة فيرغوس ماكلاود، فيما هي تتساءل أي نوع من الرجال هو!

آه، إنها تعلم الكثير عنه. لقد رحل مع والدته ليعيشا في قصر جده في اسكوتلندا، وذلك بعد طلاق والديه. وبعد إنهاء دراسته الجامعية أصبح محامياً، لكنه، ومنذ ست سنوات، تخلى عن مهنة المحاماة ليتفرّغ للكتابة.

لكن، هذا ليس ما أرادت معرفته عنه. فهي تريد أن تعرف إن كان رجلاً رحوماً، طيب القلب، ويؤمن بالعدالة حتى لو كانت قاسية.

. . . هذا ما أرادت معرفته عن فيرغوس ماكلاود قبل أن تطلب منه ما تريد.

لم تخلد كلويه إلى النوم عملاً بنصيحة دايڤد، بل تناولت الغداء لاحقاً مع والديها بعد أن انضم إليهم دايڤد وبيني والأولاد، كما يحصل دائماً أيام الآحاد. ثم أمضت فترة بعد الظهر برفقة والدتها، فقامتا بكتابة ردود على الرسائل والدعوات التي وصلتهم خلال الأسبوع المنصرم. فكانتا ترسلان رداً بالموافقة على الدعوات التي يمكنهم تلبيتها، فوالدها على وشك أن يخوض مضمار السياسة من جديد، والظهور في المناسبات الاجتماعية سوف يساعده كثيراً!

لحسن الحظ، أنهم تناولوا العشاء بمفردهم تلك الليلة، فاستخدموا غرفة الطعام الصغيرة الخاصة بالأسرة وهي أكثر حميمية. أما الغرفة الكبيرة التي تتسع لمجموعة كبيرة من الأشخاص، فيستخدمونها حين يكون لديهم ضيوف على العشاء، وذلك يحدث مرّة في الأسبوع على الأقل.

كان الطعام رائعاً كالمعتاد. لكن ما إن أنهت كلويه طعامها حتى شعرت بآثار الأرق الذي عانت منه الليلة الماضية، فاستأذنت من والديها فيما كانا يشربان قهوتهما. نظر إليها والدها باهتمام وقال: «تبدين شاحبة هذا المساء عزيزتي».

يبلغ والدها الخامسة والخمسين من عمره. وهو وسيم وذو إطلالة مميزة، بشعره الداكن الذي لم يغزه الشيب إلا عند أطرافه، فأضفى عليه لوناً رمادياً وقوراً. فكرت كلويه في أنها تعشق والدها كثيراً وهي مستعدة للقيام بأي شيء من أجله، إذ إنه يملك كافة الصفات الحسنة التي أرادت أن تبحث عنها في فيرغوس ماكلاود.

شعرت بثقل في صدرها ما إن فكرت بذلك الرجل. فذكرى لقائها به هي إحدى الأسباب التي دفعتها للخلود إلى النوم باكراً هذا المساء. فقد راحت تؤجل الاتصال به طيلة النهار، لأنها شعرت ببعض القلق مما تقوم به. من جهة أخرى، أملت أن يزيد ذلك من فضوله بعد أن وعدته بأن تتصل به لاحقاً. أرادت أن تثير اهتمامه لفترة إلى أن تتمكن من التعرف إليه جيداً، وتجد الفرصة الفضلى للتقرب منه.

لقد بدأت بذلك فعلاً هذا الصباح! ربما كان قرارها بأن تقضي الليل في منزله

قراراً ساذجاً، لكنها لم تتصور أبداً أن فيرغوس سيعتقد أنهما تشاركا الفراش سوياً. من نظرة واحدة إليه صباحاً أدركت كلويه ما يفكر فيه بالضبط. أجابت والدها بحزن: «السبب على الأرجح، أنني تأخرت في الخلود إلى النوم ليلة أمس».

شجعتها والدتها بابتسامة دافئة فيما هي تقبلها أيضاً: «إذاً، فالنوم باكراً اليوم هو الحل المناسب، صغيرتي».

في الخمسين من عمرها لا تزال والدة كلويه جميلة، فملامحها رقيقة وشعرها داكن يصل حتى كتفيها، ووجهها نضر خالٍ من التجاعيد. أما يداها فناعمتان تماماً كما لو أنها في سن ابنتها كلويه، وعيناها الزرقاوان دافئتان ومليئتان باللطف، لاسيّما عندما تنظر إلى ابنتها الصغيرة الشابة.

أما أختها بيني فكانت في العاشرة من عمرها حين ولدت كلويه. وكانت هذه الأخيرة بمثابة مفاجأة متأخرة لهم جميعاً، لذا يُشعرها الجميع، ومنذ طفولتها، بأنها كنز العائلة الثمين، تماماً كما تعتبر هي أن عائلتها وسعادة هذه العائلة هما كنزها الثمين.

ابتسمت كلويه لوالديها: «أراكما غداً صباحاً!».

ما إن أدارت ظهرها حتى اختفت ابتسامتها تماماً. لم يعد بإمكانها تأجيل الاتصال بفيرغوس أكثر، رغم رغبتها في ذلك. . !

حين أصبحت في غرفتها أمسكت هاتفها الخلوي وطلبت الرقم قبل أن تغير رأيها. إذا فكرت بالموضوع أكثر، فلن تتمكن من الاتصال به أبداً!

شعرت بانقباض في قلبها حين أخذ الهاتف يرن ويرن. . لم يخطر في بالها أبداً أنه قد لا يكون في المنزل حين تتصل به. . ماذا. . ؟.

وفجأة، سمعت صوته: «فيرغوس ماكلاود».

حاولت كلويه أن تستعيد السيطرة على نفسها وهي ترد بثقة كبيرة، تمنت لو أنها تشعر بها فعلاً في داخلها: «هل قاطعتك عن عمل ما؟».

لن تدعه يشعر بمقدار توترها بسبب هذا الاتصال والتحدث إليه، إذ لن يساعدها ذلك في مهمتها أبداً. ساد صمت قصير بينهما بعد أن تأخر فيرغوس في الرد، ثم سألها: «كلويه؟».

بدا غير واثق من هويتها، وأقل ثقة بنفسه من الليلة الماضية وهذا الصباح. هل نجحت لعبتها؟ لقد أجبرته على انتظارها!.

ـ هل كنت تتوقع شخصاً آخر؟.

ثم أردفت: «أم أنه سؤال سخيف؟».

في النهاية، قد تكون في حياة فيرغوس امرأة أو.. نساء عدة! إن التحريات التي قامت بها في الأسبوعين الماضيين لم تكشف لها تفاصيل عن حياته الشخصية. لكنها لا تعتقد أنه ذهب إلى حفل زفاف قريبه بالأمس برفقة امرأة، وإلا لما قصد المقهى بمفرده.

تشدق فيرغوس قائلاً: «لا، أبداً. كنت أستحم حين رن الهاتف، فخرجت مسرعاً لأرد».

سألته كلويه بنبرة مثيرة: «هل تعني أنني أخرجتك من الحمام؟».

أجاب فيرغوس بجفاء: «نعم، هذا صحيح».

ضحكت ضحكة خافتة: «آه!».

فقال فيرغوس بعدم ارتياح: «لكنني أشعر بالبرد».

أجابته كلويه بسرعة: «عليك أن تقتني هاتفاً خلوياً».

جاء صوته مرتبكاً: «عفواً؟».

شرحت له كلويه بتمهل: «لو كنت تملك هاتفاً خلوياً، لأمكنك إدخاله معك إلى الحمام».

أكد لها فيرغوس بلهجة حاسمة: «لا، ما كنت لأفعل. أكره هذه العادات التافهة، فهي تقتحم خصوصية الشخص».

ثم أكمل بنفور: «إن مجرد التفكير بأن أي شخص يمكنه مقاطعتي عن الاستحمام ساعة يشاء، يشعرني بالانزعاج. أنا لا أتساهل في بعض الأمور».

تذكرت كلويه حمامه الفخم المجاور لغرفة نومه، وتذكرت بصوة خاصة ذلك المغطس المستدير الضخم الذي يكتسح المكان بلونيه العاجي والذهبي. إن ذلك المغطس كبير جداً وكأنه مصنوع خصيصاً ليتشاركه شخصان!

ـ إنها مجرد فكرة، ليس إلا.

ـ هل لي أن أعرف سبب هذا الاتصال؟.

أرادت أن تصرخ في وجهه قائلة: إن تصرفاتك المتسرّعة تهدد بتدمير والدي وعائلتي من جديد. لكنها لم تفعل، بل ذكرته قائلة: «لقد وعدتك بأن أتصل بك».

غمغم فيرغوس: «وهل تنفذين دائماً ما تقولينه؟».

أجابت كلويه: «نعم، فأنا أجد ذلك أفضل».

ثم تابعت: «كيف كان لعب الغولف؟».

قال متحسراً: «لقد هزمني برايس. ماذا فعلت بي ليلة أمس يا امرأة؟ لم تكن لدي القوة حتى لأضرب كرة الغولف!».

لم تفعل به أي شيء! على الأقل ليس ما يعتقده. فبعد أن أوصلته إلى منزله وساعدته في الصعود إلى غرفته، استلقى بمفرده في السرير لينام نوماً عميقاً.

ضحكت كلويه بصوت مبحوح، وردّت من دون تعليق: «مسكين فيرغوس!».

لقد أدركت بالضبط ما هي الاستنتاجات التي توصّل إليها فيرغوس حين وجدها هذا الصباح في منزله، وتحديداً في غرفة نومه. أما هي، فبعد أن شعرت بصدمة مرعبة من تحليله الخاطىء، قررت أن تستفيد من الأمر لصالحها. فهذا الاستنتاج سيجعل فيرغوس غير واثق من الهدف الرئيسي لإصرارها على التعرف إليه. لكنها، لم تكن لتخبره بتلك الكذبة بنفسها أبداً. فلو فعلت ذلك لهبطت إلى مستوى أولئك الأشخاص الذين دمروا حياة والدها المهنية، ودمّروا في طريقهم حياته العائلية.

منذ ثماني سنوات كان والد كلويه عضواً بارزاً في الحكومة. كان مركزه السياسي قوياً ما يؤهله ليكون رئيس الحكومة القادمة. لكن هذا كله تحطّم أمام عينيه حين قامت إحدى مساعداته بالانتحار.

سوزان ستيرلنغ، امرأة في العقد الثالث من العمر، غير متزوجة ولم تقم علاقة طويلة الأمد مع أي رجل. حين أقدمت على الانتحار، تبين أنها كانت حاملاً في شهرها الرابع.

www.elromancia.com

كتبت الصحف الكثير عن هذا الموضوع. وركّزت اهتمامها على معرفة والد طفلها الذي لم يرَ النور، فتوجهت أصابع الاتهام إلى والد كلويه.

تردّدت أصداء الفضيحة لأيام لا بل لأسابيع. ومع أن والدها نفى وجود أي علاقة بينه وبين تلك المرأة، إلا أن ذلك لم يردع الصحافة. طارد ذلك الكابوس أفراد العائلة كلهم أينما ذهبوا، وتحوّلت حياة كلويه المدرسية إلى حياة بائسة. لكن زواج والديها صمد في وجه الأكاذيب كلها، إذا لم تهتز ثقة والدتها بوالدها أبداً. أما كلويه وبيني فلم تشكّا يوماً بصدق والدهما وإخلاصه. إنما، وبعد مرور سنة على تلك الفضيحة، جرت انتخابات جديدة ولم يرغب رئيس الوزراء بأن تسقط حكومته، فطلب من والدها أن يقدم استقالته. وحين أجريت الانتخابات العامة بعد ثمانية أشهر، لم يتمكّن من النجاح، لذا فقد والدها مقعده، بعد أن استغل منافسوه تلك الفضيحة.

ظل والد كلويه بعيداً عن السياسة لثماني سنوات. والآن، حين قرر العودة إلى الحياة السياسية، تلقى تهديداً من مصدر مختلف تماماً. وسواء أكان مصدر التهديد مدركاً لما يفعله أم لا، وسواء أكان مهتماً بما يقوم به أم لا، فمن المؤكد أن مصدر التهديد هو شخص واحد: فيرغوس ماكلاود!.

وإن كان بمقدور كلويه أن تمنعه من تدمير والدها مجدداً فستقوم بما يلزم لذلك ومهما كلف من ثمن!.

***

٣ ـ المستبدة الصغيرة

أخيراً حثّها فيرغوس حين تأخرت في الإجابة عن سؤاله: «كلويه..؟».

لا تحتاج بالطبع إلى هذا الوقت كله لتقرر إن كانت تود قبول دعوته على العشاء أم لا. على أيّ حال، هي من اتصل به. وقد أراد فيرغوس مناقشة بعض الأمور الغريبة بشأنها حين يتناولان العشاء معاً في وقت لاحق من هذا الأسبوع.

بدت كلويه وكأنها تتعافى من دوار أصابها: «عفواً، فيرغوس. ماذا قلت؟».

لعلها متعبة فقط، فليلة الأمس لم تتمكن من النوم جيداً!

ـ سألتك إن كنت تقبلين دعوتي على العشاء مساء يوم الجمعة.

أراد رؤيتها قبل يوم الجمعة ليطرح عليها بعض الأسئلة، إلا أن والدته ستبقى في المدينة لبقية الأسبوع. كما أنه افترض أن كلويه لديها وظيفة، ويوم الجمعة ملائم للخروج بالنسبة إليها.

قبلت كلويه دعوته مبدية حماسها: «أود ذلك بالتأكيد. أين تود أن نذهب؟».

ـ ما رأيك بالذهاب إلى «برناردوز»؟.

«برناردوز» مطعم عصري، يقصده الشبان عادة للقاء أو للتعارف. ورغم أن فيرغوس لم يكن معتاداً على ارتياد مثل هذه الأماكن، إلا أنه فكر بأن كلويه لا تزال شابة صغيرة ولا بد أنها معتادة على زيارة أماكن كهذه. صحيح أن فيرغوس لا يعرف كم يبلغ عمر كلويه، لكنها بدت له في بداية العشرينات. خطر له أنها صغيرة جداً بالنسبة إليه، فسخر من نفسه لأنه لم يهتم بفارق العمر بينهما ليلة الأمس.

www.elromancia.com

بدت تكشيرة كلويه واضحة من خلال نبرة صوتها: «ألا يمكن أن نقصد مكاناً أقل.. استعراضاً؟».

أجاب وقد شعر بالرضى: «كلويه فوكس، لقد زاد تقديري لك الآن».

ثم أضاف: «أنا أكره تلك الأماكن المتكلفة أيضاً!».

فسألته باستغراب: «لِمَ اقترحت هذا المكان إذن؟».

أجاب فيرغوس بصدق: «ظننتك تحبين تلك الأماكن».

فقالت بخفة: «شكراً. لكن لا، شكراً. يمكننا الذهاب إلى مطعم «الشيف سيمون»».

أجاب فيرغوس فوراً، وبنبرة عنيفة: «لا!».

بالرغم من العلاقة الحميمة التي تربط فيرغوس بلوغان وبرايس، إلا أنه أراد إبقاء أفراد الأسرة الآخرين بعيداً عن تفاصيل حياته.

خالته ماغ هي زوجة دانييل سيمون، وبالأمس أصبح لوغان، ابن خالته زوج دارسي ابنة دانييل. آخر ما يريده فيرغوس هو الظهور في المطعم برفقة كلويه ليستعرض حياته الخاصة أمام أنظار أفراد الأسرة كلهم. لم تسأله كلويه عن سبب اعتراضه بل قالت: «حسناً، ما رأيك بالذهاب إلى «اكزاندر» بدلاً منه، إنه..».

إنه يعرف تماماً أين يقع ذلك المطعم الفاخر، فقاطعها: «أنا أعرفه، كلويه».

لم يشعر بالرضى للطريقة التي تحاول فيها تلك الفتاة الصغيرة السيطرة عليه واتخاذ القرارات عنه. فالنساء المستبدات لسن النوع المفضل لديه، ووالدته هي خير دليل على هؤلاء النسوة المدمّرات. لقد تمكن والده من تحملها عشر سنوات قبل أن يتخلى عنها وعنه معاً!

اقترحت كلويه في محاولة لتصحيح موقفها أمامه: «هناك مكان هادىء آخر قد تفضل الذهاب إليه».

لقد تقبل فيرغوس فكرة أنها أروع وأجمل مخلوقة رآها في حياته، وأنهما قد أمضيا الليلة الماضية معاً. لكن ذلك لا يعني أنه يثق بها تماماً. إنها تعرف الكثير عنه، فكيف يمكنه أن يشعر بالثقة بها؟ يمكنه على الأقل أن يحدد الوقت إن لم يتمكن من تحديد المكان!.

أجابها بهدوء: «لا، اكزاندر مطعم جيد. سأحجز طاولة للساعة الثامنة والنصف. هل يناسبك ذلك؟».

وافقت كلويه: «حسناً، أراك يوم الجمعة إذن».

كانت على وشك إقفال الخط حين أوقفها قائلاً بجفاء: «كلويه، يمرّ الرجل عادة بمنزل الفتاة لاصطحابها إلى العشاء».

قالت بقصد إزعاجه: «ظننت أن من الأفضل أن أذهب بسيارتي، فقد تحتاج إلى من يعيدك إلى منزلك».

فقال مدافعاً عن نفسه: «لا أحتاج إلى ذلك في الأوقات العادية».

لم يستطع أن يغض النظر عما قصدته بكلامها عن حالته المزرية ليلة أمس، رغم أنها قالت ما قالته على سبيل المزاح. لكن كلويه حاولت التخفيف عنه مبدية تعاطفها: «لقد أخبرتني أنك كنت متضايقاً بسبب زواج قريبك».

لم يكن فيرغوس واثقاً مما أخبرها أو لم يخبرها به، ومما فعله أو لم يفعله ليلة أمس. لذا، لم يشعر بالارتياح على الإطلاق. فهو، في العادة، سيد نفسه وشديد التحكم بما يحيط به. أجاب بانزعاج: «في الواقع، لا أدري لما قلت ذلك بالأمس، فأنا سعيد جداً من أجل لوغان ودارسي».

بعد التفكير، رأى أنه سعيد فعلاً من أجلهما. فالغضب الذي شعر به في الأمس خمد. على أيّ حال لن يبقى هو وبرايس ولوغان الثلاثي المراوغ إلى الأبد!

ثم تابع بنبرة حاسمة: «كما أنني أفضل أن أمر بك لاصطحابك إلى المطعم نهار الجمعة».

فردت كلويه بشكل قاطع: «وأنا أفضل أن ألقاك في المطعم».

شعر فيرغوس بخيبة أمل بسبب إصرارها على موقفها. لِمَ لا تريده أن يمر بها يوم الجمعة؟ هل لديها ما تخفيه أو ربما.. شخص يخيفها؟ إذا كانت لا تضع خاتم زواج فهذا لا يعني أن ما من علاقة دائمة في حياتها، إذ لا يرغب الجميع بالزواج هذه الأيام. إن كان الأمر كذلك، فلا بد أن شريكها ضعيف الشخصية كي يسمح لها بالمبيت خارج المنزل. لو أن فيرغوس مكانه لما كان متفهماً بهذا الشكل. أجابها بلا مبالاة: «لك ما تريدين. والآن، إذا لم يكن لديك مانع، فسأعود لمتابعة

الاستحمام فقد بدأت أشعر بالبرد».

أثارت هذه المحادثة سخطه، فثمة ما يشعره بالانزعاج في كلويه فوكس، ولا يقتصر الأمر على أنها استبدادية. فبالرغم من قضائه الأمسية برفقتها إلا أنه لا يشعر أنه يعرفها.

حسناً! سوف يتغير الأمر كلياً يوم الجمعة.

على الأقل، هذا ما كان ينويه. لكن كلويه لم تظهر في المطعم في الوقت المحدد. ها أن فيرغوس ينتظرها منذ خمس عشرة دقيقة، وقد بلغت الساعة الآن التاسعة إلا ربعاً وهي لم تأتِ بعد. لذا بدأ يشعر بعدم الارتياح، فهو يجلس إلى طاولة منعزلة مجهزة لشخصين في إحدى زوايا المطعم، وقد بدا واضحاً أنه ينتظر شخصاً ما. حتى أنه بدأ يشعر بنظرات التعاطف التي يرمقه بها الجالسون إلى الطاولات الأخرى. وإن وصلت كلويه الآن فلن يكون في مزاج جيد. فبالإضافة إلى طول انتظاره، لم يتناول طعاماً بعد مع أنه عمل بجهد طيلة اليوم. وهذا ليس بالأمر المستغرب، فهو ينسى دائماً أن يتناول الطعام ما إن يبدأ بالعمل.

في الواقع، وباستثناء الوقت القليل الذي أمضاه برفقة والدته قبل عودتها إلى إسكوتلندا، كان فيرغوس يعمل بجهد طيلة الأسبوع. فهذه طريقته لصرف انتباهه عن انتظار موعد الجمعة.

وبالرغم من محاولاته الكثيرة، لم يتمكن فيرغوس من معرفة أي شيء عن كلويه فوكس. لقد سأل عنها بعضاً من أصدقائه ومعارفه بتحفظ وحذر، فتبين له أن أحداً لم يسمع باسمها من قبل، كما أن البحث المباشر عنها لم يساعده مطلقاً فهو لا يملك أدنى فكرة عن عنوان سكنها. أما دليل الهاتف فمليء بأرقام لأشخاص من عائلة فوكس، ما جعل الأمر محيّراً أكثر فأكثر. هل ظهرت كالسحر، وهي لا تنتمي إلى أي مكان؟ فعدا اتصالها عشية نهار الأحد، لم يظهر لها أثر طيلة الأسبوع. إنه...

بالرغم من اختفائها طوال الأسبوع عادت لتظهر من جديد الآن!.

ومن جديد، تمكنت من خطف أنفاسه ما إن ظهرت أمامه!

لقد بدت كلويه فاتنة تماماً ليلة السبت وصباح الأحد، إلا أنها بدت الآن

مختلفة ومميزة تماماً. وأدرك فيرغوس أنه ليس الوحيد الذي لاحظ جمالها الساحر.

مطعم اكزاندر من أكثر المطاعم فخامة وعراقة، ومعظم زبائنه من المشاهير والأغنياء، لكن حين سارت كلويه فوكس برشاقة في الصالة المليئة بالناس، عمّ السكوت وتوقف الجميع عن تناول الطعام الشهي، ليتمكنوا من تأملها بإعجاب.

بدا فستانها القرمزي بياقته الرسمية في غاية الأناقة، وقد انسدل قماشه الحريري على جسدها وكأنه جزء من بشرتها. كما أظهر ساقيها الطويلتين المشوقتين.

أما شعرها فلم يكن هذه المرة منسدلاً على ظهرها، بل مرفوعاً على شكل كعكة أنيقة عند قمة رأسها. لقد أظهرت أناقتها البسيطة الناعمة جمالها الفتان المميز. بدت بشرتها ناعمة كزهرة الماغنوليا، أما عيناها الزرقاوان، فقد أضفى عليهما الكحل سحراً خاصاً. وقد وضعت على شفتيها أحمر شفاه قرمزي اللون كلون فستانها تماماً، فبدت أجمل امرأة في المطعم من دون منازع.

شعر فيرغوس بنوع من الرضى لأن هذه المرأة الجميلة ستكون رفيقته في هذه السهرة. هبّ واقفاً ما إن اقتربت من الطاولة حيث يجلس، وقال لها فيما هو يسحب لها الكرسي لتجلس: «تبدين جميلة».

تشبعت حواسه على الفور من رائحة العطر الذي تضعه. ومع أن فيرغوس لم يعرف نوع العطر، إلا أنه أدرك أن هذه الرائحة ستذكره دوماً بهذه المرأة الفاتنة.

ـ شكراً لك فيرغوس.

جالت ببصرها حولهما، وقالت ببهجة واضحة: «ألا يبدو هذا المكان رائعاً؟».

لم يتمكن فيرغوس من إبعاد نظره عنها. إنه في الخامسة والثلاثين من عمره وقد عرف العديد من النساء، وأقام علاقات حميمة معهن، إلا أن أياً منهن لم تكن بمثل هذا السحر الذي تتميز به كلويه فوكس.

ابتسمت له كلويه، فظهرت أسنانها الصغيرة البيضاء التي لا يزال يذكرها منذ لقائهما الأول في نهاية الأسبوع المنصرم.

ـ آسفة لأنني تأخرت قليلاً.

لم يستطع منع نفسه من الشعور بشيء من الغضب لأنها لم تقدم له أي تفسير لتأخرها عن الموعد المحدد. فقد مضى عليه حوالى نصف ساعة وهو يجلس بانتظارها، حتى كاد يشعر أنه في غاية الحماقة.

قال بلهجة رسمية: «هل ترغبين بكوب من العصير؟».

ابتسمت بحزن وهزت رأسها نفياً. التفتت إلى النادل لتطلب منه كوباً من المياه المعدنية، ثم استدارت مجدداً نحو فيرغوس وسألته برزانة: «هل أمضيت أسبوعاً جيداً؟».

فجأة، تصاعد غضب فيرغوس؛ إن هذه الطريقة في الكلام سوف تخلق حاجزاً بينهما، وهذا أمر غير مستحب بعد أن أمضيا ليلة السبت مع بعضهما البعض. لكنه أجاب باختصار: «نعم، شكراً».

لقد قام خلال هذا الأسبوع بأبحاث عديدة عن موضوع كتابه الجديد وسيكون مستعداً للبدء بكتابته قريباً.

ـ ماذا عنك؟

هزت كلويه كتفيها: «كنت منشغلة طوال الأسبوع».

ـ بِمَ كنت منشغلة؟.

نظرت إليه بعينيها الزرقاوين والمرح باد خلف رموشها الطويلة: «بأمور كثيرة».

نظرة المرح في عينيها لم تخف على فيرغوس! إن هذه الفتاة الوقحة الصغيرة تعرف تماماً ما يرمي إليه سؤاله، وقد قررت ألا تسهّل عليه مهمته أبداً. أخذ نفساً عميقاً: «كلويه..!».

ضحكت كلويه عالياً، وأمسكت بيده مطولاً وهي تعتذر: «أنا آسفة فيرغوس. ما كان علي أن أضايقك هكذا. أنا مصمّمة أزياء».

وأخيراً عرف شيئاً عنها عدا اسمها! هذا ليس بكثير، لكنها البداية فقط!

سألها باهتمام: «هل صممت هذا الفستان الذي ترتدينه الليلة بنفسك؟».

أجابت وهي تبتسم للنادل الذي جاء يسكب لها الماء: «بالطبع».

بالطبع؟!

هذا يعني أن تصاميمها رائعة. فقد بدا الفستان مذهلاً عليها، ومناسباً تماماً لجسدها النحيل والرقيق. شعر فيرغوس أن الجليد بدأ يذوب بينهما أخيراً، علماً أن لا داعي لوجود هذا الحاجز الجليدي بينهما نظراً للظروف السابقة. فسألها بخفة: «لحساب من تعملين؟».

رشفت كلويه رشفة من كوبها قبل أن تجيب: «لحسابي الخاص. لكن، ماذا عنك أنت، هل أنت..؟».

قاطعها فيرغوس وقد شعر بأنها تحاول تغيير الموضوع: «تقصدين أنك مصممة مستقلة؟».

لم تعلق كلويه كثيراً على الموضوع: «ليس تماماً! هل تنظر إلى قائمة الطعام؟ فأنا أتضور جوعاً».

تباً! لقد غيرت الموضوع مجدداً. لكنه لن يناقشها بشأن الطعام، فهو يتضور جوعاً منذ فترة طويلة ويتوق لتناول أي شيء. لكن إن ظنت كلويه أنه سيتركها تتابع طريقتها الاستبدادية في معاملته فهي مخطئة تماماً.

نظرت كلويه إلى فيرغوس تراقبه خلسة من فوق لائحة الطعام. وأدركت أنه يشعر بغضب شديد لتأخرها في الوصول إلى المطعم، بالرغم من محاولته إخفاء الأمر. لم يفاجئها شعوره أبداً، فقد تأخرت متعمدة، حوالى عشرين دقيقة. أمر واحد تمكنت من معرفته عنه في الأسبوع الماضي، وهو أن الإبتسامة المتكلفة والمتملقة لا تثير اهتمامه لأكثر من دقيقتين. لقد تجنب هذا الرجل العديد من العلاقات، ولم يفكر يوماً بالزواج، خلال السنوات الخمس عشرة الماضية على الأقل. باختصار، إن أي امرأة تتمكن من إثارة إعجابه للخروج برفقتها أكثر من مرتين، هي امرأة مميزة وغير اعتيادية.

عندما رأت كلويه وجهه المتصلب، ولمحت نظرات الغضب في عينيه البنيتين الدافئتين خشيت أن تكون قد تمادت في أفكارها وتصرفاتها تجاهه. آخر ما تريده هو عدم انجذاب فيرغوس إليها، لأنه أعجبها. فهو رجل مثير للاهتمام، ذكي ومسلٍ، ولا يمكن تجاهل صفاته الحميدة. كما أنه يتمتع بصفات صبيانية جذابة ومحببة.

www.elromancia.com

تذكرت كلويه كيف حاول حمايتها حين وصل برايس ورآهما معاً. إنها واثقة من أنها لو تعرفت إلى فيرغوس في ظروف مختلفة لأحبته حباً عميقاً. لكن، عليها ألاّ تفكر في هذا الموضوع في الظروف الحالية.

وضعت كلويه لائحة الطعام على الطاولة، وابتسمت له، فيما نظر فيرغوس إليها بتساؤل.. إنها محقة.. القلق يساوره تجاهها، وهي لم تخطط لحدوث ذلك أبداً. فقالت له بذكاء: «في الواقع فيرغوس. أنا أملك ماركة ثياب خاصة بي وأوزع تصاميمي على دور أزياء متعددة».

فهم فيرغوس ما تعنيه وقال: «إذن، لا بد أنها تصاميم استثنائية».

أكدّت له: «كثيراً».

علّق قائلاً: «ولا شك أنها غالية الثمن أيضاً».

ضحكت بنعومة: «بالطبع».

شعر فيرغوس ببعض الارتياح، فقد أجابت على العديد من تساؤلاته. إنه يدرك الآن كيف تمكنت من شراء سيارة رياضية فخمة، وكيف تشعر بالارتياح وتتصرف بشكل طبيعي في مثل هذا المكان المميز والراقي. لكن كلويه شعرت أن لديه المزيد من الأسئلة التي يود طرحها عليها.

سألها عرضاً وهو يضع قائمة الطعام جانباً ليوجه اهتمامه الكامل إليها: «وما اسم الماركة الخاصة بك؟».

التوت شفتاها وأجابت بمراوغة: «إنها ماركة فوكسي. اسم غريب أليس كذلك؟».

ابتسم فيرغوس ابتسامة حزينة: «ليس تماماً. لكن، هل يعقل أننا لم نلتق من قبل، كلويه فوكس؟ وأنني لم أسمع باسمك من قبل؟».

قبل سنة، لم تكن كلويه تعيش في لندن. فقد كانت في مدرسة داخلية في جنوب انكلترا لسنوات طويلة، قبل أن تدخل الجامعة، ثم انتقلت إلى باريس لتمضي سنة كاملة مع أحد المصممين الكبار هناك. أما في السنة الماضية، فقد انشغلت كثيراً في تحسين مستوى عملها لتظهر كمصممة أزياء متمكنة. بالإضافة إلى ذلك، لم تكن صادقة تماماً حين أخبرته باسمها. هزت كلويه كتفيها وأجابت:

«إنه الحظ السيء، على ما أظن».

ابتسم فيرغوس ابتسامة عريضة وهو يسألها: «حظك أم حظي؟».

أجابته كلويه: «حظنا كلينا، بالطبع. من الفظاظة أن أعني شيئاً آخر».

فكر فيرغوس ثم تمتم قائلاً: «أنت لا ترغبين في أن تكوني فظة. وتحاولين دائماً تنفيذ ما تقولين».

إنه يحاول أن يجمع بياناً مفصلاً عن صفاتها ليعرفها أكثر، لكن تقدّمه بطيء. عندئذ، قالت كلويه: «إذن، عليك أن تعلم أيضاً أنني أفضل تناول الطعام مرتين يومياً على الأقل».

ثم أضافت مؤكدة: «واليوم بالذات تناولت فطوراً سريعاً في الصباح. ولم أتناول طعام الغداء حتى...».

ـ وتودين الآن أن تأكلي.

هزّ فيرغوس رأسه كإشارة إلى النادل بأنهما جاهزان لطلب الطعام.. وحين اقترب هذا الأخير ليسجل طلباتهما، راحت كلويه تراقب فيرغوس بإمعان. ما من شك في مظهره الأنيق أو غناه أو سحره، لكنها ذكّرت نفسها بأن عليها ألاّ تقلل من تقدير ذكائه أيضاً. فذكاؤه يتعدى المسائل البسيطة. إنه لا يعرف هويتها الليلة، لكن لن يطول الأمر قبل أن يكتشف هوية صاحبة ماركة «فوكسي» الحقيقية.

لقد قامت بمخاطرة كبيرة حين أخبرته بذلك، لكنها اضطرت لذلك بعد أن رأت موقفه الحذر منها. أرادت كلويه أن تثير اهتمامه، لكنها لن تتوصل إلى ذلك إذا بقيت في نظره امرأة غامضة. وإذا أرادت أن تصل إلى هدفها مع هذا الرجل، فالطريق أمامها طويل.

وفيما هما يتناولان المقبلات، قالت كلويه: «أخبرني، لِمَ لم ترغب في أن نتناول العشاء في مطعم زوج خالتك؟».

كاد فيرغوس يختنق باللقمة التي وضعها في فمه، فنظر إليها وقد ظهر العبوس على وجهه. تأملته كلويه قبل أن تقول: «آسفة... هل قلت شيئاً خاطئاً؟».

بالطبع لا! لقد لاحظت بوضوح كم راعه اقتراحها بأن يلتقيا في مطعم الشيف

www.elromancia.com

سيمون. أجابها فيرغوس ببطء: «لست مخطئة على الإطلاق. والجواب بسيط كلويه، أردت التعرف إليك أكثر من دون أن أسبب الحيرة لأقربائي».

كان بإمكانها أن تجيبه بتملق، لكن رزانتها منعتها من ذلك، فأجابته باختصار متكلف: «هذا لطف منك».

ـ هذا ما اعتقدته. كنت واثقاً من تأييدك لموقفي هذا. ثمة أمور عديدة لا نعرفها عن بعضنا البعض، أليس كذلك؟.

ما يقصده هو أنه لا يزال يجهل الكثير عنها، وهو يأمل بأن يتغير ذلك هذه الليلة. لكن، إذا عرفت كلويه كيف تتصرف فإن الحظ لن يحالفه كثيراً. ابتسمت كلويه له: «لمَ تقول هذا؟ إنه لأمر مسلّ أن نكتشف ما نجهله عن بعضنا البعض، أليس كذلك؟».

أجابها فيرغوس بجفاء وقد بدا غير مقتنع على الإطلاق بما قالته: «ربما!».

ـ أنا...

وفجأة سمعا صوتاً ينادي: «كلويه؟».

ثم أكمل الصوت بتردد: «أنت كلويه، أليس كذلك؟».

بغتت كلويه فالتفتت إلى مصدر الصوت بحركة سريعة خاطفة، وسرعان ما تعرفت إلى الرجل الذي يقف بالقرب من طاولتهما؛ إنه بيتر أمبروس!.

لم تستغرب ألاّ يكون الرجل واثقاً من أنها كلويه، فآخر مرة رآها فيها كانت في الخامسة عشرة من عمرها.

ابتلعت كلويه ريقها بصعوبة، وتعمدت عدم النظر إلى فيرغوس. فمن نظرة جانبية صغيرة أدركت مدى ذهوله بعد أن عرف هوية الرجل. منذ ثلاث سنوات كان بيتر رئيس وزراء بريطانيا وهو لا يزال زعيم المعارضة حتى الآن. بدا واضحاً أنه يعرف كلويه جيداً لينادي باسمها.

لم تفكر كلويه في أن الأمور ستصل إلى هذا الحد حين فكرت بملاحقة فيرغوس ماكلاود.

***

٤ ـ رجل من فولاذ!

وجد فيرغوس نفسه يتساءل مجدداً، من تكون كلويهفوكس. أصبح يعرف الآن أنها جميلة وذكية وتتمتع بحس دعابة بدأ هو يتعلمه منها. لكن، رغم ذلك، من تراها تكون هذه الفتاة؟

راحت كلويه ترحب ببيتر أمبروس وقالت فيما هما يتصافحان: «بيتر، أنا سعيدة برؤيتك، كيف حال جون وولديك؟».

هز فيرغوس رأسه مذهولاً، فكلويه ليست فقط المرأة التي ترتاد النوادي الليلية الراقية، والتي تملك سيارة رياضية باهظة الثمن، كما أنها ليست فقط مصممة أزياء تملك ماركة خاصة بها، بل هي أيضاً على معرفة وثيقة برئيس الوزراء السابق وزوجته!

ابتسم لها بيتر أمبروس بإعجاب وهو يترك يدها ببطء، وببطء شديد جداً كما لاحظ فيرغوس، وأشار إلى طاولة بعيدة حيث تجلس زوجته بانتظاره: «جون برفقتي هنا».

ثم أكمل ساخراً: «أما الولدان فقد أصبح أحدهما في العشرين والثاني في الثانية والعشرين من العمر».

ضحكت كلويه بهدوء: «لقد مضى زمن طويل».

أكّد بيتر كلامها: «وقت طويل جداً».

ثم تابع بنبرة أكثر جدية: «لا يمكنني أن أصف سعادتي بانضمام بول إلينا مجدداً».

تساءل فيرغوس في سره: بول؟؟ من هو بول؟ كم يكره أن يكون جاهلاً لما

يدور من حوله، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بامرأة تربطه بها، ولو ظاهرياً، علاقة حميمة. لكن السؤال الذي يعذبه هو: ما مدى عمق علاقتها ببيتر أمبروس؟

يعلم فيرغوس أن بيتر أمبروس في منتصف الخمسينات من عمره، وهو متزوج من جون منذ أكثر من ثلاثين سنة. لكن بيتر لا يزال رجلاً جذاباً، طويل القامة، نحيف الجسم، ذا شعر أشقر تتخلله بضع خصلات رمادية. في الواقع، لقد ساعده مظهره الأنيق هذا على تحقيق النجاح في قيادة حزبه السياسي. ومن الواضح أنه وكلويه على معرفة وثيقة ببعضهما البعض.

شعر فيرغوس بعدم الارتياح مجدداً، تماماً كما حصل معه في نهاية الأسبوع الفائت حين قرّرت كلويه الانضمام إليه فجأة. إنه لا يريد فقط أن يعرف من هي كلويه فوكس، بل يريد أن يعرف ماضيها أيضاً.

التفتت كلويه إليه بعد فترة قائلة: «آسفة فيرغوس، كان يجب أن أعرفكما ببعضكما البعض منذ البداية. بيتر، إنه فيرغوس ماكلاود. فيرغوس، إنه...».

قاطعها فيرغوس بصوت خشن: «أنا أعرف من يكون كلويه. إنه السيد أمبروس».

ثم وقف ليسلم عليه بحرارة. كرّر بيتر أمبروس اسم فيرغوس مفكراً: «ماكلاود؟ لمَ أشعر أن عليّ أن أعرفك؟».

فأجابَ فيرغوس بخفة: «لأن لدي موعد معك يوم الأربعاء».

فكر الرجل بعمق: «حقاً؟ نعم، بالطبع».

ثم انفرجت قسمات وجهه ليكمل: «تذكرت الآن. أنت كاتب. أليس كذلك؟».

لم يصدق فيرغوس هذه المصادفة الجيدة إذ التقى بيتر أمبروس هذا المساء. لكن بيتر تعرّف إلى كلويه من بعيد فيما لم يكن ليميزه هو عن أي نادل يخدم إحدى الطاولات! ووجد فيرغوس أن من الغرابة أن يلتقي بيتر أمبروس صدفة اليوم، بعد أن انتظر أسابيع كي يتمكن من رؤيته. وذلك بالطبع بفضل كلويه فوكس، المرأة التي فرضت صحبتها عليه ليلة السبت الماضي. من الواضح أنها تعرف أمبروس

جيداً، و... معرفة عميقة بالتأكيد.

أكّد فيرغوس بهدوء: «نعم، أنا كاتب».

هز بيتر رأسه: «أذكر أن سكرتيرتي قالت إنك بدوت غامضاً جداً فيما يتعلق بالسبب الذي يدفعك لرؤيتي».

ما من شيء سري أو غامض. لكن فيرغوس لا يرغب في أن يخبر أياً كان عن مشاريعه، إنما الأشخاص المعنيين فقط. كلويه، مثلاً، ليست من هؤلاء «المعنيين» مهما كانت علاقتها بفيرغوس عميقة.

أرادت كلويه أن تحسم الموضوع وتنهي الحديث، فنظرت إلى الرجلين بعينيها الزرقاوين: «علينا ألاّ نشغلك عن زوجتك أكثر يا بيتر».

ظل أمبروس ينظر إلى فيرغوس لثوانٍ قبل أن يلتفت ببطء إلى كلويه وهو يبتسم: «أنت محقة. حسناً، سعدت كثيراً بلقائك كلويه».

ثم أضاف بلطف: «آمل أن أراك مجدداً في وقت قريب».

ردّت كلويه: «أتمنى ذلك أيضاً».

ـ أتطلّع لرؤيتك مجدداً نهار الأربعاء، سيد ماكلاود.

جلس فيرغوس ببطء، على كرسيه، وهو ينظر مفكراً إلى كلويه. إنها حقاً لغز غامض! وهو ككاتب يود أن يحل هذا اللغز. أما كرجل فلم يعرف كيف يتصرف حيال الأمر. أخذ نفساً عميقاً ثم قال مجازفاً: «يبدو أن معارفك من الطبقة الراقية جداً، كلويه».

عادت كلويه إلى تناول الفاكهة من صحنها، وهي تحاول أن تتصرف بهدوء كامل. إلا أن هدوءها كان ظاهرياً فقط. فبالرغم من محاولتها التحكم بأعصابها بعد ذلك اللقاء المفاجيء مع بيتر أمبروس، إلاّ أن فيرغوس لاحظ ارتعاشاً خفيفاً في يديها. قالت كلويه: «الأمر ليس كذلك. فبيتر لم يعد رئيس وزراء الآن».

ـ كلويه..؟!

ختمت كلويه الحديث: «في الواقع، أنا أعرف ولديه أكثر مما أعرفه هو وجون».

لسبب ما، ساوره الشك في صحة ما تقوله. فالولدان اللذان تتحدث عنهما

www.elromancia.com

يبلغان العشرين والثانية والعشرين من العمر، أي أنهما لم يعودا ولدين على الإطلاق.

وبالرغم من جمال كلويه الذي يخطف الأنفاس، وسحر جسدها الرائع، وبالرغم من أنه أمضى سهرة كاملة برفقتها، إلا أن فيرغوس يرفض أن يكون للكذب والخداع مكان في حياته.

نظرت كلويه إليه وهي تحاول ألاّ ترمش بعينيها، ثم قالت لتأكيد كلامها ولئلا تنتظر إجابته: «أنت لا تصدقني، أليس كذلك؟».

شعر فيرغوس بالصدمة للحظات بسبب هجومها المباشر. وأخيراً، أجابها بصدق: «لم أعد أعرف ما أصدق».

أعادت كلويه سكينها إلى الطاولة، ونظرت إليه ببرودة: «أظنك كوّنت فكرة خاطئة عن وجود علاقة سابقة تربطني ببيتر أمبروس... أم أنني مخطئة؟».

أجفل فيرغوس، فقول الأمور بهذه الطريقة جعلها تبدو سخيفة. وبما أنه لم يصدق تفسيرها لهذه العلاقة، فقد خطر له أنها متورطة مع ذلك الرجل، وإلا فمن أين لها أن تعرفه؟ كما بدا واضحاً أن جون لم تكن متحمسة كزوجها لإلقاء التحية على كلويه.

حين تأخر بالإجابة، تنهدت كلويه: «إذن. لست مخطئة، فهذا ما تظنه. اسمع فيرغوس، قد أقوم بأشياء كثيرة، لكن ما لا يمكنني تحمّله أبداً هو أن أكون المرأة الثانية في حياة أحدهم. هل تصدقني الآن؟».

نعم، لقد صدقها فعلاً! مع أنها أخبرته القليل عن نفسها إلا أن فيرغوس شعر فجأة بأن ما قالته للتو هو الحقيقة. كما شعر أيضاً أن علاقته بكلويه، بغض النظر عن نوع تلك العلاقة، قد خرجت عن سيطرته، ولم يشعر بالارتياح لذلك أبداً.

في ما مضى، كان هو من يخطف الأضواء. لكن كلويه، وبالرغم من صغر سنها لم تفسح له المجال لذلك. أجفل فيرغوس منتبهاً وقال: «أنا أصدقك. لكنني أعلم أن هناك ما تخفينه عني كلويه».

بدا توتر كلويه واضحاً، ما أكد شكوكه. إلا أنها اعترفت وهي تبتسم: «نعم، ثمة كثير من الأمور لم أخبرك بها. لكنني واثقة من أنك لن تهتم إذا عرفت

كم كانت أمي تراني جميلة ومميزة في طفولتي، وكم أصبحت تلميذة مزعجة في المدرسة الداخلية، وأنني كنت طالبة جامعية مجتهدة، أو كيف أمضيت أوقاتاً رائعة في باريس...».

ثم فكرت قليلاً قبل أن تتابع: «ألا تظن أن الأمور ستصبح مملّة بيننا إذا عرفنا مسبقاً كل شيء عن بعضنا البعض؟».

ـ حسناً، بالطبع. لكن هذا ليس ما قصدته.

أدرك فيرغوس أنه إذا أصر على معرفة ما يريده الآن، فقد يخسر كلويه. لذا قال: «في الواقع، أمي أيضاً كانت تراني ظريفاً ومميزاً في طفولتي. كنت أنا وبرايس ولوغان خلال طفولتنا مصدر الأذى والشقاوة في ممتلكات جدي في اسكوتلندا. أما في الجامعة فلم أكن مجتهداً مثلك كما يبدو، لكنني تدبرت أمري بشكل جيد، ثم تمتعت بحياتي خلال الأعوام التي أمضيتها كمحام، كما استمتعت أكثر في الكتابة. لكنك محقة، لسنا مضطرين لمعرفة كل شيء عن بعضنا منذ اللقاء الثاني فقط».

صحّحت له كلويه بجفاء: «رسمياً، إنه موعدنا الأول».

شعر بأن لقاءهما يكاد ينتهي بانصراف كلويه وتخليها عنه. فقد أحس في الدقائق الأخيرة بأنها مستعدة للانصراف حالاً إذا ما أصر على عدم تصديقها. وتأكد له، فجأة، وبغض النظر عمّن تكون هذه المرأة أو ما تكون عليه، أنه لا يريدها أن ترحل. لقد أسرته كلويه فوكس وسحرته بجمالها، وهو لن يسمح لها بالخروج من حياته قبل أن يكتشف جزءاً من لغزها، على الأقل.

راحت كلويه تراقب تعابير وجهه وهي تتغير بشكل سريع. بدا واضحاً أنه لا يعرف أن تعابيره تفضح الكثير من أفكاره. إنه لا يصدقها بل لا يثق بها أيضاً!

لكن، كيف يمكنها أن تلومه؟ فهي تدرك أنه يشعر بالارتياب بسبب علاقتهما الغريبة المفاجئة، كما أنه أصيب بالذهول حين تعرّف إليها بيتر أمبروس واقترب من طاولتهما للتحدث إليها. لكن ذهوله لا يعد شيئاً أمام الرعب الذي أصابها هي حين أدركت أن بيتر قادم للتكلم معها. لكن، لولا هذه المصادفة لما عرفت بموعد فيرغوس مع بيتر يوم الأربعاء القادم...

لا بد أن بيتر يتساءل عن الأسباب التي تدعو فيرغوس للقائه. لربما اعتقد أن لذلك علاقة بالحملة الانتخابية التي يقوم بها حزبه تحضيراً للانتخابات العامة التي ستجري في العام المقبل. لكن كلويه فهمت أن لا علاقة لذلك بالموضوع كما فهمت أيضاً أن الوقت بدأ ينفد منها.

سألته كلويه باهتمام فيما كان النادل يبدل لهما الصحون: «هل تفكر بالانتقال إلى عالم السياسة فيرغوس؟».

ضحك فيرغوس بنعومة، ثم هزّ رأسه ورد بحماسة: «بالطبع لا. لا أفكر بذلك على الإطلاق، فأنا أحب أن أتمتع بخصوصيتي».

ـ لكنك حصلت، بالتأكيد، على قسط وافر من الشهرة لأنك كاتب.

أكّد لها فيرغوس برضى: «ليس إلى درجة مقلقة. هل تظنين أن حياتي الشخصية قادرة على مقاومة تفحّص وتدقيق العامة، كما يحدث عادة مع السياسيين؟».

رفعت كلويه حاجبيها الداكنين: «لا أعرف. هل تظن ذلك ممكناً؟».

ضحك فيرغوس مجدداً: «لا. أنا لم أتزوج بعد، ولا شك أن الصحافة ستقول إنني منحرف. وحين يتبيّن أنهم مخطئون، سيروّجون لفكرة احتمال زواجي من كل امرأة أنظر إليها».

ثم هز رأسه قائلاً: «لا أعتقد أنني سأتحمل ذلك».

لقد رسم فيرغوس صورة رهيبة عن أي شخص يدخل معترك السياسة. لكنه رسم الصورة الصحيحة. فبالرغم من محاولات والديها لحمايتها من آثار الفضيحة في طفولتها، إلا أنها شعرت بالكارثة التي حلّت بحياتهم الشخصية. فبعد الفضيحة التي تصدرت عناوين الصحف منذ ثماني سنوات، راحوا يفقدون الخصوصية بسرعة رهيبة. هزت كتفيها وقالت: «عفواً، لكنني تصورت أن سبب لقائك بيتر أمبروس الأسبوع المقبل...».

قاطعها فيرغوس وهو يستند إلى الوراء في كرسيه، مفسحاً المجال للنادل: «إنه جزء من الأبحاث التي أقوم بها».

فكرت كلويه في أن تقديم الطعام جاء في وقت غير مناسب. في الواقع، لقد

اقتربا لتوهما من الموضوع الذي يهمها، لكن طعامهما حضر الآن.

انتظرت بفارغ الصبر ابتعاد النادل. وحين ابتعد تاركاً إياهما بمفردهما للاستمتاع بعشائهما، قال فيرغوس مبرّراً: «أنا أيضاً جائع».

حاولت كلويه العودة إلى موضوعهما فيما هي تأكل قطعة من السلمون من دون اهتمام، إذ فقدت شهيتها بعد حديثهما مع بيتر أمبروس: «كنت تخبرني عن الأبحاث التي تقوم بها من أجل كتابك الجديد...».

أنهى فيرغوس مضغ الطعام، قبل أن يجيبها: «لا أعتقد أنني أخبرتك أن الأبحاث تتعلق بكتاب ما!».

عبست كلويه في وجهه، فقد أدركت أنه يحاول التملص من الإجابة. ما الذي يدفع كاتباً ما لإجراء بحث إن لم يكن من أجل كتاب جديد؟ كما أنها تعلم بالضبط عمّا يريد البحث!

قالت باستخفاف: «إن كنت لا تريد التحدث في موضوع البحث فما عليك سوى أن تقول ذلك بصراحة».

فأجاب فيرغوس على الفور: «لم أقصد أن أكون فظاً، كلويه. لكنني حقاً لا أريد التكلم في موضوع البحث».

قاطعته ممازحة: «لقد بدوت كذلك معي».

شعرت كلويه بالتوتر. لقد حاولت محاصرته من جميع الجهات لتدفعه إلى الكلام، ومع ذلك لم تكن تظن أنه سيقع في الفخ. إنه من الرجال الذين لا يحبون التكلم عن أنفسهم كثيراً، وهي لم تلتق رجلاً مثله من قبل.

تنهّد فيرغوس: «في الواقع، إن عمل الكاتب غريب جداً، بالنسبة إليّ على الأقل. لقد اكتشفت من خلال خبرتي، أن من الأفضل أن أكون متكتماً فلا أناقش مواضيع كتبي مع أحد، باستثناء وكيلي طبعاً».

ثم ابتسم وتابع يقول: «حتى وكيلي لا يحصل سوى على رؤوس الأقلام، أي ما يسمح له فقط بإقناع الناس بأفكاري».

كانت كلويه تعلم ذلك.

تابع فيرغوس: «فكّري مثلاً بآخر تصميم قمت بابتكاره، أنا واثق من أنك

لن تودي مشاركته مع أحد أيضاً».

ـ هذا لأنني أخشى أن يسرق أحدهم الفكرة... هل تعتقد أنني قد أسرق فكرة كتابك فيرغوس؟ أؤكد لك أنني لا أعرف حتى كيف أبدأ بكتابة رواية.

سألها فيرغوس: «ألا تعتقدين أن في داخل كل شخص منا كاتباً ينتظر الظروف الملائمة ليظهر؟».

فكّرت كلويه: تباً له... إنه يحاول تغيير الموضوع.

ـ لقد أخبرتك للتو أنني لا أعرف كيف أبدأ حتى بالكتابة. لذلك فأنا مهتمة لأنك تستطيع ذلك.

ثم أضافت بصوت أبح: «لكنني أعرف أمراً واحداً، وهو أن لكتابك التالي علاقة بالسياسة».

رد فيرغوس بمراوغة: «ربما، أخبريني كلويه، هل لديك أخوة وأخوات؟».

أجابت وقد شعرت بالاحباط: «لدي أخت أكبر مني».

إنه عنيد كالصخر! ومع أنها تعرف مسبقاً بأن ليس لديه أخوة أو أخوات، إلا أنها سألته: «وأنت؟».

قال مؤكداً: «كلا. وماذا عن والديك؟ ألا يزالان على قيد الحياة؟».

أجابته بلهجة بدت وكأنها توبيخ: «أطال الله عمرهما! فهما لا يزالان في الخمسينات من العمر».

لا تود التحدث عن والديها، ولا سيّما عن والدها، مع هذا الرجل بالذات. أياً تكن المعلومات التي يريدها فيرغوس عن والدها، فلن يحصل عليها منها.

ـ ماذا عن والديك أنت؟

جاء ردّه مقتضباً: «هما على قيد الحياة، لكنهما مطلقان».

وفجأة، وجه إليها نظرة حادّة من عينيه البنيتين: «أخبريني كلويه، لِمَ أنت شديدة التحفظ بشأن حياتك الخاصة؟».

شعرت كلويه بتصلب في داخلها كردّ فعل دفاعي على هذا الهجوم المفاجىء

الذي يخلو من اللباقة. لكنها تمكنت، ظاهرياً، من الحفاظ على رباطة جأشها أو.. هذا ما أملته. أجابت برزانة: «لم ألاحظ ذلك».

أومأ فيرغوس وهو يحدق إليها، ثم قال ممازحاً: «هل تعلمين كلويه؟ أشعر بأنك تحاولين إخفاء أمر ما».

إلا أن نبرة صوته بدت حادة كالفولاذ.

أجبرت كلويه نفسها على الحفاظ على هدوئها أمام نظرته المسمّرة عليها. وحدّقت إليه بدورها بعينين لا ترمشان، قائلة بسخرية: «مثل ماذا؟».

هز كتفيه ساخراً: «لعلك متزوجة، أو مخطوبة، أو على علاقة بأحدهم، أو.. ربما كنت قاتلة تبحث عن ضحية جديدة».

لم تنخدع كلويه بكلامه ولو للحظة واحدة. لقد أضاف الاحتمال الأخير لإضفاء المرح على الموضوع، لكن ما يهمّه في الواقع هو الإجابة عن الاحتمالات الثلاثة الأولى... هل يظن حقاً أنها كانت لتأتي وتجلس برفقته الآن، لو أن أحد هذه الاحتمالات صحيح؟ وعندما لم تجد رداً مناسباً، ابتسمت قائلة: «أحسنت.. أنا قاتلة أبحث عن ضحية جديدة».

لكن فيرغوس لم يبادلها الابتسام، بل نظر إليها عابساً ثم قال بهدوء: «لا أظن أن العلاقة بيننا تتقدم كلويه».

إنه على حق! إذ أنهما لم يقيما علاقة من الأساس، ليس بالمعنى الذي يقصده هو على الأقل. إلا أن كلويه علقت قائلة: «ظننت أن هذا ما تريده».

أجاب فيرغوس ببطء: «أليس من الغرابة ألا نحرز أي تقدم في علاقتنا، مع أننا أمضينا ليلة السبت الفائت معاً؟ في الواقع، نحن نتصرف كأننا غريبان عن بعضنا تماماً».

بدا كلامه صادقاً تماماً، وأدركت كلويه أنها الملامة في هذا كله. فبسببها هي لم يتمكّن من التآلف والانسجام معها. لكن، كيف يمكنها أن ترتاح معه وهي تعلم أنه يخطط لتدمير حياة والدها؟ فهي تعرف بالضبط موضوع كتاب فيرغوس القادم؛ إذ ينوي استخدام تلك الفضيحة التي طالت والدها في عمله منذ ثماني سنوات كمحور أساسي لقصته الجديدة.

www.elromancia.com

ومن المقرر أن تنزل هذه القصة إلى الأسواق قبل أسابيع فقط من ترشح والدها في الانتخابات من جديد.

***

٥ ـ جميلة، رائعة.. لكن!

قالت كلويه بابتسامة مشرقة: «اعذرني على غموضي فيرغوس. لكنك بدورك لست كتاباً مفتوحاً».

يعلم فيرغوس ذلك جيداً، فهو لم يكن يوماً شديد القرب من أي امرأة أقام علاقة معها، كما لم يقع في حب إحداهن. وهو يفضل الاحتفاظ بأسراره لنفسه، لذا لم يسمح بأن تصبح أي علاقة جزءاً هاماً من حياته. ولطالما اتهم بأنه متحفظ ومنعزل، لكنه لم يلحظ مثل هذه الصفات في أي من النساء اللواتي عرفهن من قبل، كما يراها الآن في هذه المرأة الشابة. اعترف قائلاً: «كلامك مؤثر. أتظنين أن شخصين متكتمين مثلنا قد يتمكنان يوماً من التقرب من بعضهما البعض؟».

ابتسمت كلويه: «كما قلت لك من قبل، سوف نجد متعة في المحاولة».

ربما! تمنى فيرغوس لو يتمكّن من أن يتذكر ما حصل ليلة السبت الفائت. لا بد أنها استمتعت بوقتها، وإلا لما رغبت في رؤيته مجدداً. وفجأة، شعر أنهما أمضيا وقتاً كافياً وهما يجلسان في هذا المطعم، يحاولان إجراء محادثة مهذبة معاً. إنه يريد أن يعرف كلويه أكثر، وثمة طريقة واحدة لذلك.

ـ هل اكتفيت من ذلك؟

وأشار إلى بقايا قطع السلمون في صحنها، التي كانت كلويه تحركها بشوكتها منذ حوالى عشر دقائق من دون أن تتذوق منها شيئاً. أجفلها سؤاله فأجابت: «نعم».

فرمى الفوطة على الطاولة وأشار إلى النادل ليحضر له الفاتورة قبل أن يقف قائلاً بنفاد صبر: «هيا، لنذهب من هنا».

وقفت كلويه بدورها وهي تشعر بالارتباك: «لكن، ظننت أنك تشعر بالجوع..».

ابتسم لها ابتسامة عريضة ذات معنى: «أنت على حق».

وأدرك فيرغوس أنها فهمت مغزى كلامه، إذ علا الاحمرار خديها على الفور، ما أضفى سحراً ورونقاً على عينيها الزرقاوين فبدت رائعة الجمال.

ومع أن فيرغوس لم تكن لديه فكرة عن عمرها، إلا أنه يظن أنها في الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين من عمرها. لكن ذلك التحفظ في عينيها والحذر في تصرفاتها يدلان على أن أحدهم سبب لها الأذى في يوم من الأيام. وفكر فيرغوس في أنه يود أن يمحو من عينيها هذا التحفظ وذاك الحذر حين يضمها بين ذراعيه.

شعرت كلويه بدوار طفيف فيما كان فيرغوس يدفع الحساب، إلا أنها لوحت بيدها مودعة ليبتر وجون أمبروس، قبل أن يدفعها فيرغوس بسرعة خارج المطعم.

لقد تعمّد فيرغوس أن يحضر إلى المطعم في سيارة أجرة هذا المساء، أما سيارة كلويه فكانت مركونة على مسافة غير بعيدة. وما إن فتحت هذه الأخيرة قفل السيارة المركزي حتى اندفع فيرغوس ليجلس في المقعد المجاور للسائق. شعر أن المكان ضيق جداً بالمقارنة مع طوله الفارع ما اضطره لأن يطوي ركبتيه حتى كادتا تلامسان ذقنه أما رأسه فكاد يلامس سقف السيارة.

عندئذ، غمغم بخشونة: «ليتني أعلم كيف استطعت أن أجلس في هذا المقعد ذلك المساء!».

قالت له كلويه وهي لا تزال تشعر بالذهول: «كان المقعد مدفوعاً إلى الخلف أكثر ذلك المساء. يمكنك أن تجد مفاتيح التحكم به على الباب».

وخطر لفيرغوس، فيما هو يحرك مفاتيح التحكم، أن ثمة شخص آخر جلس في هذا المقعد خلال الأسبوع الماضي، ومن الواضح أن هذا الشخص أقصر منه قامة..

أتراه رجل أم امرأة؟ راح فيرغوس يتساءل، ولم تعجبه فكرة أن يكون ذلك الشخص رجلاً آخر. يمكن لكلويه أن تفعل أي شيء لتمنعه من التعرّف إليها بشكل أفضل، ألا أنه أدرك أنه لن يحتمل فكرة وجود رجل آخر في حياتها.

- إلى أين سنذهب؟

أجاب فيرغوس باقتضاب: «إلى منزلك أو إلى منزلي».

كان ذهنه لا يزال مشغولاً بفكرة أن رجلاً آخر يشغل حياة كلويه.

وعلى الفور، اتجهت كلويه بسيارتها نحو منزله قائلة: «سنذهب إلى منزلك أنت».

تصرفها هذا جعل فيرغوس يتذكر أنه ما زال يرغب في طرح الكثير من الأسئلة على الآنسة كلويه فوكس. أولاً، كيف تمكنت من معرفة عنوان بيته يوم السبت الفائت؟ ثانياً، كيف توصلت إلى معرفة رقم هاتفه لتتصل به يوم الأحد؟ أما السؤال الذي يشغله في الوقت الحالي فهو لما لا تريده أن يعرف عنوان منزلها؟

استدار إليها وراح يتأملها. شعر بالإعجاب لبراعتها في القيادة وقدرتها على التحكم بتلك السيارة القوية: «هل تعيشين في لندن وحدك؟».

استدارت كلويه لترمقه بنظرة سريعة قبل أن تعود وتحوّل انتباهها إلى الطريق، ثم قالت: «كلا».

شعر فيرغوس بالتوتر بعد تأكيدها هذا. إنها لا تعيش بمفردها! مع من تعيش إذن...؟

لكن كلويه ما لبثت أن طمأنته بهدوء: «أعيش مع والديّ. لذا لم أجد من الصائب أن نذهب إلى منزلي. لا أظنك ترغب بمقابلة والدي».

اللعنة! إنها على صواب، فهو لا يجد هذا الأمر مطلقاً، لا سيّما مع هذه المرأة التي لم يقابلها سوى مرتين فقط والتي لا يعرفها بعد معرفة جيدة.

أكد لها بجفاء: «أنت محقة، فهذا يسبب لي مشكلة».

منحته شبه ابتسامة: «هذا ما ظننته».

نظر إليها فيرغوس نظرة متفحصة: «يبدو وكأنك تعرفينني معرفة جيدة...».

نفت الأمر ضاحكة: «أبداً فيرغوس. لكنني أعتقد أن الرجال كلهم يخشون مقابلة الأهل».

هذا صحيح، إلا إذا كانت نواياهم جدية، وذلك ليس حال فيرغوس مع أي

امرأة. لكنه راح يتساءل أي نوع من الأهل هم أهل كلويه.

يبدو أن كلويه تنتمي إلى أسرة متماسكة. وهذه معلومة جديدة عليه أن يضيفها إلى معلوماته القليلة عنها. لكن كلويه على حق فهما ليسا مضطرين لأن يسأما من بعضهما البعض بسرعة. إلا أن فيرغوس بدا مقتنعاً بأن قلة من الرجال يمكنها أن تشعر بالضجر برفقة كلويه فوكس!

-من هو بول؟ آه، حاذري!

حذرها فيرغوس بسرعة بعد أن انحرفت كلويه بالسيارة بحدة إلى اليمين، وكأنما سؤاله لامس وتراً حساساً.

غمغمت فيما هي تعيد السيارة إلى المسار الصحيح: «آسفة، أظنني رأيت قطة على الطريق».

ولم يكن ذلك صحيحاً على الإطلاق! تورد وجهها قليلاً، وتشبثت يداها النحيلتان الجميلتان بالمقود بإحكام واضح؛ يبدو أن سؤاله عن ذلك الرجل بول أصابها بالتوتر. يبدو أنها تحاول تجنب الإجابة عنه، فقد قالت فجأة: «أنا آسفة فيرغوس، لكنني بدأت أشعر بألم في رأسي».

قال متعاطفاً: «مسكينة كلويه. سوف أعطيك مسكناً للآلام ما إن نصل إلى المنزل».

إلا أنها كشرت قائلة: «إن لم يكن لديك مانع، أفضّل أن أعود إلى منزلي».

بالطبع، لديه مانع! فهو ما زال يجهل الكثير عن هذه المرأة باستثناء أنهما كانا وحيدين ذات ليلة في منزله. وهو يود أن يضمها بين ذراعيه ويبقيها بقربه. لكن قرارها الآن بإنهاء هذه الأمسية نسف كل خططه. وما إن أوقفت السيارة على الطريق المحاذي لمنزله حتى حثها قائلاً: «تعالي لتشربي فنجاناً من القهوة قبل ذهابك».

-في الواقع، لا أظن...

قاطعها فيرغوس بحزم: «لا تعجبني فكرة قيادتك للسيارة فيما أنت مصابة بالصداع».

ثم رمقها بنظرة ساخرة بعد أن لاحظ ترددها: «إنه مجرد فنجان قهوة،

كلويه».

عندئذٍ أطفأت كلويه المحرك وأومأت: «حسناً، فنجان قهوة فقط».

قادها فيرغوس إلى المنزل فيما العبوس يعلو وجهه. فقد لاحظ أن كلويه تشعر بالخجل لفكرة وجودهما وحيدين في منزله. بدا له ذلك مستغرباً بما أنها أمضت الليل في منزله في نهاية الأسبوع الفائت. أتراها أدركت بعد أن تعرفت إليه أكثر، أنها لا تشعر بالانجذاب إليه؟

لكن فيرغوس أدرك بعد معرفته بها أكثر، أنه يرغب كثيراً في كلويه فوكس!

***

كيف أوقعت كلويه نفسها في هذه الورطة؟ وكيف يمكنها أن تتخلص منها؟

أصيبت بالذهول حين قرر فيرغوس فجأة مغادرة المطعم، ومنعها ذهولها من اختلاق حجة مقنعة للبقاء في المطعم. لا بد أنه لاحظ أنها توقفت عن تناول الطعام منذ وقت طويل. أما بالنسبة لذلك السؤال الذي وجهه إليها عن بول وهما في السيارة... !!

إن مرافقة فيرغوس إلى منزله لم تكن ضمن خطتها لهذا المساء. كانت تنوي أن تودعه ما إن يغادرا المطعم، إلا أنها لاحظت حين أصبحا في الخارج أن الساعة لم تتجاوز العاشرة والنصف، والوقت ما زال مبكراً كي يفترقا.

دعاها فيرغوس إلى الدخول: «تعالي لندخل إلى المطبخ».

وحين رأى ترددها شجعها قائلاً: «لا تقلقي كلويه. في هذا الوقت تكون مدبرة المنزل قد أوت إلى غرفتها».

إذا كان يقصد بذلك طمأنتها فقد فشل فشلاً ذريعاً. فكلويه تفضل وجود شخص آخر سواهما في المنزل لكي تشعر بالارتياح. لا شك أن ما يشغل فيرغوس الآن هو الفكرة التالية: طالما أنهما أمضيا الليلة معاً مساء السبت الفائت فلما لا يحصل ذلك ثانية الليلة؟

لقد عاشت كلويه علاقات غرامية في ما مضى، حتى إنها فكرت في أن تتزوج أحد الرجال الذين عرفتهم في باريس خلال السنة الماضية. لكن أياً من هذه العلاقات لم تتطور لتغدو علاقة حقيقية. فهي، بكل بساطة، ليست من النساء

اللواتي يتورطن بسهولة.

لكن فيرغوس يعتقد أنها أمضت الليل معه، ولا شك أنه يتوقع أن يتكرر الأمر. ما كان عليها أن تبدأ هذه اللعبة على الإطلاق. إنه تصرف غبي، بل تصرف متهور!

في هذا الوقت، كان فيرغوس قد خلع سترته الداكنة اللون ووضعها على ظهر أحد الكراسي في المطبخ، وراح يتحرك برشاقة في أنحاء المكان ليحضر إبريقاً من القهوة. أما كلويه فنسيت أمر صداعها الذي لم يكن سوى عذر.

ناولها فيرغوس حبتي دواء لتأخذهما مع كوب القهوة الذي وضعه أمامها على الطاولة. وجدت كلويه تصرفه لطيفاً ومراعياً، وأعجبها أن يتحلى بهاتين الصفتين. لكن أتراه يتحلى بصفة التضحية؟ هل هو مستعد لأن يقوم بتضحية شخصية من أجل مصلحة شخص آخر؟

نظر إليها مقطباً: «تبدين شاحبة، لتدخل إلى غرفة الجلوس. سوف أشعل المدفأة لكي تشعري بالدفء قليلاً».

إنها لا تريد أن تشعر بالدفء، هذا ما حدثت نفسها به وهي تتبعه إلى خارج المطبخ. كل ما تريده هو الخروج من هنا، ومن الأفضل أن تخرج بسرعة قبل أن يكتشف فيرغوس أنه اكتفى بالخلود إلى النوم ليلة السبت الفائت.

بدت غرفة الجلوس ذات طابع ذكوري، حيث يسيطر عليها اللونان البني والذهبي. لكن، رغم ذلك، كان طابعها دافئاً تماماً مثل صاحبها، وقد ازدادت دفئاً حين أشعل فيرغوس النار.

قال فيرغوس بارتياح قبل أن يجلس قرب كلويه على الأريكة: «هكذا أفضل!».

خطر لكلويه أن اختيارها الجلوس هناك خيار سيء، لكن الأريكة هي الأقرب إلى النار. ومع ذلك ما كان عليها أن تجلس هناك... لا يمكنها أن تتخيل ما سيقوله فيرغوس حين يكتشف أنها عديمة الخبرة في شؤون الحب.

ما إن جلس قربها حتى شعرت بالحرارة تنبعث من جسده، وتنشقت الرائحة المميزة لعطر ما بعد الحلاقة الذي يستعمله. إنه شديد الجاذبية حقاً! هذا ما أدركته

كلويه بألم وهي تنظر إليه من بين رموشها.

استدار فيرغوس لينظر إليها، ثم سألها بصوت أجش: «هل تشعرين بتحسن؟».

شعرت كلويه أنها أسوأ حالاً وهو يجلس قربها، فراحت رجلاها تهتزان ويداها ترتجفان وهما تحملان كوب القهوة، كما شعرت بصعوبة في التنفس. ابتلعت ريقها بصعوبة وأجابت على أمل ألا يلاحظ فيرغوس مقدار توترها: «ليس بعد».

ازداد عبوسه: «قد تشعرين بالتحسن إذا ما تركت شعرك هكذا..».

والتفت يداه حول شعرها المرفوع وراح ينزع المشابك الأربعة التي تثبته. وعلى الفور انسدل شعرها كستارة داكنة وكأنه سماء منتصف الليل.

شعرت كلويه بوخز خفيف في جلدة رأسها.. ولم يكن ذلك بسبب انسدال شعرها، بل بسبب لمسة فيرغوس والمشاعر الواضحة في عينيه المسمرتين عليها.

حاولت إغاظته: «لقد فعلت ذلك من قبل».

هز فيرغوس رأسه: «ليس حسب ما أذكر. لكن.. عندما أكون قربك أجد مشكلة حتى في تذكر اسمي!».

وهي كذلك، على الأقل ذلك الجزء من اسمها الذي اخترعته من أجله.

فجأة، بللت كلويه شفتيها الجافتين: «فيرغوس...».

أكد لها بخفة: «نعم، اسمي فيرغوس، وأنت كلويه. جميلة، رائعة و.. مغرية».

همس بذلك بنعومة قبل أن يحني رأسه ويعانقها.

شعرت كلويه، وكأنها تذوب من تأثير عناقه. لم تشعر بهذا الإحساس من قبل على الإطلاق!

وفجأة أجفل فيرغوس وقال: «ما هذا بحق...؟».

ونظر بسرعة إلى الأسفل فإذا بالقهوة قد انسكبت عليهما من الكوب الذي تحمله كلويه. لقد تجاوبت مع عناقه حتى نسيت أنها تحمل في يدها كوباً من القهوة.

غمغمت بارتباك: «أنا آسفة».

لكنها شعرت ببعض الارتياح لأن القهوة التي سقطت على فستانها وعلى بنطلون فيرغوس باردة.

كشر فيرغوس فيما هو يأخذ الكوب من يدها بلباقة ليضعه على الطاولة خلفهما: «حسناً، هذا يثبط العزيمة... قليلاً..».

ثم وقف بسرعة ليقول قبل أن يغادر الغرفة: «سأحضر منشفة».

أغمضت كلويه عينيها ما إن أصبحت لوحدها، وأسندت رأسها إلى ظهر الأريكة. شعرت بأنها مغفلة تماماً، وبكل معنى الكلمة. أي غبي يمكنه أن ينسى أنه يحمل كوباً من القهوة في يده؟ والأهم من ذلك، أي نوع من النساء الغبيات سيظنها فيرغوس؟

عاد فيرغوس إلى الغرفة وهو يحمل منشفة في يده: «لا بأس، سأمسح القهوة».

وراح يمسح القهوة عن فستانها، حتى أصبح هذا الأخير كخرقة رطبة ملتصقة بجسمها ما جعلها تزداد ارتباكاً، وتساءلت في سرها: أيمكن أن تسوء الأمور أكثر؟

تراجع فيرغوس إلى الخلف وراح يحدق ملياً إلى فستانها الحريري: «أخشى أن تكون القهوة قد أتلفته».

ثم أضاف بلهجة حاسمة: «من الأفضل أن تخلعيه».

نعم يمكن للأمور أن تسوء أكثر...!

ترددت كلويه قبل أن تجيب: «سوف يجف بسرعة...».

لكن فيرغوس وقف ليمد يده نحوها ويجعلها تقف على قدميها، قائلاً ببساطة: «لا تكوني سخيفة، أنت بحاجة لأن تخلعي فستانك وتأخذي حماماً».

لكن كلويه لا تنوي أن تخلع فستانها لهذا السبب أو لسواه، فأكدت له فيما هي تقف: «لا حاجة لذلك حقاً. أظن أن الوقت قد حان لأغادر».

نظر إليها فيرغوس بعينين ضيقتين: «ظننت أنك ستمضين الليلة هنا».

لم تكن كلويه غافلة عما يظنه.. لكن ذلك لن يحصل أبداً. أدركت أنه ما زال

يراقبها بنظراته الحادة فتجنبت النظر إليه لئلا تلتقي نظراتهما، وقالت بنبرة حاسمة: «أنا أعاني فعلاً من الصداع فيرغوس».

ما زال ينظر إليها.. يبدو أنه ما زال يفكر بوسيلة تمكّنه من إقناعها بالبقاء، لكنه يضيع وقته حقاً!

وأخيراً قال بصوت مثير للأعصاب بعد أن رأى إصرارها على الذهاب: «حسناً».

ثم أضاف: «سأرافقك إلى السيارة».

لم تكن كلويه بحاجة لأن تنظر إليه لتعلم مقدار غضبه. لقد بدا غضبه واضحاً، غضب بارد مكبوت يثير الأعصاب.

ردت كلويه بصوت أجش: «شكراً لك».

وتوجّهت إلى المطبخ لإحضار حقيبة يدها ومفاتيحها. وفيما هما يسيران باتجاه الباب قالت: «ربما يمكننا أن نتناول الغداء معاً في الأسبوع المقبل».

وتعمدت ألا تشير إلى إمكانية أن يلتقيا في عطلة نهاية الأسبوع. فتناول الغداء في منتصف الأسبوع يسمح لها بأن تتخذ العمل عذراً لتتركه، وهذا أكثر أماناً من تناول العشاء معه ثانية.

ردّد فيرغوس من دون مبالاة: «ربما».

ووقف إلى جانب باب السيارة المفتوح فيما جلست كلويه خلف المقود. بدا من نبرة صوته أنه لم يحبذ فكرتها هذه.

ربما عليها أن تبقى معه... علّها تتمكن، بطريقة ما، من استدراجه إلى الحديث عن موضوع كتابه المقبل.. لكن فيرغوس لا يبدو في مزاج يسمح له بأن يتقبل فكرة أنها تود التعرف إليه فقط لتتحدّث معه عن موضوع كتابه. فكل ما تريده هو معرفة رد فعله حين تطلب منه ألا يعتمد الفضيحة التي طالت والدها منذ ثماني سنوات، والتي أجبرته على الاستقالة من الحكومة، كموضوع لكتابه. لكن، وللأسف، لم يبق لديها الكثير من الوقت للتحرك بعد أن عرفت بموعد فيرغوس مع بيتر أمبروس. فبعدئذ، سيغدو الموضوع في متناول الجميع. على أي حال...

www.elromancia.com

قالت وهي تترقب رد فعله: «سوف أتصل بك، هل يمكنني ذلك؟».

أخفض فيرغوس بصره نحوها وقد بدت تعابير وجهه واضحة بفضل النور المنبعث من الباب المفتوح خلفه. بدا فمه متوتراً كخيط مشدود، أما عيناه فبدتا غامضتين. وأخيراً، قال بمرارة: «كلويه، أعلم أنك تفكرين بطريقة مختلفة.. لكني أفضل حقاً أن أتصل بك بنفسي».

نظرت إليه وعلى ثغرها شبه ابتسامة: «لكنك لا تعرف رقم هاتفي».

اعترف باقتضاب: «كلا».

ويبدو أنه غير مهتم بالحصول عليه. أجفلتها هذه الفكرة، أتراها قد أضجرته بصحبتها؟ لا بد أن الأمر كذلك..

لكن، ألم يبدُ متغطرساً حين افترض أنها ستبقى في منزله الليلة؟

وسواء أكان متغطرساً أم لا، فقد بدا مقتنعاً بذلك، ولم يبدُ سعيداً لأنها قررت أن ترحل.

قالت كلويه وقد اعتمدت نبرته اللامبالية نفسها: «حسناً».

فالتأثر يمنعها من مناقشة هذا الأمر الآن، ثم أضافت بنعومة: «شكراً على العشاء فيرغوس. لقد تمتعت به حقاً!».

رفع فيرغوس حاجبيه الداكنين فوق عينيه البنيتين الساخرتين وقال لافتاً نظرها: «لكنك لم تأكلي شيئاً تقريباً».

هزت كتفيها: «استمتعت بما أكلته».

كان فيرغوس لا يزال واقفاً في الباب وهو يرمقها بنظراته من الأعلى، ما يعني أنها لن تتمكن من إقفال الباب والإنطلاق بسيارتها قبل أن يبتعد. لِمَ لا يتحرك؟ ما الذي يجري خلف تينك العينين البنيتين المليتين بالألغاز؟

تعلم كلويه تماماً أن لا أمل لديها في اكتشاف ما لا يرغب فيرغوس في إطلاعها عليه.

وأخيراً قال بصوت خشن: «ما رأيك بتناول الغداء يوم الثلاثاء عند الواحدة في مطعم الشيف سيمون؟».

أدركت كلويه أن فيرغوس ما زال مهتماً بها. وهذا يفوق حقاً ما كانت تأمل

به، نظراً لهذه الظروف! كما أن اقتراحه أن يتناولا الغداء يوم الثلاثاء في مطعم الشيف سيمون من بين كل الأماكن يعني أنه ما زال لديها فرصة للتحدث إليه قبل موعده مع بيتر أمبروس يوم الأربعاء. ربما كانت هذه فرصتها الأخيرة.

كما أدركت، ولو متأخرة، أن فيرغوس ستتاح له أيضاً فرصة التحدث إليها قبل لقائه الرجل الآخر. قد يكون فيرغوس غاضباً منها في هذه اللحظة، لكن غضبه لم يمنعه من التفكير في هذا الأمر.

فهي تعلم أن فيرغوس شعر بالحيرة بسبب العلاقة التي تربطها ببيتر أمبروس. لقد قرأت الكثير من التساؤلات في عينيه حين كانت تتحدث إلى الرجل في المطعم.

شعرت كلويه بالتوتر وبانقباض في معدتها. وقررت أن تكشف الأمور كلها يوم الثلاثاء، فلا يمكنها الاستمرار على هذا النحو مدة أطول من دون أن تسبب الأذى لفيرغوس.

وثمة احتمال كبير في أن تكون قد تسببت له بالأذى منذ الآن..!

***

٦ ـ فاتنة لكنها مخادعة!

ـ كيف حال جميلتك كلويه؟

كان فيرغوس يجلس على المقعد المواجه للنافذة في محترف برايس، وقد بدت نظراته شاردة وكأن أمراً هاماً يشغل باله. لم يحرك ساكناً عند سماعه هذا السؤال المتعلق بكلويه، لكن نظراته غدت باردة كالفولاذ.

لاحظ برايس تلك النظرة الفولاذية، فاستدرك قائلاً ببطء: «ربما، ما كان لي أن... أسألك؟».

أخذ فيرغوس نفساً حاداً، واستدار لينظر إلى قريبه الواقف أمام اللوحة التي يرسمها.

لقد مضى على وجوده عنده ساعتان، وهو لا يزال جالساً على ذلك المقعد أمام النافذة مستغرقاً في أفكاره الخاصة من دون أن ينبس بكلمة واحدة. ولا يمكن القول إنهما يتمتعان بصحبة بعضهما البعض.

أكد فيرغوس بمرارة: «ما كان عليك أن تسأل».

واستدار من جديد ليعاود النظر من النافذة المواجهة للحديقة حيث تنشر الشمس أشعتها الذهبية.

ما الذي تفعله كلويه؟

اللعنة! لقد طرح هذا السؤال على نفسه مرات ومرات في الساعات الأربع والعشرين الماضية. والآن، لم يبق سوى ساعة قبل موعد الغداء مع كلويه، وهو لم يتمكن بعد من التوصل إلى جواب.

لن يصدق بعد الآن أن تحرشها به يوم السبت الفائت ومرافقتها له بعد ذلك إلى

منزله هما مجرد صدفة. وإن لم يكونا مجرد صدفة فما هما إذن؟

راح برايس يراقب ابن خالته بعينين ضيقتين، ثم حثه باهتمام: «هل تود التحدث في الموضوع فيرغوس؟».

عَمَّ يتحدث؟ هل يمكن لبرايس أن يتوصل إلى تفسير ما حصل الأسبوع الماضي إذا كان هو نفسه لم يصل إلى أي تفسير؟

تعمدت كلويه أن تتقرب منه يوم السبت، وتعمدت أن ترافقه إلى منزله. وعلى الرغم من أنه لم يفكر بالأمر من قبل، إلا أن كلويه كذبت عليه. لكن.. ما هو السبب؟

كلمة واحدة تبادرت إلى ذهنه! كلمة جعلته يشعر بالخجل من التفكير بها.. ابتزاز...

أجفل فيرغوس حين تبادرت الكلمة إلى ذهنه.

تراجع برايس إلى الوراء مبتعداً عن قطعة القماش التي يرسم عليها لوحته، ثم تمتم وقد بدا عليه الرضى: «رائع!».

نادى ابن خالته بحماسة: «تعال فيرغوس، وانظر».

وقف فيرغوس وسار بتمهل إلى حيث يقف برايس. وسرّه أن يُنشله برايس من أفكاره السوداء. لقد انعكس مزاجه الكئيب اليوم بوضوح حتى في الثياب التي يرتديها، وهي عبارة عن قميص أسود وبنطلون أسود.

بدت اللوحة رائعة حقاً! لا شك أن برايس تمكن من إظهار جمال دارسي. ولا شك أنه يملك أسلوباً متميزاً.

قال فيرغوس مؤكداً: «لابد أن لوغان سيحبها كثيراً».

رد برايس: «آمل ذلك».

ثم استدار لينظر باهتمام إلى فيرغوس يقول بجرأة: «هل أنا مخطىء في اعتقادي بأن مراوغاً آخر من المراوغين الثلاثة وقع في الفخ؟».

أجفل فيرغوس لسماعه هذا التعليق، وغدت نظرته أكثر صلابة ما إن أدرك ما يعنيه برايس بالضبط. وبالكاد تمكن من كبت غضبه حين قال: «أنت مخطىء تماماً إذا ما اعتقدت ذلك».

www.elromancia.com

لم يقع في حب كلويه فوكس . . وكل ما يريده هو أن . . . يشنقها .

رفع برايس حاجبيه الداكنين مشككاً ثم تشدّق : «حقاً؟ لكن، لا أظن أنني رأيتك على هذا الحال بسبب امرأة من قبل» .

التمعت عينا فيرغوس بقوة : «أي حال؟» .

هز ابن خالته كتفيه : «لقد مضى على وجودك هنا أربع ساعات، وبالكاد تفوهت ببضع كلمات . وإذا كان مزاجك كئيباً إلى هذا الحد فلا بدّ أن كلويه وراء ذلك» .

التوى فم فيرغوس وقال نافياً بشدة : «وهل يعني ذلك أنني وقعت في حبها؟» .

ابتسم برايس ابتسامة عريضة : «ذلك يعني أن تأثيرها فيك يفوق تأثير أي امرأة أخرى» .

كلويه . إنها تؤثر فيه حقاً! لكنه كلما فكر في الأمر أكثر كلما بات مقتنعاً بأنها خططت لذلك ولم يكن الأمر مجرد مصادفة .

لا شك أن لقاءهما في المقهى ليلة السبت الفائت مجرد حظ، فهو نفسه لم يكن يعرف مسبقاً أنه سيقصد ذاك المكان . لكن ما تلا ذلك كان بالتأكيد مخططاً له من قبل كلويه .

بعد أن شعر بالحيرة لأيام، توصل إلى نتيجة مفادها أن كلويه تهوى إقامة علاقات غرامية مع المشاهير . لكن تبين له لاحقاً أنه أخطأ في اعتقاده هذا . أما المشكلة الحقيقية التي يواجهها الآن فهي كيف سيتعامل مع الموضوع؟ .

أطلق تنهيدة عميقة ثم هز رأسه : «علي أن أذهب الآن برايس فأنا على موعد على الغداء مع كلويه بعد نصف ساعة» .

لقد أمضى معظم فترة الصباح وهو يفكر في ما إذا كان عليه أن يلتقي كلويه أم لا . لكنه قرر الآن أن تأخره عن موعده معها خمس عشرة دقيقة كافٍ لإفقاد كلويه بعضاً من تلك الثقة البالغة بالنفس التي تتمتع بها . لقد حان الوقت ليجعل الآنسة كلويه فوكس تشعر بالحيرة .

رمقه برايس بنظرة ذات مغزى : «إنها صغيرة جداً في السن فيرغوس» .

بل إنها كبيرة بما يكفي . وهو وحده يعلم ذلك جيداً!

ضاقت عينا فيرغوس وفكر ملياً بما قاله ابن خالته : «ماذا يفترض بذلك أن يعني؟» .

هز برايس كتفه : «يبدو واضحاً أنك غاضب منها لسبب ما» .

هز رأسه باشمئزاز قائلاً بحدة : «كلمة غضب ليست كافية لوصف ما أشعر به» .

أومأ برايس مرة أخرى : «هذا ما أراه» .

فقال فيرغوس متشدقاً : «لن أشنقها اليوم في مطعم الشيف سيمون، فهو مكان معروف جداً» .

ابتسم برايس وقال : «سيكون من المؤسف أن يتشوه ذلك العنق الجميل» .

ابتسم فيرغوس ابتسامة متكلفة، ولم يفاجأ بملاحظة برايس عن جمال كلويه . فجمالها يفوق الوصف . لكن المشكلة، هي أنها امرأة لعوب ومخادعة . وإذا كان بإمكانه التعامل مع الصفة الأولى إلا أن خداعها له لا يسعده .

أجاب باقتضاب قبل أن يستدير مغادراً : «سآخذ ملاحظتك في الحسبان برايس» .

وإذا ببرايس يعلق من خلفه : «لقد أعجبتني تلك المرأة» .

اللعنة! لقد أعجبته هو أيضاً . أعجبته كثيراً . حتى إنه لم يعد واثقاً من مشاعره نحوها على الإطلاق .

يا إلهي! إنها فائقة الجمال!

هذا ما خطر لفيرغوس حين دخل إلى مطعم الشيف سيمون بعد نصف ساعة ورأى كلويه تجلس إلى إحدى الطاولات بانتظاره .

بدت كلويه غافلة عن نظرته المتقدة، إذ كانت تنظر متأملة من النافذة . وكان واضحاً أنها تنتظر وصوله فقد أسندت ذقنها بيدها، فيما بدت عيناها زائغتين وشفتاها ملتويتين من دون ابتسام .

يبدو أنها تتوقع أن يفي فيرغوس بوعده ويأتي إلى الموعد، يا للغرابة! إن رؤيتها تجلس بانتظاره لم تجعله يشعر بالرضى كما كان يتوقع، بل شعر بكتلة باردة

من الغضب تتجمع لتستقر في صدره، من دون أن تترك مكاناً لأي شعور آخر. حتى رؤيتها، وقد أشرقت أساريرها بسرور بالغ ما إن استدارت ولمحته يقترب من الطاولة، لم تتمكن من التخفيف من مقدار غضبه منها.

حياها باقتضاب: «كلويه».

وعانقها قبل أن يجلس، فردت وهي تسبل أجفانها فوق عينيها الزرقاوين الحائرتين: «فيرغوس».

راقبته بحذر وهو يجلس بتوتر إلى الطاولة، شاعرة أن عناقه لم يكن تلقائياً على الإطلاق.

علّق على حركتها بسخرية: «ما الأمر كلويه؟ هل شعرت بالتوتر لأنني عانقتك؟ ظننت أننا حبيبان. ألسنا كذلك؟».

بدا الارتباك على كلويه أمام عدائيته الواضحة. الارتباك! لكن ذلك لا يعد شيئاً أمام الانفعالات القوية التي تغلي في داخله. لم يعد يشعر برغبة في شنقها، بل سيشعر بالرضى أكثر لو وضعها فوق ركبتيه وقام بجلدها!

أدركت كلويه بقلق أن ثمة خطب ما. لقد تأخر فيرغوس عن موعدهما خمس عشرة دقيقة. وبعد أن حضر، بدا عديم الرحمة، بارداً، وكأنه غريب تماماً عنها. لقد ارتدى ثياباً سوداء من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وبدت تعابيره صلبة متوترة.

كيف يمكنها أن تتحدث معه عن والدها وهو في مزاج سيء كهذا؟

لقد اختارت ملابسها بعناية اليوم، فارتدت بذلة من الحرير لونها أزرق كلون عينيها تماماً. كما تركت شعرها الحريري منسدلاً بحرية فوق كتفيها. لكنها أدركت الآن أنها لو ارتدت كيساً من الخيش لما لاحظ فيرغوس الفرق.

بعد لحظات طويلة من الصمت سألته: «ما المشكلة فيرغوس؟».

بدت عينا فيرغوس داكنتين كقطعتي فحم وهو ينظر إليها عبر الطاولة: «مشكلة؟ ولِمَ تظنين أن ثمة مشكلة ما؟».

شعرت كلويه برجفة تتسلل على طول عمودها الفقري. ففيرغوس لم يكن من قبل رجلاً يسهل التحدث إليه، لكنه اليوم بدا غريب الأطوار بارداً، ومتباعداً

إلى أقصى الحدود. ابتلعت ريقها بصعوبة وقامت بمحاولة ثانية: «إنك تبدو... مختلفاً اليوم».

التوى فمه بتكلف: «مختلف من أيّ ناحية؟».

قطبت كلويه وقالت باستسلام: «لست واثقة».

هز فيرغوس رأسه منكراً: «ليس لدي فكرة عما تتحدثين كلويه. كما أنني لست واثقاً منك أنا أيضاً».

أضاف هذا العبارة المهينة قبل أن يلتقط لائحة الطعام ويقترح: «هل نطلب الطعام؟».

استمرت كلويه في النظر إليه بتفحص، ولم تعجبها تلك النظرة المتحدّية التي ظهرت في عينيه حين بادلها النظر. كانت تعلم قبل أن تأتي اليوم، أن هذه فرصتها الأخيرة للتحدث إلى فيرغوس.

فما إن يقابل بيتر أمبروس غداً حتى يعرف بالضبط من هي. لكن، كيف يمكنها أن تفاتحه بموضوع والدها وهو في هذا المزاج السيء؟

فجأة، قال فيرغوس من بين أسنانه: «ما الذي تريدينه كلويه؟».

سؤاله المفاجيء قاطع أفكارها المضطربة وجعلها تشعر وكأنها مذنبة. وأخيراً، أجابت بارتباك: «أ.. أنا لم أكن أريد شيئاً».

التوى فمه مرة أخرى ثم تشدق بسخرية: «كنت أشير إلى الطعام».

ثم رفع نظره ليشير إلى النادل، فيما علا الاحمرار وجه كلويه: «أوه!».

وبسرعة راحت تنظر إلى لائحة الطعام لتقول بصوت مكتوم: «سأتناول الغسباتشو مع طبق السمك المحمر وبعض السلطة».

وأعادت لائحة الطعام إلى الطاولة مطلقة زفرة خفيفة. استدار فيرغوس نحوها ما إن أصبحا وحيدين مرة أخرى: «إذن.. هل كنت تعملين طيلة فترة الصباح؟».

بالكاد فعلت؛ فقد كانت تشعر بالقلق من موعد الغداء هذا، حتى إنها وجدت صعوبة في التركيز على تصاميمها. كما أنها تشعر بأن فيرغوس لا يهتم مثقال ذرة بما كانت تفعله هذا الصباح...

ردّت باستخفاف: «ليس تماماً».

رفع حاجبيه الداكنين: «وهل قمت بنشاط مميز خلال عطلة نهاية الأسبوع؟».

هزت كلويه كتفيها وقد باتت مقتنعة أكثر فأكثر بأن فيرغوس لا يهتم البتة مهما كان جوابها. في الواقع، ساورها شعور غريب بأن مشكلة ما سوف تحصل، وأنّ هناك سيفاً مسلطاً فوق رأسها. حسناً! هذه اللعبة يلزمها شخصان. هزت كتفيها ثانية: «لا شيء مميز. ماذا عنك أنت؟».

بطريقة ما، ولأسباب تجهلها كلويه كلياً، انقلبت الأمور رأساً على عقب.

أجابها: «ما زلت أجري أبحاثاً من أجل كتابي الجديد».

أومأت كلويه: «تعني روايتك السياسية؟».

وأخيراً، سار الحديث على النحو الذي ترغب فيه، فأضافت من دون اهتمام: «هل بدأت بكتابتها؟».

وحاولت ألا تبدي اهتماماً بجوابه، فراحت تقطع الخبز في صحنها، فيما قال فيرغوس: «ليس بعد. أفضل أن أقوم بكافة الأبحاث أولاً، لكي أكون واثقاً من المعطيات اللازمة كلها».

ـ ألا تخشى أن يقاضيك أحدهم بتهمة تشويه سمعته؟

حاولت إغاظته بسؤالها، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً، فوالدها لا يستطيع مقاضاته. إذ أن هوية والد طفل سوزان ستيرلينغ الذي لم يولد ما زالت مجهولة حتى الآن.

قال فيرغوس يحثّها بنعومة: «أنا محامٍ كلويه. وأعرف ما هي حدودي. لكن، هل تهتمين أنت بالسياسة؟».

شعرت كلويه بأن أنفاسها علقت في حنجرتها، إنها تتنفس السياسة كالهواء، فكيف تستطيع ألا تهتم بها؟

أصر فيرغوس قائلاً: «ها قد أصبح لديك مدخل إلى الموضوع».

ثم أضاف بسخرية لاذعة: «لكني أتساءل، هل لديك الجرأة للتحدث فيه!».

نظرت كلويه إليه بحدّة، فشعرت أن اللون اختفى من خديها، حين واجهت مرة أخرى تلك النظرة المتحدية في عينيه البنيتين المليتين بالغموض. إنه لأمر غريب! عندما التقته أول مرّة شعرت أن عينيه دافئتان كالشوكولا الساخنة، أما اليوم فهما أشبه بكرتين بنيتين من الجليد البلوري. ابتلعت ريقها بصعوبة: «ماذا تعني؟».

أجابها ببرودة: «لا أحب الألاعيب الملتوية كلويه، ولم أحبها يوماً».

ثم أضاف: «كما أنك سحقتِ قطعة الخبز في صحنك حتى غدت فتاتاً».

أبعدت كلويه يدها بسرعة ما إن لاحظت أنها حولت قطعة الخبز إلى قطع صغيرة جداً. لا يمكن لذلك أن يدل على عدم اهتمامها بموضوع الحديث!

كرّر فيرغوس بخشونة: «سألتك إن كنت تهتمين بالسياسة كلويه».

حاولت أن تتكلم لكنها شعرت وكأن فكيها التصقا ببعضهما: «أ...».

إنه يعلم! لا تعرف كيف توصل إلى ذلك. لكنها واثقة من أنه يعلم..

انحنى فيرغوس فوق الطاولة، حتى غدا وجهه على بعد سنتيمترات قليلة من وجهها، وقال من بين أسنانه: «هيا كلويه فوكس هاملتون. أجيبي عن سؤالي. عليك اللعنة!».

كلويه فوكس هاملتون. نعم، إنه يعلم!

بللت كلويه شفتيها الجافتين: «فيرغوس...».

قال فيرغوس بهدوء: «ليست لدي فكرة كيف توصلتِ إلى معرفة موضوع كتابي الجديد، لكنني أؤكد لك أنني سأكتشف ذلك في وقت قريب».

ثم أضاف بحدة: «إلا أنني أعرف أمراً واحداً آنسة فوكس هاملتون، وهو أن خروجنا معاً لن يؤثر مثقال ذرة في رغبتي في كتابة هذه الرواية. هل هذا واضح؟».

وهكذا أنهى كلامه بإعلان بارد كالثلج.

إنه واضح كالكريستال!

***

٧ ـ نصيحة تؤدي إلى . . . ورطة

لقاؤهما ليلة السبت الفائت، عشاؤهما معاً مساء الجمعة، وكل الأمور التي تعرفها كلويه عنه لم تكن سوى وسائل تستخدمها للوصول إلى نتيجة واحدة. نعم، لم تكن سوى إحدى الوسائل للوصول إلى هدفها!

وهذه القضية شكّلت طعنة لكبريائه، ما جعل فيرغوس يشعر بمزيد من الغضب، حتى إن معرفته بالأسباب لم تساعد في تخفيف انفعاله.

نظر فيرغوس إلى كلويه عبر الطاولة بعينين تلتمعان غضباً: «أخبريني كلويه . . . فأنا أتوق إلى معرفة ما الذي كنت تخططين له بالتحديد بالإضافة إلى إغوائي؟».

أجفلت كلويه: «لم أكن . . .».

رفع يده محتجاً: «أرجوك. ما دمت ابنة بول هاملتون، فلا بد أنّ لديك خطة ما».

تورد خداها غضباً والتمعت عيناها بلون أزرق داكن: «لا تتحدث عن والدي بهذه اللهجة».

نعم، ها هو يلاحظ التشابه بين الأب وابنته. الشعر الأسود نفسه، العينان الزرقاوان نفسيهما، والكثير من التشابه في ملامح الوجه. كلويه هي ابنة الوزير السابق بول هاملتون، وهذا هو سبب معرفتها ببيتر أمبروس ومعرفته بها. الآن، وبعد أن عرف فيرغوس حقيقة هويتها، لم يعد واثقاً من أن افتراضاته السابقة صحيحة.

منذ أن عرف هويتها الحقيقية بالأمس والقلق يتآكله، فلم يذق طعم النوم أو الطعام وراح يقلب في رأسه أحداث الأحد عشر يوماً الماضية. ولم يجد في أي من الأحداث دليلاً واحداً على أن كلويه معجبة به لشخصه. والحق يقال، هذا ما جعله يشعر بالضغينة تجاهها. فهذه المرأة أعجبته حقاً! بل أعجبته كثيراً.

أطلق فيرغوس تنهيدة عميقة، ثم سألها بأسى: «ما الذي تريدينه مني كلويه؟».

التمعت عيناها الزرقاوان الداكنتان بالدموع وهي تنظر إليه، ثم انفجرت قائلة وقد خنقتها مشاعرها: «أريدك أن تدع أبي وشأنه. جد موضوعاً آخر لكتابك. ألم يعانِ بما فيه الكفاية؟».

ولئلا يضعف أمام دموعها، أجبر فيرغوس نفسه على أن يتذكّر أن كلويه أقحمت نفسها في حياته وفق خطة مدبرة.

- لكن أسرة سوزان سترلينغ لا توافقك الرأي، لذا . . .

قالت مدافعة بضراوة: «أبي لم يكن متورطاً مع سوزان سترلينغ».

رفع فيرغوس أحد حاجبيه: «لكن الرأي العام له موقف آخر . . .».

قاطعته كلويه بانفعال: «لا يهمني ما يعتقده الرأي العام. فأبي يحب أمي، وهو ما زال يحبها».

فردّ فيرغوس: «كل الأولاد يظنون أن والديهم متحابان».

التمعت عيناها بالغضب بدلاً من الدموع: «كيف لك أن تعلم؟ فوالداك مطلقان. . أنا آسفة».

وشهقت وهي تضع يدها لتغطي فمها بأسف: «ما كان علي أن أقول ذلك».

أكد لها فيرغوس بصوت هادىء خطير: «كلا، ما كان عليك أن تقولي ذلك».

ثم تابع بنبرة أكثر تهذيباً: «أفهم أنك تحبين والدك، ولهذا السبب أنت تؤمنين ببراءته . . .».

أوضحت له كلويه بإصرار: «لا علاقة للإعجاب أو لحبي لوالدي بهذا الأمر».

إلا أنها استدركت قائلة، أمام تعبير فيرغوس الساخر: «من الطبيعي أن يكون لهما علاقة بالأمر. لكن الحقيقة لن تتغير فوالدي لم يكن متورطاً مع سوزان ستيرلينغ».

ونظرت مباشرة في عيني فيرغوس كأنها تتحداه أن يخالفها الرأي مرة ثانية.

ظل فيرغوس يبادلها النظر للحظات طويلة، فيما راحت تتصارع في داخله مشاعر الشفقة عليها بسبب إيمانها بوالدها من جهة، ومشاعر الغضب منها بسبب احتيالها عليه من جهة أخرى. كما شعر بالإعجاب بها، ولو رغماً عنه، لاندفاعها اللامتناهي من أجل حماية والدها. وأخيراً، قال في محاولة لتلطيف الأجواء: «تناولي حساءك قبل أن يبرد».

لم تبدُ كلويه أكثر اهتماماً منه بتناول طعامها. التقطت ملعقتها وراحت تحرك الحساء الذي غدا بارداً بقلب منفطر.

وأخيراً، أخذت نفساً ثم تمتمت بصوت أجش: «لطالما اعتقدت أن المرء في هذا البلد يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته».

أكّد فيرغوس بتثاقل: «وهو كذلك».

اللعنة! إنها تبكي. يمكنه أن يرى دموعها وهي تسيل فوق خديها الشاحبين.

أخذت كلويه نفساً آخر: «هل تعلم أن والدي سوف يترشح للانتخابات القادمة؟».

- نعم.

رفعت كلويه رأسها، ولأنها كانت تبكي فقد تجمعت الدموع فوق رموشها: «كيف..؟».

قال فيرغوس ببطء: «قابلت بيتر أمبروس يوم أمس بدلاً من يوم الأربعاء».

عندما أعلمه بيتر أمبروس، عن غير قصد، أن كلويه هي ابنة بول هاملتون، شعر فيرغوس وكأنه تلقى ضربة على معدته. كما فوجيء بيتر حين علم أنّ فيرغوس يجري بحثاً عن الكارثة التي حلت بوالدها في الماضي، فيما هو وكلويه صديقان حميمان. أما فيرغوس فقد أصيب بالذهول، ولم يعد يعرف كيف يتصرف إلى أن ينتهي لقاؤهما.

إنه يشعر بالغضب الشديد منذ ذلك الحين. وراح يتذكر الأمور التي حيّرته في تصرفات كلويه منذ أن عرف عنها تلك المعلومة: إلحاحها للتعرف إليه مساء السبت الفائت، معرفتها بعنوان سكنه ورقم هاتفه، حتى أنها تعرف كيف يفضل القهوة..

لكن ما يريد معرفته في الدرجة الأولى هو كيف توصلت إلى معرفة موضوع كتابه الجديد. قال ببطء شديد: «كلويه، من أخبرك أنني بصدد تأليف هذا الكتاب المميز؟».

التفتت بعيداً وقالت بخشونة: «يكفي أنني علمت».

أجاب بصرامة: «كلا».

ثم عبس باهتمام: «قلة من الناس تعرف هذا الأمر، ومنهم وكيل أعمالي والناشر. حتى إنهما لا يعرفان إلا القليل من المعلومات. فكيف توصلت إلى معرفة ذلك؟».

ترددت قليلاً ثم قالت بعدائية واضحة: «حسناً، لقد علمت بالأمر، وهذا يكفي».

كلا، هذا ليس حسناً على الإطلاق. فحتى يوم أمس، أي موعد لقائه مع بيتر أمبروس، قلة من الناس كانت تعرف هذه المعلومة، ولا يحق لهم مناقشة موضوع الكتاب. وها هي كلويه تمتنع عن الافصاح عن مصدر معلوماتها كما أنها تتجنب عمداً النظر إليه...

وفجأة عادت كلويه تنظر إليه: «هل ما زلت تنوي المضي قدماً في كتابة هذه الرواية؟».

وأضافت بنفاد صبر وهي تراه يرفع حاجبيه سخرية: «حتى بعد أن عرفت أن أبي ينوي ترشيح نفسه للانتخابات القادمة؟».

توتر فم فيرغوس، فقد أدرك أن جوابه لن يعجب كلويه البتة. إذ إنّ موضوع روايته يرتكز على تلك الفضيحة. كما أنه هو نفسه من الأشخاص الذين يعتقدون أن والدها مذنب. وهذا بالتأكيد لن يعجبها أيضاً...

على أي حال ليس هذا ما تسأله كلويه.

تشدق قائلاً: «هل تقصدين الآن، أي بعد أن خرجنا معاً؟».

أطلقت كلويه صوتاً كالفحيح: «نحن.. أنا لم...».

فقال ببرودة من بين أسنانه: «أخبرتك يا كلويه أنني لا أحب الألاعيب».

وراح ينظر إليها بتعبير ساخر. أتراها تعتقد حقاً أنه سيغير رأيه في ما يتعلق بكتابة هذا الكتاب لمجرد أنها تورطت معه؟ هز رأسه مفكراً، فهو لم يكن يظن أن كلويه تفكر بهذا أبداً.

قالت كلويه وهي لا تزال محنية الرأس: «كل ما أردته هو التحدث إليك».

بالكاد كانت كلماتها مسموعة، إذ بدا صوتها مشبعاً بالانفعالات ثم أضافت وهي ترتجف: «كنت مستعدة للتوسل إليك إذا لزم الأمر كي تترك والدي وشأنه».

قال فيرغوس بنبرة حادة وعنيفة: «لِمَ لم تتبعي الطرق المألوفة لمقابلة أي شخص إذن؟ كان بإمكانك أن تتصلي هاتفياً لتحديد موعد لمقابلتي».

رفعت رأسها تنظر إليه بعينين مليئتين بالدموع، ثم قالت تتحداه: «وهل كنت ستوافق على رؤيتي إذا ما قلت لك إن اسمي هاملتون؟».

كلا! نعم! ربما.. هذا ما أقر به أخيراً. فهي في النهاية مقربة جداً من بول هاملتون...

ما الذي يفكر فيه؟ لقد استخدمت كلويه طريقة ملتوية للوصول إليه، وهو يشعر بالغضب الشديد لأنه بدا كالمغفل. لكن لو استخدمت الطريقة الصحيحة فذلك لا يعني أنه كان سيتصرف كما يخيل إليها تماماً..

أكدت كلويه وكأنما قرأت أفكاره من تعابير وجهه: «ربما كنت لتوافق بسبب الفضول ليس إلا».

شعر فيرغوس بالانزعاج لأن أفكاره ومشاعره بدت واضحة على وجهه إلى هذا الحد. لا! إنه لا يحب ذلك أبداً. فسألها بنبرة قاسية: «وهكذا، قررت مقابلتي بطريقة أخرى، فأعطيتني اسماً غير دقيق تماماً، ثم وضعتني في وضعية مشبوهة، و.. ماذا بعد ذلك كلويه؟ هل تسعين إلى ابتزازي؟ بالطبع، سيكون موقفي محرجاً جداً إذا شاع أنني أقيم حالياً علاقة مع ابنة بول هاملتون. أليس كذلك؟».

لم يبد وجه كلويه بهذا الشحوب من قبل، أما عيناها فغدتا كبركة من

الانفعالات المريرة ذات لون أزرق داكن.

شعر فيرغوس أنه يكاد يذوب من الداخل لمنظرها هذا، وكره نفسه لأنه السبب في ألمها ومرارتها.

كلا! عليه ألا يشعر بالضعف أمامها. كلويه هي التي وضعت نفسها في هذا الموقف عمداً. وهي لم تفكر فيه كإنسان حين وضعت خطتها للإيقاع به. إذا ما ضعفت إرادته الآن فسوف يؤدي به ذلك إلى الموافقة على كل ما تطلبه منه.. بما في ذلك التخلي عن كتاب أمضى حتى الآن أسابيع من البحث لتحضيره.

سألته كلويه بهدوء: «هل سبق لك أن قابلت والدي؟».

توتر فم فيرغوس: «كلا، ليس بعد».

أصرت قائلة: «ألا تنوي أن تقابله قبل الشروع في تأليف كتابك؟».

قال مذعناً بتذمر: «هذا محتمل».

لم يكن ينوي إخبار كلويه أن لديه موعداً مع والدها يوم الجمعة. فهو ما زال غاضباً منها ويرغب في أن يتركها قليلاً بعد في معاناتها.

أومأت كلويه: «إذن، أظن أن عليّ الاعتماد على هذا الأمر».

التوى فم فيرغوس ثم عاوده التوتر: «هل تقصدين أنني ما إن ألتقيه حتى أدرك أنني مخطىء بشأنه؟».

أرجعت رأسها إلى الوراء باعتزاز: «نعم».

هز فيرغوس رأسه مجدداً: «أظن أنك متفائلة للغاية كلويه».

أكدت له بعناد: «وأنا أظن أن علينا الانتظار لنرى ما سيحصل».

قال بصوت خشن مثير للأعصاب: «لقد تماديت كثيراً كلويه».

ثم تابع: «تعلمين أنني لا أذكر شيئاً عما حصل بيننا تلك الليلة، وإذا كنت تنوين اللجوء إلى الصحف لتدعي أنّ...».

شهقت كلويه غير مصدقة: «هل تعتقد حقاً أنني أنوي ابتزازك؟».

نظر إليها فيرغوس ببرودة: «ماذا إذن؟».

أخذت كلويه نفساً عميقاً، ولوّن الغضب خديها بقوة: «لمعلوماتك سيد ماكلاود...».

قاطعها بازدراء: «ماذا ستضيفين إلى معلوماتي؟».

رفعت كلويه صوتها ليسمع كل من حولهما: «وإلى كل من يهمه الأمر أيضاً..».

وكررت ما قالته بوضوح وبطء: «لمعلوماتك سيد ماكلاود، أنا لم أشاركك سريرك ليلة السبت الفائت. بل أمضيت الليلة.. كل الليلة.. جالسة على المقعد في غرفة نومك».

لم يتحرك فيرغوس من مكانه، وكأنه التصق بمقعده بالغراء. وحدها نظراته راحت تجول بانزعاج في أنحاء المكان. لكن ذلك كان كافياً ليدرك أنهما أصبحا محور اهتمام الزبائن والنادلين والنادلات.

وفجأة راح فيرغوس يقول ببطء: «كلويه..».

فيما تابعت كلويه تصريحها: «لم أشاركك السرير سيد ماكلاود. كما أنك كنت قد تناولت حبة منوم، ولم يعد بإمكانك سوى الاستسلام للنوم. لذا، لا يمكنني اتهامك بأي شيء على الإطلاق».

ثم تمتمت باحتقار: «هل أوضحت موقفي الآن؟».

لقد أوضحته جداً. وما كان من فيرغوس إلا أن قال متهكماً: «لست واثقاً من أن الذين يعملون في المطبخ سمعوكِ».

أصبحا الآن محط أنظار كل من في المطعم. وقفت كلويه بسرعة ونظرت بحدة باتجاه المطبخ لترى دانييل سيمون واثنين من مساعديه يقفون أمام الباب المفتوح، فصاحت قائلة: «يبدو أنهم سمعوا أيضاً. وداعاً».

أومأت له بحدة قبل أن تستدير لتسير عبر المطعم برأس شامخ.

يا إلهي! إنها ساحرة! اعترف فيرغوس بذلك لنفسه فيما هو يراقبها. إنها ساحرة تماماً، فهي تبدو كأميرة حقيقية وهي تسير بثقة واعتزاز. كتفاها مشدودتان إلى الوراء ورأسها مرفوع إلى الأعلى، فيما شعرها الأسود الطويل يتوج رأسها وينسدل متموجاً فوق ظهرها حتى يكاد يصل إلى خصرها.

ما إن أغلق باب المطعم خلف كلويه حتى سمع فيرغوس صوت دانييل يقول له بتهذيب: «تعال معي إلى المطبخ».

وقف فيرغوس وهو يشعر بالضياع تقريباً، وترك الرجل الأكبر سناً يقوده من ذراعه إلى مطبخ المطعم حيث تعبق روائح الطعام الشهية. وما إن أقفل الباب خلفهما حتى هز دانييل رأسه قائلاً: «ما قصتكم مع هذا المطعم أنتم الاسكوتلنديون؟».

ثم أضاف مسلماً بسخرية: «لا بأس، فلننظر إلى الجانب المشرق من الأمر. على الأقل، لم تسكب تلك المرأة على رأسك طبق الغسباتشو قبل أن تغادر».

لم يكن فيرغوس منزعجاً جداً من خروج كلويه الدرامي ذاك، حتى إنه لم يفطن إلى أن دانييل يشير إلى علاقة ابنته دارسي بابن خالته لوغان.

قال فيرغوس للرجل الآخر بنبرة عنيفة: «إنها لم تشاركني الفراش دانييل».

التوى فم دانييل وقال مؤكداً: «أظن أن هذا أفضل».

تمتم فيرغوس بلهجة راضية: «بالضبط».

إن إعلان كلويه ذلك وسط الحشد الموجود في المطعم لم يجعله يشعر بالرعب كما توقع بل في الواقع، لم يشعر يوماً أنه أسعد حالاً!

* * *

ما الذي فعلته لتوها؟

جلست كلويه في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة بامتنان. وكانت السيارة قد توقفت ما إن لوحت لها فور خروجها من المطعم، فاندفعت إلى داخلها على عجل وطلبت من السائق أن يقلها إلى منزلها. خيل إليها أنها تشعر بأنفاس فيرغوس التي تغلي من الغضب وكأنها تلسعها في مؤخرة عنقها.

إلا أن نظرة سريعة إلى الخلف أنبأتها أن فيرغوس لم يتبعها. وهي لن تلومه إن فعل، فقد أعلنت لتوها أمام حوالى أربعين شخصاً على الأقل أنه لم يكن ليلة السبت الفائت في حالة تسمح له بمغازلتها!

ما الذي أصابها لتقول ما قالته؟ حسناً، الجواب على ذلك في منتهى البساطة. لقد أجبرت على ذلك بعد أن اتهمها فيرغوس بأنها تنوي ابتزازه كي يتخلى عن فكرة كتابه الجديد. شعرت بالانكماش لذكرى تلك الوجوه التي علتها الصدمة حين أعلنت بصوت مرتفع أنّ فيرغوس اكتفى بالنوم يومها.

لقد تحول الأمر إلى ورطة. ورطة كبيرة لا حل لها. فبدلاً من كسب تعاطف فيرغوس وتفهمه فيما يتعلق بوالدها، أثارت غضبه واحتقاره. والأسوأ من هذا كله، أن فيرغوس بدا مصمماً أكثر من قبل على المضي قدماً في تأليف كتابه.

أما هي، فعليها.. وفي وقت قريب، أن تنقل الخبر إلى والديها. وهذا أمر لا تتطلع إلى القيام به بحماسة. على أي حال، لن يكون لديها فرصة مناسبة في الأيام القادمة، فوالداها بعيدان حالياً عن المنزل.

حين عاد والدا كلويه إلى المنزل مساء يوم الخميس بدا عليهما الإرهاق، حتى إن قلبها لم يطاوعها للتطرق إلى هذا الموضوع. أما يوم الجمعة فيصادف عيد زواج أختها، وقد اتفق أفراد الأسرة على الخروج للعشاء احتفالاً بالمناسبة، ما يجعل هذا اليوم أيضاً غير مناسب للحديث في الموضوع. وأملت كلويه أن تسنح لها الفرصة في عطلة نهاية الأسبوع، فهي تعلم أنها لا تستطيع تأجيل الأمر أكثر. إذا لم يتحدث بيتر أمبروس مع والدها بهذا الشأن بعد فلن يطول الأمر به قبل أن يقوم بذلك. لذا، من الأفضل أن تخبره بنفسها، مع أنها ستجد صعوبة في تفسير مسألة معرفتها الشخصية بفيرغوس.

منذ ذلك اليوم، لم تسمع أي خبر عن فيرغوس. في الواقع، لم تكن تتوقع ذلك بعد فشلها الذريع معه في المطعم، لكن عندما يتعلق الأمر بفيرغوس بالتحديد، فإن عدم سماعها أي خبر منه لا ينبىء بالخير البتة.

نزلت كلويه السلم صباح يوم الجمعة في طريقها لشراء هدية لبيني ودايفيد، لتقدمها لهما ذلك المساء، وإذا بها تصاب بالذهول، بعد أن التفتت من باب الفضول إلى غرفة الانتظار في مكتب والدها، فوجدت فيرغوس جالساً فيها.

شهقت كلويه وعلا الشحوب خديها. فدخلت إلى الغرفة بسرعة وأغلقت الباب خلفها، ثم صاحت به بنبرة اتهام: «ما الذي تفعله هنا؟».

وكأنها حقاً بحاجة لأن تسأل!

بدا فيرغوس في غاية الارتياح وهو يرفع نظره إليها، إذ قال من غير مبالاة: «أعمل وفق نصيحتك، أتيت بالطبع لمقابلة والدك».

كان يجلس في أحد المقاعد، وقد ارتدى بذلة داكنة اللون وقميصاً أزرق وربطة

عنق مناسبة. علا الاحمرار وجنتي كلويه حين تذكرت المناسبة التي أعطته فيها تلك النصيحة. ما الذي فعله فيرغوس ذلك اليوم بعد مغادرتها للمطعم؟ أتراه تابع تناول غدائه أم قرر المغادرة هو أيضاً؟ فكرت كلويه في أنه فضّل الخيار الثاني على الأرجح.

لا تزال كلويه تشعر بالخجل لمجرد التفكير في تصرفها ذلك اليوم في المطعم.

كما أن احتمال رؤيتها لفيرغوس مرة أخرى بقي يقلقها. لكنها لم تتوقع، بالتأكيد، أن تلتقيه في منزل والديها.

وما إن أدركت ما يرمي إليه حتى قالت ببطء: «إذن، ما زلت مصمماً على متابعة العمل الذي تنوي القيام به؟».

وقف فيرغوس ببطء فملأ الغرفة بقامته الفارعة الطول. وقال مؤكداً: «أنا هنا لمقابلة والدك».

وهل توقعت كلويه أن يستجيب لما طلبته منه؟ ففي لقائهما الأخير، أحرجته علناً أمام الناس. وأردف فيرغوس بثقل: «دخل مساعده، دايفيد، ليعلمه بوجودي».

نظرت كلويه إليه بعينين خائفتين ثم قالت تناشده: «أرجوك، لا تدع عدائيتك تجاهي تؤثر على شعورك تجاه والدي».

ضاقت عينا فيرغوس البنيتان وأخفض بصره لينظر إليها، وسألها مشيراً إلى السترة التي ترتديها فوق القميص القطني والبنطلون الجينز: «هل أنت خارجة؟».

لم يخف عليها أنه يتهرب من الإجابة عن سؤالها. كما أنها لم تعد واثقة الآن أكانت ستخرج أم لا بعد مجيئه لرؤية والدها فقالت: «لقد كنت...».

ثم صمتت لتسأله بحذر: «لماذا تسأل؟».

هز فيرغوس كتفيه من دون مبالاة قائلاً: «ما من سبب محدّد. لقد فكرت فقط إن كان بإمكاننا أن نتناول الغداء سوياً حالما أنتهي من محادثة والدك».

فكّر فقط!!

ردّت كلويه بسرعة: «أنا أشك كثيراً في أننا سنود ذلك! بالإضافة إلى هذا، هل تظن أنها فكرة صائبة.. بعد آخر لقاء لنا؟».

ابتسم فيرغوس وقال متشدقاً: «لا أنصحك بتكرار ذلك المشهد الدرامي مرة أخرى».

وتابع معلّقاً: «من الواضح أنه لم يكن هناك صحفيين في المطعم يوم الثلاثاء الماضي، لكن قد لا تكونين محظوظة في المرة القادمة».

لطالما ساورها القلق في اليومين الماضيين من رؤية إحدى المقالات المثيرة التي تتحدث عما حصل في مطعم الشيف سيمون. لكن يبدو أنها كانت محظوظة كما قال فيرغوس.

أخذت كلويه نفساً مرهقاً: «أنا حقاً آسفة لما حصل يوم الثلاثاء. أنا فقط.. أنت...».

أسكتها فيرغوس بلطف: «لا داعي للكلام كلويه، يكفيني اعتذارك».

ثم رفع يده بهدوء ليمسد وجنتها الشاحبة: «لقد تصرفنا بغرابة يومها. وقد أكّد لي دانييل أن ما حدث لم يؤثر مطلقاً على عمل المطعم، بل يبدو أن الناس جلسوا مطوّلاً بعد ذلك لتناول القهوة والعصير وهم يتحدثون عن الموضوع».

صدّقت كلويه ما قاله فحديثهما بدا كعرض مسرحي! إلا أنها قالت بتردد: «أظن أنك تأخذ الأمور ببساطة كبيرة».

هزّ فيرغوس كتفيه مجدداً: «أظن أن سمعتي كعاشق قد تأثرت قليلاً، لكن.. من يهتم لذلك؟ أنت..».

- آسف لتأخيرك سيد ماكلاود... كلويه؟

دخل والد كلويه إلى الغرفة لمقابلة فيرغوس وسرعان ما بدا عليه التعجب لرؤية كلويه مع ذلك الرجل، فأضاف مستفهماً: «لم أكن أعلم أن ثمة معرفة سابقة بينكما».

نظرت كلويه إلى فيرغوس بارتباك قبل الالتفات مجدداً إلى والدها: «أنا...».

تدخل فيرغوس بحزم وهدوء واضحين مواجهاً نظرات الذهول التي رمقته بها: «أنا وكلويه صديقان قديمان».

ثم أضاف: «في الواقع، أردت دعوتها إلى الغداء».

ازداد ارتباك كلويه، ما الذي يخطط له فيرغوس؟ هما ليسا صديقين قديمين، فأسبوعان من المعرفة لا يجعلانهما كذلك أبداً! ولو كانت المواقف معكوسة، وفيرغوس هو من تصرف مثل تصرفها في المطعم، لما دعته بالتأكيد لتناول الغداء مجدداً. رمقته بعينين ضيقتين قبل أن تبتسم لوالدها وتشرح له بلباقة: «لسوء الحظ، عليّ أن أعتذر عن قبول الدعوة، إذ عليّ أن أنزل إلى السوق للتبضّع».

قبل فيرغوس عذرها وقال ببساطة: «إذن، يبدو أن الدعوة ستصبح دعوة إلى العشاء».

توهجت وجنتا كلويه لشدة غضبها من غطرسته الزائدة، إلا أن والدها أجابه هذه المرة ضاحكاً: «يبدو أن الحظ لن يحالفك في هذه الدعوة أيضاً سيد ماكلاود. فالليلة لدينا احتفال عائلي، إنه عيد زواج ابنتي الكبرى».

ثم تابع يقول: «لِمَ لا تنضم إلينا فتشارك ابنتي الجميلة العشاء مع بقية أفراد عائلتها، هذا.. إذا لم يكن لديك مانع طبعاً. ما رأيك إذن؟».

ذهلت كلويه لفظاعة هذا الاقتراح، لكن نظرة واحدة إلى فيرغوس جعلتها ترى لمحة السخرية في عينيه وهما تلتقيان مباشرة بنظراتها القلقة، فأدركت على الفور أنه سيقبل هذه الدعوة.

كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟

كيف يجرؤ؟

***

٨ ـ ابتسمي، بحق السماء!

فهم فيرغوس من نظرات كلويه الغاضبة أنها توقعت منه أن يرفض دعوة والدها. لكن هذا وحده كان كافياً لجعله يقبل الدعوة. قال بول هاملتون بلباقة بعد أن شعر بترددهما: «سأتركما لتناقشا الموضوع».

ثم التفت إلى فيرغوس مبتسماً: «كلويه سوف ترشدك إلى مكتبي ما إن تنهيا كلامكما».

راقب فيرغوس الرجل وهو يغادر الغرفة. بدا بول هاملتون مشابهاً تماماً لتلك الصور الفوتوغرافية التي يملكها، إلا أن تلك الصور لا تعكس نظراته الحانية والنبرة الدافئة في صوته وهو يتكلم عن ابنته الجميلة. تلك الابنة الجميلة التي راحت تهمس لفيرغوس بغضب: «عليك أن ترفض الدعوة».

ثم أضافت بقرف: «لا يمكن أن تكون منافقاً إلى درجة قبولها».

فكر فيرغوس بذهن شارد، بأن اللون الذي علا وجنتيها يناسبها تماماً ويزيدها جمالاً، كما يعطي عمقاً لتلك الشرارة الزرقاء الغاضبة في عينيها. لم يكن واثقاً من أنه سيرى كلويه هنا اليوم، لكنه أمل ذلك بالتأكيد. إذ سيوفر عليه هذا عناء التذلل والاتصال بها وسيجنّبه احتمال أن ترفض التحدث إليه. كما أنه وببساطة، أراد رؤيتها مجدداً.

بدت كلويه اليوم أصغر سناً ببنطلونها العملي وقميصها القطني اللذين أبرزا بوضوح لمسات مصممة أزياء ذات ذوق رفيع. في الواقع، لقد بدت مذهلة. لكنها دائماً...

أجابها بعبوس: «لا تكوني سخيفة كلويه. أنت تعتقدين أنني قاسي القلب

وغير مبالٍ، فلِمَ لا تضيفين صفة المنافق إلى اللائحة؟».

شعرت برغبة في أن تضرب الأرض بقدمها احتجاجاً، لكنها تعلم أن هذا التصرف لا يليق بفتاة مهذبة. قالت بإحباط: «لأنه.. لأنه لا يمكنك القيام بذلك».

ابتسم فيرغوس ورفع يديه إلى الأعلى: «بالطبع يمكنني. لقد دعاني والدك للتو».

حدّقت كلويه إلى وجهه: «سيندم والدي على هذه الدعوة حالما تتحدث إليه».

وافقها فيرغوس من دون أن يبدي اهتماماً: «ربما. لكنني واثق من أنه أكثر تهذيباً من أن يسحب دعوته بعد أن قبلتها. وأنا أود فعلاً قبول هذه الدعوة».

ـ لا يمكنني تصديق ذلك!

استدارت كلويه وسارت لتحدّق من النافذة. ثم هزّت رأسها غير مصدّقة: «أنت رجل مزيف وليس لديك مبادىء، وأسوأ مما كنت أتصوّر».

صمت فيرغوس قليلاً ولم يتمكن من التكلم بسبب الإهانة التي تعرض لها، إلا أنه ذكر نفسه بأن هذه الإهانة مقصودة. لا بد أن كلويه تأمل أن يدفعه غضبه من الإهانة إلى رفض دعوة والدها له. وبخها بنبرة ساخرة: «أنت تتعمدين إهانتي كلويه».

فردّت على الفور: «حبذا لو أستطيع القيام بأكثر من ذلك».

إنه واثق من ذلك! فقد كانت يدا كلويه مشدودتين في قبضتين إلى جانبيها، وقد بدا التوتر على جسمها كله بسبب غضبها المكبوت. أما فيرغوس فشعر بأن جلّ ما يرغب فيه في هذه اللحظة هو أخذها بين ذراعيه ومعانقتها، لكنه أدرك أنه لو حاول ذلك لما ترددت كلويه لحظة واحدة في صفعه. ابتسم لها ابتسامة فاترة: «لا بدّ أنني سأعرف المزيد من التفاصيل من والدك هذا المساء...».

قاطعته كلويه بتصميم: «فيرغوس، لا يمكنني أن أسمح لك بأن تتناول العشاء مع عائلتي. سيكون عليّ إخبار والدي...».

قال فيرغوس متحدياً: «تخبرينه بماذا؟ ماذا تودين إخبار والدك بالضبط عن

www.elromancia.com

صداقتنا كلويه؟ هل ستخبرينه أنك تعمدت أن تتقربي مني منذ أسبوعين؟».

تابع كلامه رغم محاولتها مقاطعته: «هل ستقولين له إنك أمضيت الليلة في منزلي؟».

توقف فيرغوس عن الكلام حين لاحظ شحوب وجهها، ثم تابع منتمتماً: «أنت لن تخبريه بذلك كلويه، على ما أظن».

التمعت عيناها بمشاعر الكره وهي تقول: «أنا... أنا أكرهك فيرغوس!».

أجابها: «ثمة خيط رفيع بين الكره والحب على حدّ علمي».

هذا الهياج العاطفي الذي أصاب كلويه جعله يتأثر في أعماقه. فهو لا يريدها أن تكرهه رغم أنه غير واثق بعد مما يريده منها. لكن ليس الكراهية بالتأكيد.

ـ أؤكّد لك بأنني لن أتجاوز هذا الخيط أبداً!

تجاوزته كلويه، ثم فتحت الباب قبل أن تلتفت إليه مجدداً لتحملق في وجهه قائلة: «أنت، أكثر الرجال الذين قابلتهم في حياتي خساسة».

يا إلهي! إنها طرية العود، صغيرة السن وبالغة الحساسية. حتى إن فيرغوس أراد أن يلفها بذراعيه ليبعد عنها كل ما يمكن أن يؤذيها. لكن ما منعه من القيام بذلك هو خشيته من مواجهة بعض المشاكل حين يذهب لمقابلة والدها بعد دقائق، حيث سيضطر لشرح سبب وجود خدوش طفيفة على وجهه. وبدلاً من ذلك قال: «أراك هذا المساء كلويه».

ضاق فمها وهي تقول: «ربما أصاب بصداع يمنعني من تناول العشاء معكم. حتى إنني أشعر بصداع منذ الآن».

رفع فيرغوس حاجبين هازئين: «صداع آخر؟ لا أظنك تفعلين هذا بأختك وصهرك الليلة».

وفجأة، هبطت كتفاها كآبة وبدت عيناها كبركتين كبيرتين مليئتين بالألم وخيبة الأمل. نظرت إليه ثم أذعنت قائلة: «أنت محق. لن أفعل ذلك».

ثم أكملت بفتور: «لكنني أتمنى شيئاً واحداً فيرغوس ماكلاود.. أتمنى لو أنني لم أقابلك أبداً».

هذا التعليق اللاذع أزعج فيرغوس، إلا أنه تمسك بقوة إرادته للسيطرة على نفسه وعدم اللحاق بها وهي تقطع عبر الصالة متجهة إلى خارج المنزل بهدوء، بعد أن أغلقت الباب خلفها بحزم.

توترت عضلات فكيه وهو يراقبها فيما هي تغادر المنزل. وشعر أن خروجها من المطعم يوم الثلاثاء بتلك الصورة الدرامية لهو أفضل مما حصل اليوم. على الأقل، لم تقل له يومها إنها تكرهه!

لا شك أن خروجها المفاجيء الآن تركه في مأزق صغير، فهو لا يملك أدنى فكرة عن مكان مكتب بول هاملتون وهو، بالتأكيد، لن يتجوّل في أنحاء المنزل ليكتشف مكانه.

ـ هل يمكنني مساعدتك، تبدو ضائعاً قليلاً.

التفت فيرغوس بحدة نحو مصدر الصوت النسائي الأجش. وشعر وكأن أحداً سدد إليه ضربة قوية في صدره وهو ينظر إلى امرأة شكلها يشبه كلويه تماماً بعد ثلاثين سنة؛ رقيقة الجسم، ذات شعر داكن، وتتميز بالنعومة والجمال مع بعض التجاعيد حول عينيها وفمها. لقد عرف هوية تلك المرأة، إنها ديانا والدة كلويه.

حياها فيرغوس بتهذيب: «سيدة هاملتون، يفترض بي أن أكون في مكتب زوجك، لكنني أخشى أنني تهت».

لا داعي لأن يشرح لها أن كلويه خرجت وتركته ليتدبر أمره بنفسه. ضحكت ديانا ضحكة ودود وقالت: «من السهل أن يضيع المرء في هذا المنزل. تعال معي».

دعته بدفء واستدارت لترشده إلى المكتب. لحق فيرغوس بها وهو يفكر في أنه يصعب على أي رجل ألا يلبي دعوة هذه المرأة الجميلة البالغة اللطف!

وقف بول هاملتون ما إن دخل فيرغوس إلى مكتبه: «سيد ماكلاود».

ثم ابتسم لزوجته بحنان قائلاً: «عزيزتي، هل يمكنك أن تطلبي من السيدة هارمون أن ترسل لنا كوبين من القهوة؟».

أومأت ديانا بنعومة: «بالتأكيد. سررت بلقائك سيد ماكلاود».

أشار بول إلى المقعد المقابل لمكتبه الضخم المصنوع من خشب الماهوغاني: «أرجوك، تفضل بالجلوس سيد ماكلاود».

ثم تابع وهو يبتسم: «لم أقل لديانا إنها قد تلتقيك مجدداً هذا المساء. فربما خططتما لأمر آخر أنت وكلويه».

هزّ فيرغوس كتفيه باكتئاب؛ لقد خطط لما يناسبه وحده، بالرغم من معارضة كلويه.

ـ أود الانضمام إليكم... لكنني أخشى أن أبدو دخيلاً.

قال له بول هاملتون مطمئناً: «أبداً، ستة أشخاص على العشاء أفضل من خمسة، أليس كذلك؟».

شعر فيرغوس بسرور بالغ لمعرفته أن عائلة كلويه تقتصر على خمسة أشخاص، فذلك يثبت على الأقل أنّ ما من رجل مميز في حياة كلويه، إلا أنه شعر من جهة أخرى بعدم ارتياح وبتقلص في معدته وذلك بعد أن تعرف إلى بول هاملتون وزوجته ديانا. فقد بدأ فيرغوس يتساءل إذا كان من الممكن ألا يخلص بول لامرأة تتمتع بهذا الجمال والدفء معاً كديانا...

* * *

يا لجرأته! هذا ما خطر لكلويه باشمئزاز، ما إن لمحت فيرغوس يدخل غرفة الجلوس مساءً. كانت الأسرة مجتمعة هناك قبل المغادرة إلى المطعم.

لم تكن لديها فكرة عما جرى في مقابلة فيرغوس مع والدها، فهي لم تر والدها سوى لبضع دقائق بعد عودتها من السوق، إلا أنها لم تلاحظ عليه أي انزعاج. أما بالنسبة إليها فلم يكن هذا حالها حين علمت أن فيرغوس سوف يحضر عند الساعة الثامنة مساء لمرافقتهم إلى المطعم.

ـ بحق السماء. ابتسمي!

قال لها فيرغوس ذلك فيما هو يقف إلى جانبها حاملاً في يده كوباً من العصير. بدا وسيماً وأنيقاً في بذلة السهرة السوداء التي يرتديها، ثم أكمل بتنبيهها: «سيظن أفراد أسرتك أنك لا ترغبين بوجودي هنا».

نظرت كلويه إليه بحذر من دون أن تخفي مشاعرها العدائية نحوه، ثم ردّت بحدّة: «لكنني لا أرغب فعلاً».

ضحك فيرغوس بنعومة ثم قال بخفة: «دعينا لا نفسد هذه الأمسية على

أختك وصهرك».

ثم تابع قبل أن تجفل كلويه وتبتعد عنه: «تظاهري بأنك مسرورة لرؤيتي».

فقالت كلويه بصوت خشن: «لا تحاول أن تستغلني بهدف التقرب من والدي أو من أسرتي».

غدت نظرته أكثر قساوة قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ويقول: «لا أنوي القيام بذلك أبداً كلويه».

ثم التفت إلى حيث يقف بقية أفراد الأسرة: «ألا تعتقدين أن الوقت حان لتقدميني إلى أختك وصهرك؟».

أجابته من دون مبالاة: «لا».

فهي تعتقد أنه لا يجدر به أن يكون هنا من الأساس، وهنا تكمن المشكلة.

استدار فيرغوس ببطء ليواجهها من جديد: «كلويه إذا كنت تذكرين، لقد دعوتك على العشاء هذه الليلة لكن صودف أن لديكم هذا الاحتفال العائلي. إنها محض صدفة».

ردّت بازدراء: «حقاً؟».

ردّد بتثاقل: «حقاً».

ومد يده ليمسك ذراعها بقوة ثم يديرها لتواجهه: «أنا لم أخطط لحصول ذلك كلويه، سواء صدقت هذا أم لا. إنه خيارك».

كانت كلويه تشعر بالغضب الشديد حتى أصبحت عاجزة عن التفكير! لا يحق له أن يكون هنا، أن يتواجد مع عائلتها وكأنه صديق مقرب منها. هذا ما آلمها، بغض النظر عن ادعاءاته المغايرة.

قالت ببرودة: «أنا لا أصدقك».

ثم انحنت لتضع كوب العصير الفارغ على الطاولة المجاورة. رفع فيرغوس حاجبيه وهو يراقبها: «لقد أنهيت كوب العصير بسرعة فائقة».

ضاق فمها وقالت من دون مرح: «حقاً؟ أشعر بالظمأ بصورة غريبة هذا المساء».

ثم تابعت بسخرية: «في الواقع، أظنني سأسكب كوباً آخر».

www.elromancia.com

حملت الكوب مجدداً واتجهت إلى حيث وقف والدها وأختها بيني.

قررت كلويه أن تتخلص من غضبها من فيرغوس. فهذه أمسية بيني ودايفيد على أيّ حال ولن تفسد الأمر عليهما: «لقد مضى اثنا عشر عاماً بيني. قريباً ستحصلين على ميدالية الخدمة الطويلة».

ضحكت بيني ومنحت زوجها ابتسامة جعلته يشعر بالتوتر وهو يتجه للتحدث إلى فيرغوس. ثم قالت: «متى سنسمع أجراس زفافك كلويه؟».

لزمها جهد كبير لتتمكن من الحفاظ ابتسامتها. تباً لفيرغوس! ألا يدرك أن وجوده بينهم الليلة سيثير شكوك عائلتها؟ أم لعله لا يكترث للأمر؟

قالت كلويه وهي تهز كتفيها من دون انفعال: «لست متلهفة للزواج».

أكدت أختها بثقة: «كلنا نقول هذا قبل أن نقع في الحب».

فعادت كلويه لتؤكد: «ليس أنا، بالتأكيد!».

رأت أن الوقت حان لمقاطعة حديث فيرغوس ودايفيد، ليس لأنها تتمنى قضاء مزيد من الوقت مع فيرغوس، بل لأن دايفيد يمكن أن يكشف له معلومات عن العائلة من دون قصد؟ قالت قبل أن تسير لتنضم الى الرجلين: «عن إذنك بيني».

ابتسم لها دايفيد قائلاً بنبرة فيها مزيج من التوبيخ والمزاح: «لم أكن أعلم أنك على معرفة بكاتب مشهور كلويه».

ردّت بذكاء: «على الفتاة أن تخفي بعض الأسرار عن عائلتها».

وإذا بفيرغوس يتدخل قائلاً: «لكنني لم أعد سراً بعد الآن».

أجفلت كلويه ما إن شعرت بذراعه تطوّق كتفيها في حركة متملكة واضحة.

إنسَ ذلك فيرغوس ماكلاود! إنه عشاء واحد وتصبح بعده خارج حياتي الى الأبد!

اقترحت قائلة: «ألم يحن وقت الذهاب الى المطعم؟».

واستغلت فرصة وضع الكوب على الطاولة لتتخلص من ذراع فيرغوس التي تطوق كتفيها، ثم استدارت وهي مستعدة لمواجهة التحدي في عينيه البنيتين الداكنتين. لكن عندما نظرت إليه لم تجد فيهما سوى التسلية. حسناً! لقد انتهى

وقت التحدي، فيرغوس. ردت رسالته على الفور بنظراتها، وكأنها تقول له إن كل ما بينهما سوف ينتهي مع نهاية هذه السهرة.

قال فيرغوس وقد بدا عليه الرضى بشكل واضح: «يبدو أننا سنذهب نحن الاثنان في سيارتي فيما يذهب الآخرون في سيارة والدك».

من الذي قرّر هذا؟ لا تذكر كلويه أن أحداً استشارها في هذا الموضوع، فهي..

سألها دايفيد بلطف وقد شعر بتغير طفيف في مزاجها: «هل من مشكلة في ذلك كلويه؟».

أكدّت له بابتهاج: «أبداً».

فهذا سيعطيها فرصة لتخبر فيرغوس بما ستقبله منه الليلة وما لن تقبله. أما ادعاءاته الواضحة.. فهي بالتأكيد من ضمن الأمور التي لن تقبلها.

حين خرج الجميع من المنزل، لم تكن كلويه مستعدة لما رأته، فسيارة فيرغوس هي نسخة طبق الأصل عن سيارتها الرياضية إنما.. لونها رمادي غامق.

قال فيرغوس وهو يضغط الزر لفتح الأبواب: «أمر غريب، أليس كذلك؟».

أخفت كلويه دهشتها على الفور وهزت كتفيها من دون اهتمام وهي تصعد الى السيارة. قالت حين صعد إلى جانبها: «ليس تماماً. هذا يثبت فقط أنك تحسن الاختيار في بعض الأمور».

ـ إنما في بعض الأمور فقط.

لم تعلّق كلويه على ما قاله، بل جلست صامتة الى جانبه وهو يقود السيارة بتأن، ليلحق بسيارة والدها الى المطعم. لم يكن صمتها يعني أنها لم تدرك ما عناه فيرغوس، بل لقد أدركت مقصده أكثر من اللزوم..

لم هو بالذات؟ إنه آخر رجل يمكنها أن تفكر في الوقوع في حبه!

لكنها تشعر بالانجذاب نحوه. ومعظم الغضب الذي وجهته نحوه هذه الليلة سببه إدراكها لشعورها هذا منذ اللحظة التي دخل فيها الى غرفة الجلوس. في تلك اللحظة، شعرت أن كل عصب فيها راح يضج بالحياة فجأة، وبرغم برقة

لفيرغوس ماكلاود.

فجأة، سألها فيرغوس: «بمَ تفكرين؟».

شعرت كلويه بالتوتر على الفور، وتساءلت إن كانت تعابير وجهها قد فضحت أفكارها المضطربة. أملت ألا يكون الامر كذلك، ثم قالت بعذوبة: «أتساءل أي نوع من السموم يصعب اكتشافه أكثر إذا ما دسّ في الطعام».

ضحك ضحكة خافتة قائلاً بإعجاب: «أظنني لم أخبرك بعد كم تبدين جميلة الليلة».

ـ الإطراء لن يوصلك إلى أيّ شيء فيرغوس.

لكنها لم تتمكن من منع نفسها من الشعور بالرضى، لأن الجهد الذي بذلته لتبدو جميلة الليلة لم يذهب سدىً. لقد ارتدت فستاناً قصيراً يصل حتى ركبتيها، ويبرز مفاتن جسدها بلونه الذي يشبه لون القهوة بالحليب. كان لون الفستان متناسباً مع السمرة التي اكتسبتها في فصل الصيف، كما بدا شعرها الطويل شديد السواد مقارنه ببشرتها المشرقة. أما مساحيق التجميل على وجهها فقد أضفت عليه توردا معتدلاً، كما زاد أحمر الشفاه من جمال شفتيها.

قال فيرغوس متذمراً: «أنا لا أحاول الوصول الى شيء كلويه. ألا يمكننا أن نتفق على وضع العداء جانباً هذه الليلة، لنستمتع بعشاء لطيف مع عائلتك؟ وبصراحة، إن العدائية قادمة من جهتك أنت وحدك».

لا، لا يمكنهما ذلك! لن تجرؤ كلويه أبداً على أن تتخلى عن وسائلها الدفاعية طالما هي بجوار فيرغوس ماكلاود. ليس فقط لما يحاول أن يكتبه عن والدها...

بل خشيت أن تكون قد وقعت في حب عدوّها.

***

٩ ـ لن تحظى بهذه الفرصة!

قال فيرغوس بتجهم وقد أدرك أن كلويه تنظر إليه كعدو لها: «أنا لست عدوّك كلويه».

ثم تابع بحذر: «في الواقع، أود لو نتكلم معاً لاحقاً، على انفراد. فلدي عرض لكِ».

نظرت إليه وقد علت الدهشة وجهها: «لديك.. ماذا؟».

ابتسم فيرغوس من دون مرح، وقال موضحاً: «ليس ذلك النوع من العروض التي تفكرين فيها كلويه».

ثم تابع يفسر لها فكرته: «لنقل إنه اقتراح. فلدي فكرة قد تساعدنا كلينا».

ظهرت القسوة على ملامح كلويه: «يراودني شعور بأنني لن أحبذ اقتراحك».

ـ لأنك لا تحبذين الآن كل ما يتعلق بي.

قالت بسطحية وهي تنظر من النافذة متعمدة إظهار عدم تعاونها: «ليس الآن فقط، فأنا لا أحب ما يخصك دوماً».

ابتسم فيرغوس لصراحتها، رغم أنه أدرك بعد تفكير أنها لم تقل شيئاً مضحكاً. هل هي حقاً لا تطيقه؟ في هذه الظروف، لا يمكنه لومها، لكن ذلك لا يجعل الأمر مستساغاً بالنسبة إليه، فأشار قائلاً: «والدك لا يشاركك كرهك لي».

سألت بحذر: «لا، لِمَ يا ترى؟».

اعترف فيرغوس بتجهم: «ربما لأنني حين أخبرته أنني أقوم ببحث من أجل رواية سياسية، لم أذكر موضوع سوزان ستيرلنغ».

التفتت كلويه إليه متفحصة، وقد شعرت بالارتباك. وأخيراً، قالت: «أنا لا أفهم».

فيرغوس أيضاً لم يعد يفهم تماماً ما يحصل معه؛ لقد تأثر قليلاً بموقف كلويه التي تثق ثقة تامة ببراءة والدها. من الطبيعي أن تكون كلويه مخلصة لوالدها في مثل هذه الظروف، لكن بعد أن قابل بول هاملتون اليوم واستمع اليه لأكثر من ساعة، أصبح واثقاً من صراحة بول في الإجابة عن أسئلته، ولم يعد قادراً على فتح موضوع الفضيحة التي أوقفت مسيرة الرجل السياسية مدة ثماني سنوات، ولا سيّما وأنه بدا متحمساً جداً للعودة الى الحياة السياسية من جديد.

وأدرك فيرغوس أن تعرفه الى ديانا سيؤثر كثيراً في موقفه من بول تماماً كما حصل له مع كلويه..

أوضح لها بنفاد صبر: «ربما ما زال الوقت مبكراً لإطلاق الأحكام».

إلا أنه شعر أن نظرات كلويه لا تزال مركزة عليه كأنها تحاول قراءة الحقيقة في قسماته. لكن أنّى لها ذلك؟ ففيرغوس مارس المحاماة لخمس سنوات قبل أن يتجه الى تأليف الروايات. وهكذا، تعلم كيف يضع على وجهه قناعاً يخفي وراءه مشاعره الحقيقية.

لكنه هو نفسه لم يعد واثقاً من مشاعره في هذه اللحظة.. فهو، من جهة، يشعر بالغضب من نفسه لتخاذله أمام بول هاملتون خلال مقابلتهما هذا الصباح، لكنه يعلم، من جهة أخرى، أنه لو لم يتخذ هذا القرار في اللحظة الأخيرة، لما كان هنا الليلة برفقة كلويه.

وأخيراً، أخذت كلويه نفساً طويلاً، وقالت بازدراء واضح: «يا لكرم أخلاقك!».

لم يستطع فيرغوس تمالك نفسه. فهو في هذه اللحظة أبعد ما يكون عن الرغبة في التحدث في هذا الموضوع. قال بجفاء: «أليس كذلك؟».

عقد حاجبيه الداكنين فيما بقيت نظراته مركزة على الطريق أمامه: «ما يهم الآن هو.. هو أنت مستعدة للتصرف بصورة عاقلة؟».

ردت كلويه باحتراس: «ماذا تعني؟».

ـ أعني في ما يتعلق بالعشاء طبعاً. فعائلتك تعتقد أننا صديقان. هل يمكننا أن نكون كذلك لهذه الليلة على الأقل؟

قالت بجفاء: «هذا الأمر يعتمد عليك حقاً.. أليس كذلك؟».

تنهد فيرغوس بعمق: «لن أحظى على الأرجح بفرصة لكي أطرح أسئلة محرجة بوجود والدتك».

هتفت كلويه باشمئزاز: «يا لشهامتك!».

استسلم فيرغوس وكف عن الجدال معها، ليركز على اللحاق بسيارة بول هاملتون إلى المطعم. في تلك اللحظات، ساوره شعور بالرضى لأن كلويه لم تتمكن من التخفيف من حماسه لمقابلة والدها، مع أنها كادت تنجح في ذلك عند الصباح.

ما إن جلس الجميع الى المائدة وطلبوا ما يريدونه للعشاء، حتى لاحظ فيرغوس أن المرء لا يلزمه وقت طويل ليرى مدى ترابط آل هاملتون، إذ يسود بينهم جو من الدفء والمرح يعكس المشاعر العائلية الصادقة.

ثمة صداقة حميمة تربط فيرغوس بابني خالتيه، فقد ترعرعوا كلهم في اسكوتلندا بعد طلاق والديه. لكنهم لم يتشاركوا يوماً بالضحك والمزاح على مائدة الطعام كما يفعل آل هاملتون.

إن لم تنفعه هذه السهرة بشيء، إلا أنها أظهرت له على الأقل، الأسباب التي دفعت كلويه الى التماس الرحمة من أجل والدها، حتى وإن كان الأسلوب الذي اتبعته يفتقد الى اللباقة.

سألته السيدة هاملتون باهتمام: «أخبرني زوجي أنك بصدد كتابة رواية سياسية، سيد ماكلاود».

لم يكن فيرغوس بحاجة لأن ينظر إلى كلويه ليلحظ توترها ما إن سمعت ما قالته والدتها. تباً لها! ألم تصدقه حين أخبرها أنه هنا الليلة لأنه أراد تناول العشاء معها؟ وبعد رؤية ملامحها القاسية أدرك أنها لم تفعل.

التفت إلى ديانا وابتسم قائلاً بلطف: «أرجو أن تناديني فيرغوس. هذا قول مبالغ فيه نظراً الى أنني ما زلت أقوم بالابحاث. في الواقع، ما زلت في منتصف الطريق».

تابعت ديانا تسأله: «وهل تأخذ الأبحاث وقتاً طويلاً؟».

شعر فيرغوس بارتياح كبير وهو يتحدث الى والدة كلويه؛ لا شك أنها امرأة ناجحة جداً في دورها كزوجة رجل سياسة. فهي من جهة تجعل المرء يشعر بالارتياح، كما تظهر الاهتمام بما يقوله.

بعد مرور عشر دقائق تقريباً، أنهت كلويه حديثها مع دايفيد الذي كان يجلس إلى جانبها. فهمست لفيرغوس وعيناها تلمعان بعمق: «بحق السماء، أرادت أمي أن تكون لطيفة معك ليس إلاّ، ولم يكن ثمة داع لتخبرها بتفاصيل سير أبحاثك خطوة بخطوة».

نظر فيرغوس إليها متفحصاً لعدة ثوانٍ. ثم مال برأسه جانباً من دون أن يلين أمام نظراتها الى أن لمح ذلك اللون الغريب يعلو وجنتيها. عندئذ تمتم برضى: «هكذا أفضل».

ثم تابع بسخرية وهو يدرك أن بقية أفراد الأسرة يناقشون مواضيع سياسية عميقة: «عن أي موضوع كنت تفضلين أن أتكلم مع والدتك؟».

حملقت كلويه بوجهه: «كنت أفضل ألا تتكلم معها من الأساس».

ردّ متشدقاً: «هذا ليس حلاً عملياً في هذه الظروف. كما أنني استلطف والدتك ولا أريد أن أكون قاسياً معها».

وضعت كلويه شوكتها في الصحن بعد أن فقدت رغبتها في تناول ما في صحنها من مقبلات، ثم تمتمت بذهول: «أنا.. أنت.. هيا تابع تناول القريدس».

أمسك فيرغوس يدها برفق وأطبق بيده الأخرى عليها ثم نصحها بهدوء: «استرخي كلويه، أنا لست هنا الليلة بصفتي فيرغوس ماكلاود الكاتب».

فسألته بسخرية: «بأي صفة إذاً؟».

رفع حاجبيه البنيين الداكنين قائلاً بمرح: «لنقل... فيرغوس ماكلاود العاشق».

ازداد لون وجنتيها وضوحاً وشعرت بغضب شديد، فأخذت نفساً عميقاً: «سبق وأخبرتك أننا...».

قاطعها قائلاً: «أتمنى حدوث ذلك..».

ثم أضاف بصوت أجش: «أعني في المستقبل».

شعر فيرغوس بالرضى، إذ أدرك أن كلماته تمكنت من إسكاتها تماماً، فقد أخذت تفتح فمها وتطبقه كأنها سمكة تسبح في إناء زجاجي. كما جعلتها كلماته تسحب يدها من بين يديه بعنف، لتخبىء كلتا يديها تحت الطاولة، لكن تصرفها هذا لم يعجبه. ضحك ضحكة خانقة وهو يقول بدفء: «إنك رائعة حقاً، كلويه».

أجابته بسخط: «أنت تشعرني دوماً وكأنني في العاشرة من عمري».

ابتسم فيرغوس قائلاً: «أنت تتصرفين أحياناً وكأنك كذلك».

ثم أضاف على الفور لئلا يثير غضبها من جديد: «لا أقصد في أحيانٍ كثيرة».

وتابع يقول بشكل مبهم: «أعتقد أن الأسبوعين القادمين سيكونان مليئين بالمرح».

ما الذي يقصده بهذه الملاحظة؟ و.. بتلك الجملة الأخرى: أتمنى حصول ذلك في المستقبل؟ إذا ظن أنها ستستمر في الخروج معه فيما يتابع جمع المعلومات التي تلحق العار بوالدها، فعليه إذن أن يتوقع مفاجأة خطيرة! لكن.. من غير المعقول أن يكون فيرغوس متبلد الأحاسيس الى هذه الدرجة.

من الواضح أنه يشعر بالارتباك من تلك التلميحات التي يتبادلها أفراد أسرتها، كما أنها صدقته حين قال إنه يستلطف والدتها. لكن ذلك لا يغير واقع أنه ينوي تأليف كتاب سوف يرمي أسرة هاملتون في دوامة من الاضطراب من جديد.

قد يكون فعلاً متبلد الأحاسيس..

كانت كلويه أيضاً تشعر ببعض الارتباك بسبب ذلك الاقتراح الذي تحدث عنه وهما في طريقهما الى المطعم. إن كان يفكر بطريقة تجعلهما يستمران في رؤية بعضهما البعض، عليه أن ينسى الأمر إذ لا مجال على الإطلاق لأن توافق على ذلك.

ليس لأنها لا ترغب بذلك.. بل لأن الأحاسيس التي شعرت بها في وقت مبكر من هذا المساء، حين كان فيرغوس في منزلهم، استمرت خلال السهرة. وهذه الأحاسيس جعلتها متيقظة لكل حركة من حركاته، ولكل كلمة يتلفظ بها،

www.elromancia.com

وهي لا تزال تشعر بوخز خفيف في يدها منذ لمسها منذ دقائق!

نظر فيرغوس إليها نظرة متفهمة: «ظهرت عليك الجدية فجأة. بِمَ تفكرين؟».

إنه الموضوع نفسه الذي ما زالت تفكر فيه منذ أسبوعين.. إنها تفكر، فيه طبعاً!

نظرت كلويه إليه بقسوة: «لحسن الحظ أن أفكاري تبقى ملكاً لي وحدي».

هزّ فيرغوس رأسه آخذاً بعين الاعتبار ما قالته: «لم أفكر بالموضوع من قبل. لكن، لم يكن من السهل عليك بالتأكيد أن تكوني ابنة سياسي تسلط عليه الأضواء».

تصلّبت عضلاتها وشعرت بالاستياء فذكّرته قائلة: «ظننتك قلت إنك لن تناقش هذا الموضوع الليلة».

تنهّد فيرغوس بنفاد صبر: «أنا لم أقل إنني لن أتحدث عنكِ».

ابتسمت كلويه وقالت من دون مزاح: «أنا ابنة والدي».

ردّ فيرغوس بابتسامة متهكمة: «بل أنت حقاً أكثر من ذلك بكثير».

عقدت كلويه حاجبيها الداكنين وسألت: «هل أنا كذلك حقاً؟».

لم تكن واثقة من أنها كذلك، على الأقل بالنسبة إليه...

ضاقت عيناه: «هل تعلمين ما الذي أود القيام به الآن؟».

نظرت كلويه إليه بحذر، غير واثقة من أنها تريد الإجابة عن سؤاله هذا وقالت ببطء وبنبرة مشككة: «ربما.. تود أن تضربني بعنف».

كشّر قليلاً: «لقد فكرت في ذلك فعلاً..».

ثم تابع مفسّراً: «لكن جدي قام بتربيتنا أنا وبرايس ولوغان، لنعامل المرأة باحترام. وأظن أننا تعلمنا ذلك جيداً».

ابتسمت كلويه ابتسامة عريضة وقالت: «يبدو لي جدك رجلاً حساساً جداً».

ردّ فيرغوس وهو يبتسم أيضاً: «إنه شيطان عجوز، لكنني لا أشك بأنه سيحبك».

ثم تابع: «لا، في الواقع كلويه، ما أود القيام به حقاً هو معانقتك».

وأضاف بقسوة: «وأود أن أعانقك بقوة إلى أن تنسي كل ما حولك، أو على الأقل إلى أن.. تصمتي».

لم تكن كلويه من أجابه هذه المرة إنما والدها الذي قال ضاحكاً: «في بعض الأحيان، تبدو هذه الوسيلة هي الوحيدة لجعل المرأة تهتم بنا».

استدارت كلويه لتدرك أن جميع أفراد العائلة ينظرون إليهما. فاحمرت وجنتاها، وتساءلت منذ متى وهم يصغون إلى هذه المحادثة اللاذعة التي تدور بينها وبين فيرغوس. من الواضح أنهم لم يستمعوا إلى الحديث منذ بدايته حين كانت تكيل الاتهامات لفيرغوس، وإلا لما كانوا يبتسمون بتسامح!

قالت بخفة محاولة التقليل من أهمية ما قاله فيرغوس: «أبي أرجوك، فيرغوس مندفع بما فيه الكفاية ولا يحتاج إلى مزيد من التشجيع».

لكن مجرد التفكير في أنه يرغب في معانقتها إلى أن تنسى كل ما حولها، أو إلى أن تصمت جعلها ترتعش بشدة.

فأجاب والدها مؤكداً: «من الواضح أنه كذلك».

خلال السهرة أبدى جميع أفراد الأسرة استحسانهم لأحاديث فيرغوس. ولا يمكن لكلويه أن تلومهم فلقد كانت أحاديثه ظريفة، مسلية، استحوذت على اهتمام الجميع. أما نساء آل هاملتون فقد وجدنه ساحراً، لطيفاً، وهذه صفات عرف جده كيف يزرعها في داخله. في الواقع، بدا فيرغوس ضيفاً مثالياً على العشاء.

سألها باستغراب في طريق العودة إلى المنزل: «ما خطبك الآن؟».

استفاقت كلويه من أفكارها، واستدارت إليه مدركة أنها كانت عابسة من دون شك. ثم أجابته بتبلد: «أتريد الحقيقة؟».

أجابها ساخراً: «الحقيقة أفضل من الكذب دائماً، بغض النظر عن مدى قساوتها».

تنهّدت ثم قالت بصراحة: «كنت أتمنى لو أنك شخص آخر ولست فيرغوس ماكلاود».

جاء دور فيرغوس ليتكلم الآن بجدية: «أرجوك، اشرحي ما تقصدينه

بقولك هذا».

كيف يمكنها أن تفعل ذلك من دون أن تكشف مشاعرها الحقيقية نحوه؟ تلك المشاعر التي نمت رغماً عنها. بدأت تقول بحذر: «أنت تعجبني حقاً فيرغوس».

فقال بلهجة تحمل توبيخاً: «حاذري كلويه! ودعينا لا ننجرف وراء العواطف».

نظرت إليه بنفاد صبر مؤكدة: «لا تقلق، لا أنوي القيام بذلك».

ثم تابعت كلامها بتذمر: «أنت تعجبني. وأظنني كنت سأسر برفقتك لو أن الظروف مختلفة. لكن في. . . .».

قاطعها فيرغوس بتهذيب: «كما قلت لك من قبل كلويه، أنا لست عدوك».

شدت كلويه قبضتيها بتوتر وردت بشراسة: «ألا ترى أنك كذلك بالنسبة إليّ؟».

صرّ باسنانه واشتدت قبضتاه على المقود: «قلت لك من قبل أيضاً إنني أود التحدث إليك. فهل يمكننا التحدث على انفراد؟».

فكرت كلويه قليلاً، لا شك أن بيني ودايفيد سيرغبان بالبقاء قليلاً ما إن يصل الجميع إلى المنزل. كما أن والديها سيكونان موجودين ما يعني أنها لا تستطيع أن تكون مع فيرغوس بمفردهما في المنزل. . . لكن الذهاب مع فيرغوس إلى منزله ليس فكرة جيدة، لأنها ستكون مضطرة للاعتماد عليه كي يقلها من جديد إلى منزلها بعد أن يتحدثا معاً. .

قالت ببرودة: «أوصلني إلى المنزل وسوف أتبعك بسيارتي إلى منزلك. أظن أن بإمكاننا التحدث على انفراد هناك، أليس كذلك؟».

أجاب فيرغوس ببطء: «يمكننا. . بالطبع. . مع أنني أرغب في معانقتك إلى أن تنسي كل ما حولك كلويه، إلا أنني، بالطبع، لن استغل وجودك في منزلي للقيام بذلك!».

أكدت له بثقة بالغة: «لن تحظى بفرصة لتفعل ذلك».

رماها فيرغوس بنظرة سريعة من عينيه الضيقتين قبل أن يعود فيركز انتباهه على الطريق أمامه. إلا أن غضبه بدا واضحاً، كما أن جو الاسترخاء الذي ساد بينهما منذ قليل اختفى تماماً.

عليها أن تبقي هذا الرجل بعيداً عنها، إذ لا أمل لديها في أن يغدوا صديقين، مع أنها تتمنى ذلك في قرارة نفسها.

عندما وصلا إلى المنزل، التقطت مفاتيحها لتعود إلى الخارج فتقود سيارتها إلى منزل فيرغوس. أما هو، فعاد إلى منزله ما إن نزلت كلويه من سيارته. وفهمت كلويه من الغضب الذي بدا على وجهه أن اقتراحها لم يعجبه على الإطلاق.

بالرغم من ذلك، فإن هذا التدبير هو أكثر ملاءمة لها، فهي تدرك أنّ عليها أن تتمسك جيداً باستقلاليتها حين يتعلق الأمر بفيرغوس.

حين وصلت كلويه كانت الأنوار تشع من منزل فيرغوس. وما إن قرعت الجرس حتى فتح لها الباب ودعاها إلى غرفة الجلوس من دون أن يرحب بها، بل إنه بدا متباعداً تماماً. كان قد سكب لنفسه كوباً من المرطبات قبل وصولها، فسألها بأدب بالغ: «هل ترغبين بكوب؟».

نظرت إليه بثبات فيما كانت تجلس على أحد المقاعد وردّت: «كلا، شكراً».

أخذ فيرغوس رشفة من الكوب، وقطب جبينه قليلاً ليقول أخيراً: «اسمعيني أولاً؟ ولا تبدأي بالمدافعة عند أول جملة أقولها».

رفعت كلويه حاجبيها الداكنين: «هذا، بالتأكيد، يتعلق بما ستقوله».

راح فيرغوس يذرع الغرفة ما جعل طول قامته ووجوده يسيطران تماماً على المكان.

شعرت كلويه بتردده حيال ما سيقوله، وفكرت في أنها لن تسمح له بإخافتها. وأخيراً، استدار ليواجهها فيما تجهّمت تعابير وجهه كما لو أنه اتخذ قراراً خطيراً: «أنا أعرف من الذي أخبرك عن موضوع كتابي كلويه».

لم تضطرب نظراتها، لكنها شعرت أن اللون قد اختفى من خديها. فقالت بصوت خفيض أجش: «كيف عرفت؟».

التوى فم فيرغوس من دون مرح ثم قال مفسراً: «عن طريق الاستنتاج،

فوكيل أعمالي تحدّث إلى الناشر من دون أن يكشف له أي تفاصيل. ما يعني أن هذا الأخير لا يمكنه تسريب الخبر، فلم يبقَ سوى وكيل أعمالي نفسه. ومع أن مساوىء بارني عديدة إلا أن التهور ليس أحدها».

ثم أضاف بجفاء: «تبقى مساعدة بارني وسكرتيرته. وكلتاهما طموحتان مثله تماماً. إلا أن ستيلا ويتني ليست امرأة طائشة، فلم يبق إذن سوى سكرتيرته!».

شعرت كلويه بصعوبة في التنفس.. كيف لا، وهي تشعر وكأن قلبها عالق في حنجرتها؟

بدا فيرغوس مقطباً: «لم يكلفني الأمر الكثير من العناء لأكتشف أن فيكتوريا بلمان قريبتك».

ثم رفع حاجبيه وهو ينظر إليها: «إنها ابنة خالتك!».

كانت كلويه تتنفس بصعوبة، وفجأة بللت شفتيها الجافتين بلسانها. لقد بدت فيكتوريا في حالة فظيعة عندما التقتها كلويه على الغداء منذ خمسة أسابيع. بدا واضحاً يومها أنها تود الإفصاح عن أمر ما، لكنها تعتبر هذا الأمر من ضمن الأسرار المهنية التي لا يجدر بها البوح بها لأي كان، .. لكن، ولحسن حظ كلويه، انتصر الوفاء الأسري في النهاية.

حثته قائلة بصوت أجوف: «ما الذي ستفعله الآن؟».

ـ وماذا تظنين؟

علت وجه كلويه تكشيرة. فما تريده منه حقاً هو أن يبدي تسامحاً إزاء تصرف قريبتها، إلا أنها تشك في قدرته على ذلك. فقالت مدافعة: «فيكتوريا تصرفت بحسن نية».

رد فيرغوس بصوت خشن مثير للأعصاب: «لا تهمني دوافعها».

وقفت كلويه وقد شعرت بأنها تبدو ضعيفة أمامه وهي تجلس ساكنة في المقعد، ثم قالت بتحدٍ: «إذا كنت أنت أو أحد أقاربك مكانها، واكتشفت أن ثمة أمر سوف يسبب الأذى لأسرتك، فما الذي تفعله؟».

اعترف بتثاقل: «ما فعلته فيكتوريا بالضبط. لكن، لسوء الحظ، هذا لا يحل

المشكلة بالنسبة إلي الآن، أليس كذلك؟».

كلا! أقرت كلويه بذلك. لكنها وفيكتوريا في السن نفسه، وقد تربت الفتاتان معاً. افترقتا حين أصبحتا كبيرتين، لكن ذلك لم يؤثر في علاقتهما الحميمة، ولا شك أن فيكتوريا تحب وظيفتها كسكرتيرة لبرنارد كروسبي إلا أنها تحب أسرتها أكثر من ذلك بكثير!

أخذت كلويه نفساً مضطرباً: «أسألك مرة أخرى، ماذا تنوي أن تفعل؟».

لقد حاولت جهدها لتبقي فيكتوريا بعيدة عن هذه الورطة، وأملت، لكن من غير جدوى، أن تبقي فيرغوس منشغلاً، فلا يهتم بمعرفة مصدر معلوماتها.

ضاقت عينا فيرغوس وهو يرى الشحوب الذي علا وجهها. والتوى فمه بقسوة وكأنما أدرك ما تفكر به: «أنا واثق أنك وقريبتك قد أمضيتما الكثير من الوقت وأنتما تتحدثان عن حياتي الخاصة...».

صححت له كلويه بارتباك: «لم نكن.. حسناً.. ليس الأمر كما تظن».

تشدق قائلاً: «أعتقد أن معرفة تفاصيل حياتي، كطريقتي في تناول القهوة، تندرج تحت عنوان «حياتي الخاصة» أليس كذلك؟».

صاحت به كلويه لتخفي عدم ارتياحها: «لا تكن سخيفاً. لا شك أن فيكتوريا قامت بإعداد القهوة لك مراراً عديدة عند زيارة وكيل أعمالك».

أذعن فيرغوس: «هذا محتمل. لكن عنواني ورقم هاتفي هما حتماً من الأمور الخصوصية».

أجفلت كلويه لهذا الاتهام المبرّر، لكنها أجابت: «أنا لم أستخدم أياً منهما إلا بعد أن التقيتك في المقهى».

وافقها بضجر: «حسناً، هذا صحيح».

ومع ذلك لم تشعر كلويه بالارتياح لإقراره بذلك، فقد شعرت أن فيرغوس لم ينهِ هجومه بعد: «منذ متى اكتشفت ذلك؟».

ـ منذ يومين.

إلا أنه انتظر حتى الآن كي يواجهها بالأمر. كما أنه كان ينوي دعوتها لتناول الغداء، عندما حضر هذا الصباح لمقابلة والدها.

سألته بصوت رتيب: «ماذا تريد مني فيرغوس؟».

أرجع فيرغوس رأسه إلى الوراء قائلاً: «ما الذي يجعلك تظنين أنني أريد منك شيئاً؟».

ابتسمت ابتسامة متكلفة: «هذا واضح وضوح الشمس فيرغوس».

آخر ما تريده هو أن تسبب المتاعب لفيكتوريا في وظيفتها. وإذا كان فيرغوس يشعر بالوفاء لأسرته كما هي الحال في أسرتها، فسيدرك ذلك حتماً.

حثته بصعوبة: «ما هو اقتراحك فيرغوس؟».

وكانت بذلك تشير إلى الاقتراح الذي لمح إليه في بداية السهرة، وقد أصبحت الآن واثقة تماماً من أنها لن تستسيغه أبداً.

قال بسطحية: «أريد منك أن تساعديني في الأبحاث التي أقوم بها من أجل كتابي».

حدقت كلويه إليه. لا يمكنه أن يكون جاداً في ما يقول!

لكنها أدركت من نظراته الثابتة، وفمه الصارم، وفكيه المشدودين أنه كذلك.

إنه في منتهى الجدية!

***

١٠ ـ الخيار الصعب

لاحظ فيرغوس، على الفور، يد كلويه التي ارتفعت لتوجه إليه صفعة لكنه كان أسرع منها فأمسك بمعصمها في الوقت المناسب، ثم حذرها قائلاً: «لن أسمح لك بهذا كلويه».

راحت كلويه تقاوم تلك القبضة التي أطبقت على يدها، وقد تخضب وجهها بحمرة الغضب ثم قالت لاهثة: «أنت حقير، أنت... محتال...».

كرّر كلامها غير مصدّق: «محتال؟ أنا؟».

ـ... تريد ابتزازي...

اشتدت قبضته على معصمها وقال بصوت خشن من بين أسنانه: «توقفي كلويه، قبل أن تقولي شيئاً نندم عليه كلانا».

كانت كلويه تتنفس بصعوبة، فرفعت بصرها نحوه: «لن أندم على ما أقول!».

أجابها فيرغوس بصوت خشن مثير للأعصاب: «لا أدري ماذا فهمت من كلامي، لكنني أستطيع تخمين ذلك من رد فعلك هذا. أنا لا أقترح عليك صفقة كلويه، أي سكوتي عن تصرف فيكتوريا مقابل معلومات عن والدك وسوزان سيترلنغ».

وبدا فيرغوس ساخطاً وشديد الغضب وهو يضيف: «لو كنت من الرجال الذين يطلبون شيئاً مقابل سكوتهم، لطلبت منك أمراً أكثر خصوصية».

فجأة، جمدت كلويه في مكانها، ولم تعد تبدي حراكاً إلاّ حركة تنفسها المتوترة حيث راح صدرها يعلو ويهبط باضطراب شديد نظراً لشدة انفعالها. واختفى

www.elromancia.com

اللون من خديها ليعلوهما الشحوب، فبدت، كما لاحظ فيرغوس، فائقة الجمال!

ابتلعت ريقها بصعوبة لتعلن باشمئزاز: «أظن أن خيانتي لوالدي أمر شديد الخصوصية».

صاح بها فيرغوس بنفاد صبر: «اللعنة! أنا لا أطلب منك أن تخوني والدك».

ثم هزّ رأسه وقد شعر بالاحباط: «تباً كلويه، أنت تصعبين الأمور عليّ».

رفعت كلويه نظرها إليه وقد غدا وجهها على بعد سنتيمترات فقط من وجهه، ثم أكدت له: «ولا أنوي أن أجعلها سهلة».

إنه ليس الوقت المناسب، وفيرغوس يعلم ذلك جيداً. فما يفكر فيه سوف يجعل الأمور بينهما أسوأ مما هي عليه. لكنه شعر في تلك اللحظة أن عطرها يجتاح كيانه، وقربها منه يثير حواسه فيوقظها، ولم يستطع تمالك نفسه، فأحنى رأسه وعانقها.

ظلت كلويه للحظات جامدة من دون حراك لشدة ذهولها. وما إن أرخى قبضته حتى بدأت بمقاومته.

كان فيرغوس يراقبها طيلة الأمسية وهي تتحدث وتضحك مع أفراد أسرتها، متمنياً لو أنها تشعر بتلك السعادة والاسترخاء معه أيضاً. لكن ذلك بدا صعب المنال بالنسبة إليه. أما الآن.. فقد تنكر كلويه أنها تجاوبت مع عناقه لكنه يدرك تماماً أن هذا غير صحيح وأنهما يبدوان معاً في غاية الانسجام، وعليه أن يكتفي بذلك في الوقت الحاضر.

ها هي كلويه قد توقفت عن مقاومته واستسلمت لعناقه. شعر فيرغوس بأنها تريده بقدر ما يريدها. لكن.. يجدر به أن يتوقف قبل أن يقوم بتصرف يندم عليه.

ابتعد عنها مرغماً، ولعل هذا الأمر من أصعب الأمور التي قام بها في حياته ثم قال بصوت أجش: «أريدك أن تعملي معي كلويه».

وأكمل حديثه بصرامة ليمنعها من الرد: «لا أطلب منك أن تعملي ضد مصلحة والدك بل من أجل مصلحته».

نظرت إليه ببصر زائغ وهي تطرف بعينيها، ثم تمتمت بصوت خشن: «لست أفهم».

أخذ فيرغوس نفساً قصيراً حاداً وقال يذكرها بلطف: «أخبرتك أن الوقت ما زال مبكراً لإطلاق الأحكام. أنت تعتقدين أن والدك غير متورط في قضية سوزان سبترلنغ..».

قاطعته: «بالطبع، لا».

أكمل فيرغوس بنبرة ثابتة: «... وأنه ليس والد الطفل. لكن من الطبيعي أن يكون لذلك الطفل والد».

ثم أضاف بجفاء: «إذا تمكنا من إيجاد والد الطفل الحقيقي...».

ردّدت كلويه بنبرة قاسية: «نحن؟».

وفجأة، تحرك فيرغوس مبتعداً عنها، إذ شعر أنه لا يستطيع التفكير بشكل سليم حين يكون شديد القرب منها، ثم قال بحدّة: «أرغب في عقد اتفاقية معك كلويه. إذا اكتشفنا أن ثمة رجلاً آخر، فسوف أسحب يدي من الموضوع وأعترف بأنني كنت مخطئاً. موافقة؟».

حدقت كلويه إليه بعينين زرقاوين جامدتين كقطعتي زجاج وقالت بسخرية: «وإذا لم نكتشف وجود «رجل آخر»؟».

ثم أضافت بمرارة: «لقد حققت الشرطة إثر مقتل سوزان ولم تتمكن من اكتشاف شيء على الإطلاق، ما جعل الإشاعات تنتشر أكثر فأكثر».

كان فيرغوس يدرك هذا الأمر، لكنه لم يستطع أن يجد حلاً آخر لهذه المسألة. إذا تمكنا من إيجاد الرجل الآخر، فقد تتوقف كلويه عن كرهه..

ضاقت عيناه: «تلك المدعوة سوزان... هل كنت تعرفينها؟».

استدارت كلويه مبتعدة: «بالتأكيد أعرفها، لقد عملت لدى والدي قبل ثماني سنوات وكانت تمضي معظم الوقت في منزلنا».

لمَ لم يخطر ذلك في باله من قبل؟ في الواقع، ثمة أمور كثيرة تتعلق بهذه المسألة لم تخطر في باله من قبل! ها قد بدأ يتمنى لو أنه لم يورط نفسه أصلاً في هذه الفضيحة التي حدثت منذ ثماني سنوات...

نظر إلى كلويه نظرة ذات مغزى: «وما رأيك بها؟».

استدارت كلويه إليه غاضبة: «كنت في الخامسة عشرة من عمري حينها،

فماذا سيكون رأيي بها حسب اعتقادك؟».

قطب فيرغوس مفكراً: «في أيامنا هذه، معظم الفتيات اللواتي يبلغن الخامسة عشرة يبدين... خبرة ومعرفة بالحياة والناس».

ردّت كلويه من بين أسنانها: «حسناً، أنا لم أكن كذلك. على أي حال، كنت معظم الوقت بعيدة عن المنزل في مدرسة داخلية. كانت سوزان بالنسبة إليّ.. كان عمرها فوق الثلاثين.. كانت تبدو لي كبيرة في السن!».

ابتسم فيرغوس من دون فرح. لعله يبدو كذلك هو أيضاً بالنسبة إلى كلويه، فهو الآن في الخامسة والثلاثين.. لكنه أصر بعناد: «لكن، من المؤكد أن لديك انطباعاً ما عنها».

تنهدت وقد نفد صبرها والتمعت عيناها بلون أزرق داكن: «حسناً، كانت سوزان جميلة.. في الواقع، جميلة جداً. هل هذا ما تود سماعه؟».

ليس بالتحديد. فهو يعلم أن سوزان سترلينغ كانت امرأة جميلة، لكنه مهتم أكثر بمعرفة أي نوع من الأشخاص هي هذه المرأة.

قالت كلويه بصوت متوتر وهي تصر على أسنانها: «لم تجب عن سؤالي فيرغوس. ماذا سيحصل إذا لم تتمكن من اكتشاف شخصية «الرجل الآخر»؟».

هذا أمر لا يتمنى فيرغوس حدوثه. لأنه إذا ما اكتشف وجود رجل آخر فسيضطر إلى نسف كل الخطوط العريضة والأفكار التي بدأ يبني عليها روايته الجديدة. لكنه رأى من جهة أخرى، أن من الأفضل له أن يمضي قدماً في ما يسعى إليه، آملاً أن تدرك كلويه أنها كانت مخطئة بالنسبة لتورط والدها بالأمر.

ـ سنعمل انطلاقاً من فرضية وجود رجل آخر.

هزّت كلويه رأسها قائلة بنبرة قاسية: «لن يكون هناك «نحن» فيرغوس. فأنا لا أنوي مساعدتك لكي تسبب المزيد من الأذى لحياة والدي السياسية».

أجابها وقد شعر بالإحباط: «أنا لا أنوي القيام بذلك. اللعنة! أنا أحاول مساعدة والدك لا التسبب له بالأذى».

وفي الوقت نفسه، كان فيرغوس يأمل أن يقضي المزيد من الوقت مع كلويه، ليجعلها تدرك أنه ليس رجلاً سيئاً كما تظن...

قالت له بنبرة باردة: «لا يمكنني مساعدتك فيرغوس».

يا لها من عنيدة! قال فيرغوس بذكرها: «ماذا عن قريبتك فيكتوريا؟».

التوى فمها بقرف، ثم تنهدت بتثاقل: «أعرف من هي فيكتوريا، فيرغوس... لكن... لا أدري، فكل ما أعرفه هو أنني لا أستطيع مساعدتك».

رد فيرغوس بلهجة متوترة: «لا تستطيعين أم لا تريدين؟».

وتركزت نظراته على وجهها الشاحب: «في حالتنا هذه، ثمة فرق شاسع بين الأمرين. أنت لا تثقين بي كلويه، أليس كذلك؟».

بادلته كلويه نظراته القاسية لعدة ثوانٍ، وأخيراً التفتت إلى الجهة الأخرى قائلة: «لديّ أسباب كثيرة تجعلني لا أثق بك...».

قاطعها فيرغوس: «أما أنا فلدي أسباب أكثر. لكن ألا ترين أنني أحاول ذلك عن طريق هذا الاقتراح الذي أقدمه لك؟».

ـ بل أرى أنك تحاول إغرائي لأعمل معك فتقوم بخداع عائلتي لتجعلها تثق بك.

التمعت عينا فيرغوس غضباً: «تباً، لا أذكر حتى أنني جئت على ذكر عائلتك».

ـ لست بحاجة إلى ذلك، إذ كيف ستتمكن من إيجاد الحقيقة إلا بتلك الوسيلة؟ لا، فيرغوس. إذا كنت سأقوم بدور شارلوك هولمز فأنا لست بحاجة إلى مساعدتك.

قال معترضاً بسخرية: «تخطئين في تقديري كلويه. فأنا من سيأخذ دور شارلوك هولمز».

ابتسمت كلويه بحزن: «أترى؟ نحن لا نستطيع أن نتفق حتى على هذا الأمر...».

أجابها فيرغوس بتصميم: «ليس علينا أن نتفق على كل شيء لنبحث عن الحقيقة».

غدت ابتسامتها الآن مرتجفة: «لكن بعض الحقائق يجب تصديقها بإيمان ومن دون براهين ملموسة».

ثم أضافت بصوت أجش: «تماماً مثل إيماني ببراءة والدي».

لم يستطع فيرغوس أن يجادلها، فإيمانها هذا بالإضافة إلى لقائه مع بول هاملتون نفسه جعلاه يعيد النظر في قناعاته السابقة بأن هذا الرجل هو أحد أولئك السياسيين المتعجرفين الذين ينتهكون القوانين الأخلاقية والحشمة.

حاول فيرغوس اللجوء إلى منطق مختلف في الكلام: «بما أن والدك ينوي دخول معترك السياسة من جديد، ألن يكون من الأفضل له أن تتوضح هذه المسألة لتوضع جانباً وتنسى؟».

أجابته كلويه بشراسة: «بل من الأفضل أن تترك هذه القضية حيث وضعت منذ ثماني سنوات».

أشار بهدوء: «لكنها لم تنسَ بعد».

قالت بحزم: «لا يزال جوابي لا، فيرغوس. أنا آسفة، لكن هكذا يجب أن تسير الأمور».

ـ ليس بالضرورة. لكنك من قرر أن الأمور يجب أن تسير على هذا الشكل.

توقف فيرغوس للحظات عن الكلام ثم تابع قائلاً: «اسمعي كلويه، يمكنني القيام بالبحث معك أو من دونك. لكنني كنت أفضل أن تساعديني».

اتسعت عينا كلويه: «ستمضي إذن في أبحاثك بغض النظر عما سيحصل؟».

الكراهية التي بدت بوضوح على تعابير وجهها لم تكن وحدها التي أقلقت فيرغوس، إذ أدرك أنهما تماديا كثيراً في الحديث حتى إن التوقف لم يعد ممكناً الآن. قد يوافق معها على عدم متابعة البحث من أجل كتابه، لكنه يدرك في الوقت نفسه أنه إذا أراد الاستمرار في رؤية كلويه، فإن هذه المسألة التي لم تحل، ستبقى عائقاً في طريقهما، وسوف تلقي دوماً بظلالها على علاقتهما. كما أنه سيصر دوماً على رؤية كلويه مهما حاولت مقاومته. أعلن لها بهدوء: «ليس لدي خيار آخر كلويه».

ظهر الاشمئزاز على ملامحها، وبدت عيناها الزرقاوان كقطعتي جليد وهي ترمقه بنظرة خاطفة ملؤها الازدراء: «لديك خيار فيرغوس، لكنك ببساطة لا تريده. كان عليّ أن أعرف أي نوع من الرجال أنت منذ الليلة الأولى التي التقيتك

فيها!».

اشتدت قبضتا فيرغوس على جانبيه بسبب إهانتها المتعمدة. إلا أنه ذكّر نفسه بأنها تفعل ذلك عن عمد. فهي مصممة على إبعاده عنها. لكن تصميمها هذا جعله يأمل، وعلى عكس ما هو متوقع، بأن المستقبل سيكون أفضل. وأن هذا المستقبل يشمل كلويه أيضاً...

تمتم بهدوء: «لكنك كنت تعرفين أي نوع من الرجال أنا، كلويه. فيكتوريا أخبرتك.. هل تذكرين؟».

شعرت كلويه بالحرارة تغزو وجنتيها، فقالت بتصلب: «أظن أن من الأفضل أن أغادر الآن فيرغوس. لا أعتقد أن هناك المزيد من الكلام بيننا».

ظل فيرغوس صامتاً، فما يقلقه ليس موقفها الحالي فقط، رغم أنها غاضبة ومستاءة إلى درجة تمنعها من سماع المزيد. قال بأدب: «سأرافقك إلى الباب».

قالت بتوتر فيما هي تتقدمه إلى الخارج: «كي تتأكد من أنني سأغادر المنزل هذه المرة؟».

لم يكن فيرغوس بحاجة إلى من يذكره بتلك الليلة التي أمضتها في منزله من دون علمه.. فلطالما أنّب نفسه بسبب ذلك في الأسبوعين الماضيين!

أكّد لها بفظاظة: «بل أود ألا تفعلي، لكنني أدرك أن هذا مستحيل».

ثم ابتسم بحزن حين وجهت له نظرة ساخرة. وقبل أن تصعد في سيارتها منحته ابتسامة عذبة ممزوجة بالمرارة: «وداعاً فيرغوس».

ما إن أنهت جملتها حتى شعر فيرغوس أن قلبه يغوص عميقاً بين ضلوعه، فقال مؤكداً: «عمت مساءً كلويه. أنا واثق من أننا سوف نلتقي في وقت قريب».

لاحظ فيرغوس أنها لم تسرّ بملاحظته تلك، لكنه أمل أن تكون لديه أخبار سارة لها حين يلتقيها في المرة المقبلة...

* * *

ـ منذ متى تعرفين فيرغوس ماكلاود؟

قطبت كلويه وهي ترفع بصرها عن التصميم الذي تعمل عليه منذ ساعة لتنظر إلى دايفيد. تمهلت في الرد عليه إذ شعرت أن عليها أن تتخذ موقفاً دفاعياً فور

ذكر اسم فيرغوس أمامها: «عفواً؟».

منذ ذلك العشاء مساء الجمعة، عاشت كلويه ثلاثة أيام رهيبة، خشية أن يلاحقها أفراد أسرتها بالأسئلة عن علاقتها المفترضة بفيرغوس. إلا أن والديها أبديا تفهماً كبيراً لهذا الموضوع. ولعلهما يشكان في وجود قصة رومنسية جدية بينها وبين فيرغوس، لكنها لم يشاءا أن يبدوا متطفلين قبل أن تقرر التحدث عن الموضوع بنفسها. أما بيني، فإن كلويه لم ترها أو تتحدث إليها منذ يوم الجمعة.. لكنها أدركت بوضوح الآن، وبعد سؤال دايفيد، أن أختها وصهرها ناقشا مسألة علاقتها بفيرغوس.

كرّر دايفيد سؤاله: «سألتك منذ متى تعرفين فيرغوس ماكلاود؟».

وضعت قلمها جانباً وابتسمت لصهرها وهو يدخل إلى الغرفة التي تقع في الطابق الأعلى من المنزل. هذه الغرفة التي تحولت إلى مشغل خاص بكلويه بعد أن أضيفت إليها نوافذ علوية في سقفها لتمنح المكان المزيد من الإنارة.

قالت بنبرة سطحية: «منذ عدة أسابيع».

ثم أكملت بخفة لم تتمكن من الشعور بها في داخلها: «لذا يمكنك إخبار بيني أن الوقت ما زال مبكراً للتحضير للزفاف».

لم تكن الأيام الثلاثة الأخيرة سهلة عليها البتة. فجزء منها يشعر بالخوف من أن يأتي أحد أفراد العائلة على ذكر فيرغوس، والجزء الآخر يتساءل عما يفعله فيرغوس في هذه الأثناء وإلى أي مدى تقدم في أبحاثه. تساءلت كلويه إن كان قرارها صائباً حين رفضت بشدة مساعدة فيرغوس في البحث. ربما كان من الأفضل أن تعلم بما يقوم به بدلاً من الجلوس هنا بانتظار أن تهوي الفأس على أعناقهم.

لم يبادلها دايفيد ابتسامتها، بل قال باهتمام بالغ: «تلقيت للتو اتصالاً من أحد مستشاري رئيس المعارضة، يقول إن لديه معلومات قد تهمّ والدك. وبيتر آمبروس يرى أن والدك عليه أن يأخذها بعين الاعتبار قبل أن يقوم بتحركاته في مجال السياسة».

شعرت كلويه بنصلب في صدرها. ولكي تعطي نفسها المزيد من الوقت

للتفكير قالت: «نعم...؟».

أي ذكر لوالدها وفيرغوس وبيتر آمبروس في حديث واحد يعني أمراً واحداً فقط!

بدا دايفيد وقوراً وهو يقول: «لا أريد أن أجرح مشاعرك كلويه، لكن فيرغوس ماكلاود لم يكن صادقاً تماماً حين أتى لرؤية والدك في الأسبوع الماضي. لقد نسي أن يذكر أن الرواية السياسية التي يفكر في كتابتها مبنية على فضيحة سوزان سترلينغ!».

أخذت كلويه نفساً عميقاً، رغم أن ما قاله دايفيد لم يسبب لها الصدمة. فهي تعلم بهذا الموضوع أكثر من أي شخص آخر!

صحّحت له بحزم: «ما يعتقد هو أنه فضيحة فنحن جميعاً نعلم أن ذلك ليس صحيحاً».

أجابها دايفيد: «هل نعلم حقاً؟».

ثم أنّ بغضب: «تباً كلويه... لِمَ لم تخبرينا بما أراده فيرغوس؟ لِمَ تركتني أكتشف ذلك من مصدر آخر؟ ألم تدركي أن فيرغوس ماكلاود يستخدمك للوصول إلى والدك؟».

لم يكن هذا صحيحاً. فكلويه تشك في أن يكلف فيرغوس نفسه عناء التعرف إليها لو لم تفرض صحبتها عليه بنفسها. لكنها لن تخبر دايفيد بذلك فهو منزعج منها بما فيه الكفاية. وقفت بنفاد صبر، وقد شعرت وكأنها فتاة صغيرة تعاقب من مدير مدرستها. فردت وعيناها تلتهبان غضباً: «ولِمَ توقفت عن رؤيته باعتقادك؟».

فرك دايفيد حاجبه بيده: «منذ متى وأنت على علم بما يسعى إليه؟ يبدو أن بيتر رآك برفقته منذ فترة».

صححت له كلويه بسخط شديد: «في الواقع، كان ذلك منذ أسبوع فقط. أما متى علمت بالأمر، فهذا غير مهم لأن فيرغوس مصرّ على تأليف هذا الكتاب».

لم تشأ كلويه أن تأتي على ذكر فيكتوريا، إذ يكفي سوءاً أن فيرغوس على علم بتدخلها.

ـ علينا أن نتحرك بصورة قانونية، يمكننا . . . .

قالت بكآبة: «فيرغوس محام، دايفيد. وهو يعلم بالضبط إلى أي حد يمكنه أن يتمادى في ذلك الخيط الرفيع الذي يفصل بين الوقائع والخيال، من دون أن يعرّض نفسه لدعوى قضائية».

هذا على الأقل ما قاله لها فيرغوس!

ثم تابعت: «المشكلة الحقيقية، برأيي، هي من منا سينقل هذا الخبر لوالدي؟».

وهذه مهمة أرادت كلويه أن تبقى بعيدة عنها، إذ يؤلمها أن تعكر سعادة والدها لفكرة عودته إلى ممارسة السياسة. لقد برع في عالم الأعمال خلال السنوات الثماني الماضية، لكن ما هو بارع فيه حقاً هو عالم السياسة. أما الآن، وبعد رسالة التحذير غير الرسمية التي أوصلها إليه بيتر آمبروس، فقد لا تكتمل عودته إلى عالم السياسة.

اللعنة . . . كل هذا بسببك فيرغوس ماكلاود! ولم تكن هذه المرة الأولى التي تفكر فيها بهذا الشكل.

قال دايفيد بتجهم: «أنا سأخبره».

ثم تابع محذراً: «لكنه، على الأرجح، سيرغب في التحدث إليك بعد ذلك».

توقعت كلويه ذلك، لكنها لم تكن تعلم ما الذي ستقوله له . . .

سألها دايفيد بهدوء: «هل قلت إنك توقفت عن رؤية فيرغوس؟».

أكّدت له: «بكل تأكيد».

علّق دايفيد بعد تفكير: «هل تعتقدين أنها فكرة صائبة؟».

هزّت كلويه رأسها بنفاد صبر: «حدّد موقفك دايفيد. في البداية رحت تؤنبني لأنني على علاقة بذلك الرجل، والآن تقترح . . .».

توقفت قليلاً لتسأله بقلق: «ما الذي تقترحه بالضبط دايفيد؟».

مرّر دايفيد يده بتوتر في خصلات شعره، وقال: «لا أعلم! لا أستطيع أن أركز. ظننت أن هذه المسألة انتهت وأن الماضي مات وتم دفنه . . .».

أكملت كلويه بصوت أبح: «مع سوزان سترلينغ؟».

رمقها دايفيد بنظرة ملؤها الذهول: «هذا قول رهيب».

هزت كتفيها بلا مبالاة، فهي لم تغفل عن نبرة التشكك في صوته حين قالت إن الجميع يعرفون الحقيقة. وقالت مبرّرة: «بدا وكأنك تشك منذ البدء بتورط والدي مع سوزان. هل تعلم شيئاً لا نعلمه؟».

نظر دايفيد إليها بحدّة: «ماذا تقصدين؟».

تنهّدت كلويه وقد شعرت بتقلص في معدتها: «ما سمعتني أقوله تماماً، لطالما كنت أنت ووالدي مقرّبين من بعضكما البعض».

أجابها دايفيد: «كلويه، والدك لم يكن أبداً. . أبداً. . متورطاً مع سوزان سترلينغ».

تنهّدت كلويه بارتياح: «في مطلق الأحوال، يجب أن يعلم بشأن كتاب فيرغوس».

قال دايفيد: «ربما في ما بعد، أودّ أن أتكلم مع فيرغوس قبل أن نخبر والدك».

حذّرته كلويه: «لن يستمع إليك أكثر مني».

أذعن دايفيد بحزن: «ربما، لكن رغم ذلك، عليّ أن أحاول. فوالدك سياسي بارع وقد ضحّى بما فيه الكفاية من أجل هذه المسألة».

إنها تعلم ذلك، بل إن العائلة كلها تعرف مقدار تضحياته. كما شعرت بالامتنان لدايفيد، لمحاولته الدفاع عنه بقوة، لكنها علمت في الوقت نفسه أنه سيضيع وقته سدىً مع فيرغوس. لقد عرض فيرغوس عليهم حلاً . . . عليها هي على الأقل. وأخيراً قالت: «هل يمكنك ترك الأمور على حالها لأيام فقط؟».

ثم تابعت تشرح له بعد أن رأت نظراته العابسة: «أود القيام بمحاولة أخيرة مع فيرغوس، قبل أن يتدخل أحد سواي».

سألها دايفيد: «وما الذي ستقوله لبيتر آمبروس في هذه الأثناء؟».

اقترحت وهي تأمل أن تتمكن هذه المرة من حل مسألة والدها مع فيرغوس: «أخبره أن المسألة تحت السيطرة».

إلا أنها، في الواقع، كانت تخشى حدوث العكس تماماً.

* * *

١١ ـ قلب في مهب الريح

شعر فيرغوس بالانزعاج عندما سمع صوت الجرس يقرع في منزله فيما هو يتناول العشاء بمفرده، إذ لم يكن في مزاج يسمح له باستقبال أي كان.

لم تكن نهاية الأسبوع سعيدة بالنسبة إليه. فبعد وداعه لكلويه مساء يوم الجمعة، ذلك الوداع المؤلم الذي لم يشعره بالرضى، بدا أن كل يوم من الأسبوع يمر أسوأ من غيره.

تأوه فيرغوس حين سمع رنين الجرس من جديد، وأدرك أن الطارق واثق تماماً من وجوده في المنزل، إذ ترك سيارته أمام المدخل ولم يركنها في المرآب.

لو أن الظروف مختلفة، لشعر فيرغوس بالرعشة تسري في جسده لرؤية كلويه واقفة على الباب. لكنها آخر شخص توقع رؤيته الآن بعد المعلومات التي وصلته!

لكن ذلك لا يعني أن كلويه لا تبدو جميلة، بل بدت كذلك فعلاً في الفستان الأسود المصمم ببساطة الذي يبرز جمال جسمها وشعرها الأسود الطويل وبشرتها العاجية اللون. ابتسمت كلويه له وقالت بنبرة ملؤها الأمل: «ألا تزال غاضباً مني أم أنك ستدعوني للدخول؟».

فتح فيرغوس الباب على اتساعه ودعاها للدخول. حتى مساء يوم الجمعة لم يكن يشعر بالغضب منها مطلقاً، لكن بعد المعلومات التي عرفها لم يعد واثقاً مما سيقوله لها. حين أصبحا في غرفة الجلوس لاحظت كلويه أنه يرتدي هو أيضاً ثياباً سوداء فقالت: «يبدو أن كلينا في حداد!».

سألها بهدوء: «بِمَ أساعدك كلويه؟».

بللت شفتيها بطَرف لسانها وبدا بوضوح أنها ليست هادئة الأعصاب كما

أرادت أن تبدو. واقترحت بمرح: «فنجان قهوة قد يكون جيداً. هل تمانع إذا جلست؟».

ـ تفضلي، إجلسي.

راقبها وهو مستغرق في التفكير فيما جلست واضعة إحدى ساقيها فوق الأخرى. قال لها بجفاء: «في الواقع، لم أقصد بسؤالي ماذا تودين أن تشربي، لكنني سأحضر لك فنجان قهوة بكل سرور».

قرّر فيرغوس بصرامة، قبل أن يدخل إلى المطبخ لإعداد القهوة، أن عليها أن تغادر المنزل بعد تناولها القهوة مباشرة. فلديه الكثير من الأمور التي عليه أن ينجزها وهو، بالطبع، لن يتمكن من القيام بأي منها خلال وجودها هنا!

اتجه إلى المطبخ وهو يتساءل عن سبب قدوم كلويه..

قالت كلويه من خلفه وكأنها تعتذر: «يبدو أنني قاطعتك عن تناول العشاء».

وحين رأته يجفل تابعت تقول: «لم أقصد إخافتك».

ثم أشارت إلى الطعام على الطاولة: «أرجوك، لا تترك طعامك يبرد».

فقال وهو يحمل صينية القهوة: «على أيّ حال، لم أكن مستمتعاً بتناول الطعام. هيا لنعد إلى غرفة الجلوس».

ما إن عادا إلى غرفة الجلوس حتى راحت كلويه تحدق إلى وجهه متفحصة فيما هو يسكب القهوة: «هل من خطب فيرغوس؟».

نعم، كل شيء! كل شيء سيء. تباً لذلك...

جلس قبالتها على الكرسي ورد بغموض: «ليس تماماً».

إلا أنه كان صريحاً وواضحاً حين سألها: «لِمَ أنت هنا كلويه؟».

ـ حسناً، يمكنني أن أقول إنني مررت لرؤيتك فقط، أو إنني كنت مارة من هنا صدفة، أو...

قاطعها قائلاً: «أظنني أخبرتك من قبل أنني أفضل دوماً الحقيقة على الأكاذيب الملفقة».

ردت كلويه ببساطة: «نعم، أخبرتني ذلك. ربما كان علي أن أتصل بك قبل مجيئي».

وعضت شفتها بقلق، فتمنى فيرغوس لو أنها لم تقم بتلك الحركة المثيرة التي أشعلت الرغبة في كيانه، لكنه رد قائلاً: «لا بأس، ها أنت هنا الآن».

وأمل ألا تعكس تعابير وجهه تلك الرغبة التي تعتمل بداخله.

أخذت كلويه نفساً عميقاً: «اتصل بيتر آمبروس بوالدي... بطريقة غير رسمية».

ثم أضافت بسرعة: «بشأن الكتاب الذي تنوي تأليفه».

ومرة أخرى تمنى فيرغوس لو أنه لم يفكر بتأليف هذا الكتاب على الإطلاق. لأنه مهما فعل الآن، وعلى ضوء المعلومات الجديدة التي تلقاها، فسوف تشعر كلويه بالاستياء، ما يعني أن كراهيتها له سوف تزداد أكثر فأكثر. وتعجب فيرغوس لأن بيتر آمبروس انتظر كل هذا الوقت ليتصل بوالدها بعد لقائهما الأسبوع الماضي.

وضعت كلويه فنجان القهوة على الطاولة بيد مرتجفة، ثم نظرت إليه بتوسل: «لم يفت الأوان على إيقاف كل ذلك فيرغوس».

ـ بلى لقد فات الأوان! أصبح الوقت متأخراً جداً للتوقف. لأن الأمر غدا مثل كرة الثلج التي تتدحرج من قمة الجبل بحيث تغدو أكبر فأكبر كلما تحركت.

تحرك في كرسيه إلى الأمام باحثاً بيأس عن كلمات مناسبة. بدأ يقول بتردد: «كلويه.. ألا يمكنك التحدث إلى والدك؟ قد تتمكنين من إقناعه أن العودة إلى مجال السياسة ليس بالفكرة... الصائبة».

لا في الوقت الحاضر ولا فيما بعد، إذا ما كانت المعلومات التي حصل عليها فيرغوس صحيحة!

اتسعت عيناها وسألته غير مصدقة: «لأنك مصمم على تأليف هذا الكتاب؟».

ـ كلا..

قاطعته بلهجة اتهامية: «ألا ترى أنك شخص أناني؟ أنت مؤلف، ولا شك أنك تملك عشرات الأفكار التي تصلح كمواضيع روايات..».

قاطعها فيرغوس: «أقدر ثقتك بقدرتي على التخيل كلويه. لكنني

أخشى..».

وقفت بغضب فيما هي تكمل جملته: «أنك تريد كتابة هذه الرواية بالذات».

وامتلأت عيناها بالدموع: «أرجوك فيرغوس، سأتوسل إليك إذا لزم الأمر. أرجوك، أرجوك توقف عما تقوم به».

تمنى فيرغوس لو أن بإمكانه ذلك، لكن الأمر لم يعد بيده. فلقد تلقى زيارة من أحدهم بعد ظهر هذا اليوم، ما جعل تراجعه الآن أمراً مستحيلاً...!

حاول إقناعها: «كلويه، لا بد أن والدك يدرك، مذ قرر العودة إلى عالم السياسة، أن ما حصل في الماضي سوف يلاحقه، بغض النظر عن الرواية التي سأكتبها أنا».

أومأت كلويه: «نعم، وهو مستعد لذلك. لأنه قادر دوماً على إثبات براءته. لكن ألا يمكنك أن ترى أن كتابك سوف يثير الضجة حول الموضوع من جديد؟».

ثم تابعت بصوت مختنق: «أنا مستعدة للقيام بأي شيء.. أي شيء مهما يكن.. شرط أن تمتنع عن تأليف هذا الكتاب!».

شعر فيرغوس بالغثيان، فهو يعلم أن كلويه سوف تكرهه وتود الانتقام منه بعد أربع وعشرين ساعة أو ثمان وأربعين ساعة على الأكثر. وسوف تكرهه أكثر عندما تتذكر ما تقوله له الآن.

رمقها بنظراته ببطء من قمة رأسها إلى أسفل قدميها، متأملاً جسمها النحيل بغطرسة متعمدة، ما جعل وجه كلويه يحمر تألماً. من الأفضل لها أن تتألم الآن وليس لاحقاً!

وأخيراً، تشدق قائلاً: «ألا ترين أنك شديدة الثقة بنفسك عزيزتي؟».

بدا واضحاً أن الألم والغضب يتصارعان في داخلها وأن كلويه تجاهد للسيطرة على نفسها.. وإذ بها تفشل: «أنت..».

ـ لا مزيد من الإهانات كلويه.

قال فيرغوس ذلك بسخرية فيما هو يهب واقفاً وقد توصل إلى قرار؛ وهو أن على كلويه أن تغادر منزله على الفور. ثم تابع وهو يعقد حاجبيه: «ما من داع لمتابعة الحديث بيننا.. ألا تظنين ذلك؟».

رفضه الواضح لها جعل اللون يختفي من خديها، فانفجرت قائلة وهي تلتقط مفاتيحها عن الطاولة: «لا أدري لِمَا ظننت أنني أستطيع الاعتماد على الجانب الطيب من شخصيتك.. من الواضح أن هذا الجانب مفقود لديك».

ثم أنهت كلامها بقرف واضح: «لا أعلم كيف يمكنك أن تنام خلال الليل».

كان فيرغوس يعاني من الأرق فعلاً في الفترة الأخيرة.. لكن أرقه ذاك لا علاقة له بشعوره بالذنب كما لمحت كلويه في كلامها، بل إن التفكير فيها كان كافياً لبحرم عينيه الرقاد.

ـ تعلمين أن هذا الأمر بالتحديد ليس مشكلة بالنسبة إلي.

قال ذلك يذكرّها بتلك الليلة التي أمضتها في غرفته وهو مستغرق في النوم. تلك الليلة التي لم يتمكن من نسيانها البتة! لقد نام يومها ملء جفونه غافلاً عن كلويه التي تشاركه غرفته. وهو يدرك الآن أن ذلك لن يحدث ثانية على الإطلاق!

ألقى نظرة خاطفة على ساعة يده. ما زال لديه متسع من الوقت كما يأمل: «والآن، إذا كنت لا تمانعين، لدي موعد هذا المساء».

بعد زيارة كلويه التي بعثت اليأس في نفسه، فكر فيرغوس في أنه لن يتمكن من أن يعود فيجلس هنا الآن دون أن يحرك ساكناً. إن لم يتمكن من إيقاف كرة الثلج، عليه، على الأقل، أن يجد شخصاً آخر يمكنه القيام بذلك.

التوى فم كلويه بمرارة وسارت إلى الباب وهي تقول من بين أسنانها: «آسفة لأنني أضعت وقتك سدى».

رد موبخاً بلهجة مهذبة: «أنت من أضاع وقته سدى».

استدارت فجأة لتحدق إليه بعينين تلتمعان بلون أزرق داكن: «هذا واضح جداً».

حافظ فيرغوس على مظهر اللامبالاة إلى أن خرجت كلويه من المنزل غاضبة ووصلت إلى سيارتها لتقودها مبتعدة. عندئذ انخفضت كتفاه باستسلام كأنهما كرة تم إفراغها من الهواء. هزّ رأسه بحزم، فاليأس لن يجديه نفعاً. ثمة أمور عليه أن يقوم بها، وأماكن عليه أن يزورها وشخص عليه أن يراه. لكن عليه أولاً أن يجري مكالمة هاتفية...

لَم يثير فيرغوس غضبها ما إن تراه إلى حد تنسى معه نواياها الطيبة كلها، وأساليب الإقناع التي تملكها؟ ففي كل مرة تلتقيه ينتهي بها الأمر إلى ذرف الدموع بعد افتراقهما.

قادت كلويه سيارتها ودموع الإحباط والخيبة تسيل محرقة خديها، دموع لم تتمكن من السيطرة عليها. لقد فشلت مرة أخرى في إقناع فيرغوس بالعدول عن تأليف ذلك الكتاب الذي سيسبب الأذى لأسرتها. لم يقف الأمر عند فشلها فقط، بل إنها عرّضت نفسها للإهانة عندما رفضها فيرغوس بمنتهى القسوة. عليها أن تخبر دايفيد غداً صباحاً أنه لم يعد لديهم أي أمل الآن؛ يجب أن يعلم والدها بما يجري. لأن الأمر سيغدو أكثر سوءاً إذا علم بذلك من مصدر آخر.

إلا أن مجرد التفكير في العودة إلى المنزل الآن، والجلوس إلى مائدة العشاء مع والديها، فيما هي تشعر بالغليان في داخلها، ليس بالفكرة السارة. كما أنّ حديثها الأخير مع فيرغوس أفقدها شهيتها..

بدت الأنوار مرحبة في منزل بيني ودايفيد، فيما كانت كلويه تركن سيارتها أمام المدخل الأمامي للمنزل. في مثل هذا الوقت قد يكون جوش، الابن الأصغر لدايفيد وبيني، في فراشه، أما ديانا التي تبلغ الثامنة من عمرها وبول الذي يبلغ العاشرة من عمره فلا يزالان مستيقظين. وكلويه مولعة جداً بأولاد أختها، وفي هذه اللحظات بالذات ما تحتاجه هو براءة الطفولة.

رحبت بها بيني بحرارة ما إن دخلت إلى المطبخ: «أهلاً بك عزيزتي. وصلت في الوقت المناسب كي تساعديني في حمام جوش».

عبثت بشعر ابنها الصغير، وأكملت: «لقد تأخرت عليه قليلاً، وقد اضطر دايفيد إلى الخروج بصورة غير متوقعة».

لا يمكن لكلويه أن تدعي أنها تكترث لغياب دايفيد. فالمسألة التي تعرفها كلويه والتي يبدو أن بيني لا تعرف عنها شيئاً، ستضعها في موقف محرج لو أن دايفيد هنا.

فكرت كلويه وهي تراقب أختها بإعجاب، في أن بيني أم رائعة.

ماتحتاجه كلويه بالفعل بعد حديثها الأخير مع فيرغوس هو جو عائلي دافئ

مفعم بالسعادة. سألتها بيني فيما هي تساعد جوش على خلع ملابسه: «كيف حال الوسيم فيرغوس؟».

أجابت كلويه بلهجة قاطعة: «لا أهتم لأمره».

ثم أضافت: «سواءاً كان وسيماً أم لا».

ظهرت خيبة الأمل على وجه شقيقتها: «ظننت أنه يعجبك».

قالت كلويه من دون اهتمام: «إنه شخص متعجرف ومستبد، وهذا لا يعجبني».

فقالت بيني مبدية تعاطفها: «هذا أمر مؤسف».

سألها جوش ببراءة وهو يلعب بالفقاعات التي ظهرت في مياه المغطس: «من هو فيرغوس؟».

قالت لابنها الصغير: «إنه مجرد صديق لخالتك كلويه يا عزيزي».

كلمة صديق لا تنطبق على فيرغوس مطلقاً.. ولم تكن كذلك في أي وقت من أوقات تعارفهما!

بعد أن انتهى حمام جوش وعاد الجميع إلى المطبخ، أعلن الصغير لأخيه وأخته اللذين يكبرانه سناً: «خالتي كلويه لديها صديق واسمه فيرغوس».

سألتها ديانا بحماس: «هل ستتزوجين خالتي كلويه؟».

تتزوج من فيرغوس؟ سيكون ذلك بمثابة الدخول إلى قفص مليء بالأسود. بل لعل الأسود أرحم إذ أنّ ضربتها قاضية وسريعة.

أجابت مخيبة آمال الصغيرة: «أخشى أن ذلك لن يحصل حبيبتي».

بعد مضي ساعة على ذلك الحديث، جلست المرأتان في غرفة الجلوس الأنيقة لتناول الشاي، فسألت بيني بإلحاح: «هل ذلك صحيح كلويه؟».

لم تفهم كلويه ما تقصده أختها بسؤالها هذا، فراحت بيني تضحك مذكرة إياها: «أن ذلك لن يحصل؟».

أكدت كلويه: «هذا ما أخشاه. أظن أن من الأفضل أن أهتم بمهنتي.. لأن الناس غير جديرين بالثقة ولا يمكن الاعتماد عليهم».

ظهر الإنزعاج على وجه بيني ثم قالت وهي تتمطى شاعرة بالتعب: «الحمدلله

أنني لم أعد عزباء تنتظر فارس الأحلام».

اقترحت كلويه بعد أن لاحظت الإرهاق الذي يبدو على شقيقتها: «لمَ لا تستغلين فرصة غياب دايفيد ونوم الأولاد لتأخذي حماماً ساخناً؟ أما أنا فعليَّ أن أغادر».

لكنها شعرت بثقل في صدرها لمجرد التفكير في العودة إلى المنزل.

ابتسمت بيني وقالت: «أظن أنني سأعمل بنصيحتك. بلّغي حبي لماما وبابا».

قادت كلويه سيارتها بهدوء في طريق العودة إلى المنزل، فهي لم تكن على عجلة من أمرها للوصول. لكن وصولها متأخرة إلى المنزل يعني أن العشاء قد فاتها. وهذا أمر جيد إذ إنها لن تضطر إلى تناول الطعام مراعاة لمشاعر والديها.

وعلى الرغم من ذلك عاد إليها توترها بقوة أكبر، وشحب وجهها، واشتدت قبضتاها على المقود ما إن وصلت إلى المنزل، إذ رأت سيارة رياضية مألوفة ومادية اللون مركونة إلى جانب سيارة صهرها دايفيد.

ما الذي يفعله فيرغوس هنا، بحق السماء؟

ولكن.. هل من حاجة لأن تسأل؟ لقد اتضح لها الآن سبب خروج دايفيد من منزله بشكل غير متوقع، وهذا ما جعلها تشعر بالقلق. أوقفت سيارتها بسرعة إلى جانب سيارة فيرغوس وأسرعت نحو المنزل. لقد تركت فيرغوس في منزله منذ حوالى ساعة ونصف الساعة، ولعل الأوان فات الآن على منعه من التصرف بشكل يسيء إلى أسرتها.

رحبت بها والدتها ما إن دخلت مسرعة إلى غرفة الجلوس، ثم راحت تشرح لها الموقف بشكل تلقائي: «كنت أتساءل أين أنت. لقد تأخر موعد العشاء لهذه الليلة، فوالدك لديه اجتماع عمل».

لكن كلويه تعلم تماماً من هو الشخص الذي يجتمع بوالدها الآن؛ لم يكن في الغرفة سوى والدتها، ما يعني أن فيرغوس في المكتب مع والدها ودايفيد. ما الذي يناقشونه؟ هل علم والدها بكل شيء الآن؟ وإذا علم بالأمر، فما الذي سيفعله؟

عليك اللعنة فيرغوس!

قاومت رغبتها بالاندفاع إلى مكتب والدها لتسأل فيرغوس ما الذي يفعله بالتحديد. وبدلاً من ذلك قالت لأمها: «هل مضى وقت طويل على وجود فيرغوس هنا؟».

تنبهت والدتها قائلة: «لا بد أنك رأيت سيارته أمام المنزل. لقد أتى منذ ساعة تقريباً. ظننت في بادىء الأمر أنه أتى لرؤيتك، لكنه طلب مقابلة والدك».

ثم تابعت تقول بمزاح لاذع: «هل تعتقدين أنه سيطلب يدك رسمياً من والدك؟».

إلا أن كلويه واثقة من أن الزواج منها أو من سواها هو آخر ما يفكر فيه فيرغوس. فأجابت بسخرية: «أشك في ذلك. أرى أن دايفيد هنا أيضاً».

أجابت والدتها: «وصل بعد دقائق من وصول فيرغوس. يبدو الأمر غريباً جداً».

لكنه لم يبدُ كذلك بالنسبة إلى كلويه. إلا أنها لا تستطيع البوح بشيء لوالدتها، إذ يكفي ما عانته منه منذ ثماني سنوات ولا تزال تعانيه حتى الآن.

جلست المرأتان في غرفة الجلوس تتبادلان أطراف الحديث. شعرت كلويه أن الثواني تمر ببطء شديد بانتظار خروج الرجال الثلاثة من غرفة المكتب. بعد مرور نصف ساعة تقريباً سمعت كلويه أصوات الرجال في القاعة الرئيسية، فوقفت وأسرعت إلى الغرفة.

«التجهّم» لم يكن صفة كافية لوصف تعابير وجوههم، وقد تقدّمهم دايفيد ثم سار خلفه فيرغوس وتبعهما والدها. بدا وجه دايفيد شاحباً متوتراً، أما تعابير وجه فيرغوس فقد تحولت إلى غطرسة حين رآها. لكن أكثر من يهمها هو والدها الذي بدا فجأة وكأنه أكبر بعشر سنوات، فقد بدا الذبول على وجهه واختفت منه ملامح السعادة، كما انخفضت كتفاه بإحباط وهو يسير فاقد الحيوية على غير عادته.

وجهت نظرة اتهامية غاضبة إلى فيرغوس. فأدرك أن هذه هي المرة الثانية خلال أيام قليلة التي تود فيها ضربه. حذرها وهو يمسك بذراعها بقوة: «لا تتفوهي بكلمة. رافقيني إلى السيارة».

لم يكن ذلك طلباً بل أمراً. ولم يعجب كلويه أبداً أن تتلقى الأوامر بهذا الشكل من هذا الرجل بالذات، لكن محاولاتها لتحرير يدها من قبضته لم تنجح. وأضاف فيرغوس وهو يصر على أسنانه: «الآن».

رمقته كلويه بنظرات شرسة ملؤها الغضب قبل أن تستدير لتسير معه إلى المدخل فيما هو لا يزال ممسكاً بيدها. حين أصبحا خارج الباب المغلق، حدقت إلى وجهه، ثم قالت بسخط: «حسناً، آمل أنك تشعر بالرضى».

هز رأسه وقد ظهر في عينيه البنيتين فتور غريب وبدا التجهم على فمه: «ليس كثيراً».

ـ إذن، لِمَ فعلت ذلك؟

ثم تهدّج صوتها بسبب مشاعرها المضطربة: «لا عليك. كلانا يعلم لماذا.. ما الذي سيفعله والدي الآن؟».

هز فيرغوس كتفيه قليلاً: «أظن أنّ من الأفضل أن تسأليه هو، أليس كذلك؟».

قالت كلويه وهي لا تزال تشعر بالصدمة وتحاول مغالبة دموعها: «لن أسامحك أبداً فيرغوس.. أبداً».

ردّ ببرودة: «لم أتوقع أن تفعلي».

فأضافت بنزق طفولي: «أتمنى لكتابك الفشل الذريع».

لكنها علمت في قرارة نفسها أن ذلك لن يحصل، فمجرّد وجود اسم فيرغوس عليه سيساعده على الإنتشار والنجاح، لكنها أكملت: «على الأقل، هذا ما تستحقه».

ظهر الحزن على فيرغوس: «هل حصل أحد منا على ما يستحقه فعلاً؟».

قالت كلويه بكراهية: «لكنك تستحق ذلك. لا أريد أن أراك مجدّداً.. أبداً!».

كرّر فيرغوس ما قاله من قبل: «لم أتوقع أن تفعلي. لكن، ربما في أحد الأيام..».

أكدت له بعنف: «أبداً!».

فتح باب السيارة وهو يقول: «إذن، لم يعد هناك ما يقال، أليس كذلك؟ أقترح عليك، حين يخف غضبك مني وتتمكني من السيطرة على أعصابك في ما يتعلق بقضية والدك، أن تتحدثي إليه. لست واثقاً مما إذا كان سيخبرك بكل شيء، لكن تحدثي إليه على أيّ حال».

بالطبع سوف تتحدث إلى والدها.

تمهّل فيرغوس وهو يصعد إلى السيارة، وقال بصوت أجش: «وداعاً كلويه».

ردّت بحزم ومن دون تردد: «وداعاً فيرغوس».

باتت تشعر بالكراهية تجاهه بسبب أنانيته وإصراره على أذية والدها، كما كرهته لأنه عاملها بقسوة هذا المساء. فقد أدركت، بعد زيارته المفاجئة لوالدها الليلة، أن جميع حججها ودفاعاتها لم تعنِ له شيئاً.

لكن، حين صعد إلى السيارة واتجه بها نحو المدخل، أدركت كلويه، أنها تحمل له أحاسيس من نوع آخر. فبالرغم من كل حصل، علمت أن حبها له لم يتغير.

وشعرت كلويه بقلبها يتفتت من الألم!

***

١٢ ـ لن أعود

ـ أتعلم أيها الفتى؟ أرى أن ثمة حلّين لمشكلتك.

نظر فيرغوس إلى جده بغضب، وكان الرجلان يشربان العصير في منزل فيرغوس. لقد وصل جدّه بالأمس إلى لندن كعادته كل شهر. وكان يستمتع بشرابه، أما هو فلم يعد يستمتع بشيء منذ أسبوع وحتى اليوم.

عبس فيرغوس قائلاً: «مشكلتي؟».

ما زال جدّه رجلاً وسيماً رغم أنه في الثمانين من عمره، فوجهه خالٍ من التجاعيد وجسمه نحيف. أما الدليل الوحيد على تقدمه في السن فهو الشيب الذي غزا شعره فضلاً عن الحكمة التي تبدو في نظراته.

أومأ الجدّ قائلاً: «نعم. يمكنك أن تتزوج الفتاة أو تنسى أمرها. واسمح لي أن أقول إنك لا تبدو قادراً على نسيانها».

عبس فيرغوس مجدّداً في وجه الرجل العجوز ليقول أخيراً: «أي فتاة؟».

تنهّد جدّه: «تناولت العشاء ليلة أمس مع برايس».

فتكهن فيرغوس: «وابن خالتي العزيز أخبرك عن كلويه؟».

سبق له أن قرّر ألاّ يدع برايس يعرف شيئاً عن علاقاته الغرامية، لكن برايس التقى الفتاة بنفسه هذه المرة! على أيّ حال، لقاءه السريع بكلويه لا يمكن وصفه بالعلاقة الغرامية.

قال جدّه باهتمام: «كلويه؟ هل هذا هو اسمها؟ إنه جميل!».

ثم رفع حاجبيه متعجباً: «يبدو اسمها جميلاً بقدر جمالها نفسه بحسب ما وصفها لي برايس».

www.elromancia.com

كلمة جميلة ليست كافية لوصف كلويه . .

قال فيرغوس بغباء : «بل إنها فاتنة» .

حثّه جدّه قائلاً : «وماذا أيضاً؟» .

هبّ فيرغوس وقال بوجه متجهم : «لا شيء . إنها فاتنة و . . . تملك روحاً مرحة . .» .

ـ متزوجة؟

أجاب فيرغوس بحدّة وهو يحملق بسخط في وجه جدّه : «بالطبع لا» .

لكنها ببساطة . . . صعبة المنال . بالنسبة إليه على الأقل !

قال جدّه بنبرة لطيفة : «لكن برايس يعتقد أنها أمضت ليلة على الأقل ، في منزلك!» .

أخذ نفساً غاضباً ثم قال بسخرية : «لسان برايس طويل» .

قال جدّه موبخاً بلطف : «في الواقع ، إنه قلق عليك ، مثلي تماماً» .

قد لا تكون العلاقة بين أفراد عائلة فيرغوس حميمة ودافئة كما هي بين أفراد عائلة كلويه ، لكن أبناء الحالات الثلاثة وجدهم مقربون من بعضهم البعض ويهتم كل منهم لشؤون الآخرين . وأدرك فيرغوس أنه يستحق التوبيخ مع أن جدّه حاول أن يبدو لطيفاً .

لكنه أكّد للرجل العجوز : «لا داعي لأن تشعر بالقلق» .

كانت الأيام العشرة الأخيرة من أطول الأيام التي مرت على فيرغوس ، وذلك منذ لقائه الأخير مع كلويه . فهو لم يستطع النوم أو تناول الطعام ولم يتمكن كذلك من العمل . كل ما كان يفعله هو التساؤل عما تقوم به كلويه في هذه الأثناء ، وهل تحدّث والدها إليها وأخبرها بسره؟ وإذا ما فعل ، فإلى أي حد زاد كرهها له الآن؟

قال جدّه بحزم : «أظن أن عليك أن تدعني أحكم بنفسي فيرغوس» .

ثم أضاف بلهجة مهذبة : «أخبرني عنها» .

لوى فيرغوس فمه بسخرية : «ظننت أنني أخبرتك للتو» .

هز الجد رأسه بنفاد صبر : «من تكون كلويه؟ ماذا تفعل؟ ولِمَ هي صعبة المنال؟» .

عرف فيرغوس أن السؤال الأخير هو أكثر ما يثير اهتمام جده ، لذا اختار أن يجيب عن السؤالين الأولين . فقال باختصار : «اسمها كلويه فوكس هاملتون ، وهي مصممة أزياء» .

ردّد جده : «فوكس هاملتون . .» .

ضاقت عيناه وهو يمعن في التفكير : «هل تربطها قرابة ما برجل السياسة؟» .

صحّح له فيرغوس بسرعة : «رجل السياسة السابق» .

ثم أضاف موضحاً وهو يدرك أن جده على علم بتلك الفضيحة التي طالت والدها منذ ثماني سنوات : «إنها ابنته» .

تمتم جدّه : «لم يتمكن من الإستمرار» .

ما أكّد لفيرغوس أنه يتذكر الحادثة ثم تابع بمرح واهتمام : «إذن ، إنها حفيدة ويللي فوكس هاملتون؟» .

نظر فيرغوس إليه وقد فوجيء بكلامه : «أنت تعرف جد كلويه؟» .

أكد جدّه قائلاً : «وأعرف والدها أيضاً ، لكنني لم أره في السنوات الأخيرة» .

ثم ابتسم عندما رأى تعابير الدهشة على وجه فيرغوس : «أعرفه منذ كان صبياً صغيراً . كان بول يرافق والده في رحلات الصيد» .

وراح يتذكر والعبوس باد على وجهه : «قبل أن تولد أنت على الأرجح . أتذكر أن بول تخلّى عن اسمه الأوسط حين دخل مضمار السياسة» .

التمعت عيناه الزرقاوان ببريق الاهتمام ، ثم ردّد مجدداً : «نعم . حفيدة ويللي فوكس هاملتون . إذا كانت الفتاة كجدها ، فلا يفاجئني أن تواجه المشاكل معها» .

لم يكن فيرغوس يواجه مشاكل معها ، لكنه جرحها بعمق حتى إنها لم تعد ترغب برؤيته مجدداً .

ـ أنا . .

توقف فيرغوس عما أراد قوله للدفاع عن كلويه حين دخلت مود الغرفة ، والتفت إليها بتساؤل ، فقالت مدبرة المنزل بتهذيب : «الآنسة فوكس هاملتون هنا ، وهي تود رؤيتك سيد فيرغوس» .

منذ بداية هذا الأسبوع ، أعطى فيرغوس تعليماته إلى مدبرة منزله ، بأن تبلغه

على الفور، إذا ما اتصلت كلويه أو أتت لرؤيته. مع أنه لم يكن يتوقع أن تفعل...

علق جدّه بجفاء وهو ينظر إليه متعجباً: «صعبة المنال أيها الصبي!!».

شعر فيرغوس بالحرارة تغزو وجنتيه: «أنا..».

ومع أن مود أعلمته بوصول كلويه إلا أنه لم يدعها بعد للدخول. لكن يبدو أنها لم تنتظر دعوته فقاطعته: «أرجوك، لا تتعب نفسك بادعاء أنك لست موجوداً!».

إلا أن عينيها اتسعتا عندما أدركت أن فيرغوس لم يكن وحده: «آمل ألاّ أكون قد قاطعتكما».

ردّ جد فيرغوس على الفور: «على الإطلاق أيتها الشابة».

جاء رده مناسباً لأن فيرغوس لم يتمكن من التفوه بكلمة بسبب الصدمة التي سببتها له زيارتها المفاجئة. كان فيرغوس يأخذ رشفة من كوب العصير حين دخلت كلويه، وما إن رآها حتى ضاقت عيناه وتوترت شفتاه. فقد لاحظ أن الأيام العشرة الأخيرة لم تكن سهلة عليها أيضاً. لطالما بدت كلويه نحيفة القوام، لكنها تبدو أكثر نحولاً.

أما وجهها، وبالرغم من أنه ما زال جميلاً، إلا أن الكآبة بدت واضحة عليه؛ فوجنتاها باهتتان وقد ظهرت تحت عينيها الزرقاوين الداكنتين ظلال سوداء داكنة اللون.

علا الشحوب وجه فيرغوس حين أدرك أنه ساهم بما أصابها.

حاول جدّه كسر الصمت الذي ساد مجدداً: «بما أن حفيدي نسي أصول اللياقة..».

وقطع كلامه ليمد يده لكلويه مصافحاً، ثم عرفها بنفسه: «هيوغ ماكدونالد» صافحته كلويه وهي تردّد بعده من دون ارتياح: «حفيدك؟».

ثم كشرت قليلاً وهي تلتفت إلى فيرغوس وقالت بنبرة ملؤها الكراهية: «ربما عليّ العودة في وقت آخر».

أخيراً، تمكن فيرغوس من استعادة صوته، وقد شعر بالذعر لفكرة أن ترحل من جديد من دون أن يعلم، على الأقل، سبب زيارتها. فقال: «لا! آه.. لا».

تابع: «أنا واثق من أن جدي لن يمانع إذا أجّلنا غداءنا قليلاً كي نتمكن، أنا وأنت، من الذهاب إلى مكتبي والتحدّث على انفراد».

قال الرجل العجوز بخفة وهو يبتسم لكلويه: «لا أمانع، على الإطلاق. إلا إذا كانت الآنسة فوكس هاملتون تود الانضمام إلينا على الغداء».

رفضت كلويه دعوته تلك وقالت وقد تغيّر لون وجنتيها: «آه، لا، شكراً. أردت فقط التحدث قليلاً إلى فيرغوس، وأنا.. عليّ أن أذهب حقاً».

بدا كلامها نذير سوء لفيرغوس، وحين التفت جدّه إليه ورأى فيرغوس تعابير البراءة المتكلفة على وجهه، أدرك أن جدّه يقدر تماماً جدية الموقف.

قال الجد بنبرة دافئة: «أنا سعيد بلقائك كلويه».

ردّت وهي تعبس في وجه فيرغوس: «وأنا سعيدة بلقائك أيضاً سيد ماكدونالد».

قال العجوز ساخراً من تهذيبها المبالغ فيه: «لا أدري لِمَا أشك في ذلك».

ثم تابع قائلاً: «أبلغي سلامي لوالدك».

أغمض فيرغوس عينيه للحظة حين رأى النظرات الإتهامية في عيني كلويه. هل كان من الضروري أن يقول جده ذلك؟ بدا واضحاً من الغضب الذي اشتعل في وجنتي كلويه أنها شعرت بنوع من التهكم المخفي في كلمات جده. مدّ فيرغوس يده إليها ليهدىء من غضبها: «كلويه..!».

رفعت رأسها بفخر وهي توجه كلامها بقسوة إليه: «يبدو أن المعلومات أصبحت في متناول الجميع. حسناً! بما أنك أخبرت الجميع عما تنوي أن تفعله بعائلتي بسبب نشر كتابك اللعين، فلم يعد هناك داعٍ لكي نتحدث في مكتبك على انفراد».

أخذت نفساً عميقاً فيما ازداد تجهم وجهها: «عرفت الكثير من صفاتك السيئة فيرغوس لكنني لم أكن أعتقد أن الحقد أحدها».

ضاق فمه بسبب إهانتها له: «أنا لم..».

قاطعته بقسوة: «لست حقوداً؟ لقد قرّر والدي أن يعتزل الحياة السياسية نهائياً، وينتقل مع والدتي للعيش في مايوركا. وما إن يباع المنزل حتى لا يبقى لي

مكان أقيم فيه في لندن، لذا قررت الانتقال إلى باريس».

بالرغم من غضبها الشديد بدا وجهها في غاية الجمال!

ردّد فيرغوس بذهول: «إلى باريس؟ متى؟».

ـ كلما أسرعت كلما كان ذلك أفضل! فكرت فقط في أنك قد تود أن تعلم ذلك.

تابعت بازدراء فيما ظل فيرغوس ينظر إليها بذهول: «لا أقصد بشأني أنا، بل بشأن عائلتي، وبالتحديد والدي».

ثم أضافت بلهجة ملؤها الكراهية: «لقد انتصرت فيرغوس».

كلويه ستغادر لندن وستذهب للعيش في باريس! هز فيرغوس رأسه وقال بإرهاق: «لم تكن تلك معركة، كلويه».

أجابت بسخرية: «بالطبع كانت كذلك. فيرغوس ماكلاود الشهير ينتصر على بول هاملتون المسكين».

ـ هل تحدثت إلى والدك كما طلبت منك؟

هزت كلويه رأسها نفياً: «رفض التكلم في هذا الموضوع معي.. وحتى مع أمي».

ظهر عليها التأثر لكنها حاولت استعادة ملامح القسوة فور إدراكها لتغير مشاعرها فأضافت: «لقد اتخذ قراره، وهكذا ستسير الأمور».

فكر فيرغوس بذهول في أن الأمور يجب ألاّ تسير على هذا النحو. لكن ما الذي يمكنه فعله؟ ماذا استطاع أن يفعل منذ عشرة أيام حين عرف الحقيقة التي يمكنها أن تعيد الأمور إلى نصابها؟ حتى لو أخبر كلويه بالحقيقة فإن بول هاملتون لن يتراجع عن عناده. أما عائلة كلويه فيكفيها ما عانته في الماضي ولا جدوى من جعلها تعاني من جديد.

نظرت إليه كلويه بابتسامة متكلفة: «إذن، فيرغوس لقد أخبرتك بما كنت متشوقاً لمعرفته. لذا يمكنني الانصراف الآن».

استدارت بسرعة وغادرت كما قالت تماماً. قال له جده: «لا تقف هكذا كالمغفل. هيا اتبعها».

لَم يفعل ذلك؟ وماذا سيقول لها؟ لقد اتفق منذ عشرة أيام مع بول هاملتون، على ألا يبوح لكلويه بأي شيء من دون إذن والدها. وذلك الرجل يرفض بشدة إعطاءه الإذن بذلك.

عبّر هيوغ عن تقديره لكلويه قائلاً: «إنها حقاً حفيدة ويللي فوكس هاملتون! وبرايس محق تماماً بقوله إنها جميلة. لو كنت أصغر بأربعين عاماً لهرعت خلفها بنفسي».

بدا أن فيرغوس يعيش صراعاً داخلياً مع نفسه، فأجابه بسخط: «حسناً، أنت لست كذلك».

لقد أراد بالطبع أن يتبع كلويه. لكنه يعلم أنه لن يتمكن من تغيير أي شيء. فمن الواضح أن بول هاملتون قد اتخذ قراره حين اختار الانتقال إلى مايوركا.

نظر هيوغ إلى فيرغوس بخيبة أمل وغدت لهجته الإسكوتلاندية أكثر وضوحاً حين لاحظ تردده: «هل أنت رجل أم فأر صغير؟ أو أنك ما وصفتك به الفتاة للتو؟».

التمعت عينا فيرغوس وهو ينظر إلى جده وقال ببرودة: «جدّي، لاتتدخل في مسألة لا تعرف عنها شيئاً مطلقاً».

برقت عينا جدّه عاكسة مشاعر الغضب نفسها وقال متحدياً: «أقرّ بأنني لا أملك أدنى فكرة عما حصل، لكن ما أعرفه هو أنني لا أسمح لفتاة مثل كلويه بالخروج من منزلي ومن حياتي كما فعلت للتو».

لم تخرج كلويه من منزله وحياته فقط، بل ستغادر إنكلترا كلها. ستذهب للعيش في باريس عاصمة الموضة وسوف تستقر هناك.

كانت كلويه ترتجف بقوة حين خرجت من المنزل، حتى أنها لم تملك القوة الكافية لتقطع المسافة القصيرة لتصل إلى السيارة. استندت إلى حائط المنزل آملة أن تكف الأرض عن الدوران حولها بهذه السرعة.

شعرت أنها بحاجة لأن ترى فيرغوس للمرة الأخيرة. حاجة.. من يبالي لما كانت بحاجة لرؤيته! ربما كان مجيئها إلى هنا غلطة كبرى، بل أحد تلك الأخطاء التي ارتكبتها منذ تعرفت إلى فيرغوس. وفجأة، سمعت صوته وهو يقف إلى

جانبها، يمسك بذراعها بقوة، يتوسل إليها بإلحاح: «كلويه.. ! أرجوك لا تبكي كلويه!».

مسحت دموعها على الفور، ولم تكن قد أدركت من قبل أنها تبكي. ثم تحججت بضعف: «أنا لا أبكي. عيناي تدمعان بسبب الغبار».

لم تفعل شيئاً في الأيام العشرة الماضية سوى البكاء. فمشاعرها تجاه فيرغوس كانت تتأرجح بين الغضب واليأس. فمن جهة، غضبت منه بقوة وأرادت أن تكرهه. ومن جهة أخرى، أغرمت به إلى درجة جعلتها ترغب في أن ترمي بنفسها بين ذراعيه، وتتوسل إليه أن يعيد كل شيء كما كان قبل أن تعرف بموضوع كتابه. فما يهمها هو أن تحتفظ بفيرغوس في حياتها.

تمتم بتجهم: «تعالي نتمشى قليلاً».

أدارها نحو بوابة الحديقة، وأدركت كلويه أنهما لن يتمكنا من العودة إلى المنزل، فجده لا يزال هناك. ما الذي سيظنه هيوغ ماكدونالد إذا ما رأى انفعالها العاطفي.

حين وصلا إلى مقعد مواجه للبركة في الحديقة اقترح فيرغوس: «دعينا نجلس هنا».

جلست كلويه وقد شعرت بالارتياح لإحساسها بصلابة المقعد الذي أسند جسمها الضعيف قليلاً، كما شعرت بأن ارتجاف ساقيها قد خف تقريباً. لا تذكر متى تناولت الطعام آخر مرة أو متى ذاقت طعم النوم آخر مرة. لذا من الطبيعي أن تشعر بالضعف. شعرت كلويه بالسلام لجلوسها هناك، وقد خففت الأشجار والنباتات المحيطة بالحديقة من ضجة الشارع المزعجة.

أمر لا يصدق! أن تكون محاطة بهذا الجو الطبيعي الرائع فيما عالمها الخاص ينهار أمام عينيها.

جلس فيرغوس إلى جانبها بوجه متجهم وقد انحنى قليلاً إلى الأمام على المقعد. راقبته كلويه خفية من تحت رموشها المنخفضة. بدا لها في غاية الوسامة، طويل القامة، قوي الجسم، واثقاً من نفسه، إنه.. فيرغوس المميز.

هز فيرغوس رأسه قائلاً: «لا أعلم ماذا أقول لك كلويه».

لوت فمها وردّت ببلاهة: «لا أرى أن ثمة الكثير ليقال بيننا».

استدار فيرغوس ونظر إليها موضحاً بغضب: «لا. أقصد أنني لا أعرف ما يمكنني أن أقوله. ثمة الكثير من الأمور التي أود أخبرك عنها. لكن.. لا يمكنني ذلك».

تنهدت كلويه بقوة: «لا تقلق بهذا الشأن فيرغوس».

شبك فيرغوس أصابع يديه ببعضها البعض وشد قبضتيه معاً ثم ردّ بصوت متقطع: «بالطبع علي أن أقلق بهذا الشأن».

ثم تابع يقول بإحباط: «تبدين بحالة سيئة جداً».

ـ شكراً.

أكمل قائلاً: «أنا أقول ما أراه كلويه. ألم يلاحظ والداكِ تأثير هذا الوضع عليك؟».

ـ أظن أن أموراً كثيرة أخرى تشغل بالهما.

فوالدها يحضر لتسليم أعماله لدايفيد، كما عرض المنزل للبيع استعداداً للإنتقال إلى مايوركا. أما والدتها فتحاول الاحتفاظ بروحها المرحة، لتتمكن من توفير الدعم له بهدوئها. بدا كل ذلك كالكابوس بالنسبة إلى كلويه!

هز فيرغوس رأسه: «لم أقصد أن أوذي أحداً، وأنت تعلمين ذلك».

ثم تابع موضحاً: «كنت أقصد عائلتك. لم أقصد أذيتها أبداً».

تنهدت كلويه: «لطالما كان هذا الموضوع قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة».

لقد تقبلت كلويه هذا الموضوع أيضاً، فقضية سوزان ظلّت معلقة ما يعني أن أي تحرك لوالدها في المجال السياسي سيفسح المجال للجدال. أما انتقال والديها إلى مايوركا وتشتت أفراد الأسرة فقد يكون أمراً محتوماً لكن تم تأجيله. هذا هو الاستنتاج الذي توصلت إليه كلويه في الأيام العشرة الأخيرة. استدار فيرغوس إليها موجهاً إليها نظرات حادة: «حين وصفتني بالحقود، حاولت أن أخبرك أنني قرّرت عدم نشر الرواية».

اتسعت عينا كلويه: «ولِمَ لا؟».

أبعد فيرغوس نظراته عن نظرات كلويه، ولوى فمه بسخرية: «أنا.. لم أعد متحمساً للأمر. كما أني كاتب ولدي الكثير من الأفكار الأخرى التي يمكنني استخدامها لكتابة الروايات من دون التسبب بالأذى لأحد».

الآن قرّر عدم كتابة الرواية؟ الآن!! بعد أن أصبح الأمر سيان. لقد وقع المحظور ولن تعود الأمور كما كانت بالنسبة لكلويه وأسرتها.

ـ أنا سعيدة فيرغوس.

شدت على ذراعه وكأنها تشكره على قراره، لكنها سرعان ما أبعدت يدها حين شعرت بقوة عضلاته تحت أصابعها، وبتلك الحاجة المؤلمة.... لا! لقد انتهى كل شيء الآن.

ـ هل يمكنك إبلاغ جدك اعتذاري لتصرفي السيء منذ قليل؟ لا شك أنه يعتقد أنني قاسية القلب.

منحها فيرغوس ابتسامة صغيرة: «في الواقع، آخر تعليق سمعته منه هو أنه لو كان أصغر بأربعين سنة للحق بك بنفسه».

ابتسمت كلويه مع أن ابتسامتها كان يشوبها الحزن، فهي تعلم أن فيرغوس لن يلاحقها بعد ذلك: «أحقاً قال ذلك؟»

أجابها فيرغوس: «نعم لقد فعل. هل ستنتقلين حقاً للعيش في باريس؟»

أكّدت له باستخفاف: «نعم. حين أقمت هناك أصبح لدي الكثير من المعارف، كما أصبح لدي الآن ماركة ثياب خاصة بي. وقد عرض علي أن أقدّم مجموعة تصاميم للربيع المقبل».

ثم أضافت بيأس: «يبدو لي أن الوقت مناسب لقبول هذا العرض».

لم يكن هذا قراراً سهلاً. لكن كلويه قرّرت أن الوقت أصبح ملائماً لتبدأ حياتها باستقلالية. كما أن رحيلها إلى باريس واهتمامها بعملها سيساعدانها على انتزاع فيرغوس من تفكيرها!

سألها فيرغوس بصوت أجش: «كم من الوقت ستبقين هناك؟».

لا تملك كلويه أدنى فكرة عن ذلك، فكل ما يهمها الآن هو الابتعاد عن إنكلترا.. أو بالأحرى عن فيرغوس. فأجابت: «قد أستقر هناك».

ردّد بعدها بشك: «تستقرين هناك؟»

ـ أخبرتك أنه لن يبقى لي منزل هنا لأعود إليه. لكنني بلا شك سآتي من وقت لآخر لرؤية بيني ودايفيد والأولاد. ما من سبب آخر يجعلني أعود إلى هنا.

لا سبب آخر على الإطلاق! إلا أن الرجل الذي تحبه سيبقى في لندن...

لم تستطع كلويه أن تتخيل أنها لن ترى فيرغوس مجدّداً، فتابعت الكلام: «لِمَ لا تزورني إذا ما ذهبت إلى باريس يوماً ما؟ ستجد رقم هاتفي في الدليل».

سألها بصوت أجش: «تحت اسم فوكس أم هاملتون؟»

ابتسمت بخجل بسبب تلميحه إلى حيلتها الأولى حين عرّفت عن نفسها باسم كلويه فوكس. منذ متى حصل ذلك؟ ثلاثة أسابيع.. أم أربعة؟ بدا لها منذ زمن بعيد.

أجابته بحزم: «كلاهما. ولا تنسى الثياب التي تحمل ماركة فوكس أيضاً. فأنا أنوي أن أجعلها إحدى الماركات المعروفة جداً في عالم أزياء المرأة».

نظر إليها نظرة ذات مغزى: «أنا واثق من أنك ستتمكنين من ذلك».

وقفت بسرعة وقالت بلهجة حاسمة: «أتمنى ذلك. والآن، أعتقد أنني أبعدتك عن جدك بما فيه الكفاية كما أخرتكما عن غدائكما».

وقف فيرغوس ببطء: «لا أصدق أن والدك سيستسلم هكذا بسهولة».

انقلب هدوء كلويه فجأة إلى غضب وقالت مدافعة عن والدها: «لم يستسلم، لكن أحدهم وجه مسدساً إلى رأسه، وهو يحاول الابتعاد قبل أن يضغط على الزناد».

قال فيرغوس متسائلاً: «تقصدين أنا؟»

أجابت بنفاد صبر: «بالطبع، ومن غيرك إذن؟»

أعلن لها بوضوح مشدداً على كل كلمة يقولها: «ولكنني لن أكتب هذه الرواية».

التقت عيناها بعينيه بنظرات ثابتة: «ليس الآن!»

تجهمت قسماته: «ولا في أي وقت آخر».

هزت كلويه كتفيها بلا مبالاة: «عليك أن تخبر والدي بذلك، مع أنني أشك

في أن يكون لذلك أي تأثير لأنه اتخذ قراراً حاسماً».

قال فيرغوس من بين أسنانه: «إذن، يجب ألاّ ينفذ قراره».

قالت كلويه بصوت أجش: «لقد فات الأوان فيرغوس».

أرادت أن ترى فيرغوس للمرة الأخيرة، ليس لأنها تأمل في تصحيح الأمور بل لأنها شعرت بحاجة لرؤيته. أرادت أن تشبع من رؤية وجهه، وسماع كلامه، ومن طريقة مشيه ولو من أجل الذكرى فقط.

قال فيرغوس بتجهم: «سنرى».

أمسكت كلويه بذراعه بتوسل: «دع الأمور على حالها فيرغوس قبل أن يتأذى أشخاص آخرون».

رمقها بنظرة متفحّصة حادّة قبل أن يبعد نظره بسرعة من جديد: «سأتصل بك عندما تذهبين إلى باريس».

نظرت إليه لدقائق وهي تدرك أن هذا هو الوداع الأخير. لطالما قالت إنها لا تود أن تراه، أما الآن فهو الذي يودعها.

أخيراً قالت: «أرجوك أن تفعل».

واستدارت مبتعدة ببطء فيما الألم يعتصر قلبها.

***

١٣ ـ انفجار وشيك!

ـ حسناً، بني. يبدو لي أنك أوقعت نفسك في ورطة كبيرة لكنها ورطة لطيفة.

كان الرجلان يشربان القهوة بعد الغداء، ذلك الغداء الذي لم يستمتع به فيرغوس ولم يتذوقه حتى.

أجاب فيرغوس بفتور: «أؤكد لك أن اللطف بعيد تماماً عن هذا الأمر».

كان فيرغوس قد عاد أخيراً إلى المنزل، ليس لأنه يرغب في العودة بل إكراماً لجده. وخلال الغداء كان قد انتزع القصة بأكملها منه. لن ينكر فيرغوس أنه شعر بالسرور لمشاركة شخص آخر بما يدور في تفكيره، لكنه لم يكن بحاجة لملامة جده لتزيد من شعوره بالذنب.

بدا جده جدي الملامح: «أتقول إن كلويه ليس لديها فكرة عن الحقيقة؟».

أكد له فيرغوس بتثاقل: «أبداً. وليس لدي النية في إخبارها أيضاً!».

ثم نظر إلى جده بعينين لا ترمشان: «قطعت وعداً لبول هاملتون بأن تبقى تلك الحقيقة ضمن جدران مكتبه الأربع».

ذكره جده بجفاء: «لقد أخبرتني بذلك للتو».

اعترف فيرغوس: «نعم، لأنني أستطيع أن أثق بك».

لطالما اعتاد فيرغوس وابنا خالتيه على مصارحة جدهم بالأمور التي لا يستطيعون البوح بها لأي شخص آخر، وخصوصاً أهلهم، واثقين أنه سيحفظ أسرارهم ولن يبوح بها لأي كان.

قال جدّه بنفاد صبر: «إذن، أنت تنوي الحفاظ على وعدك لبول هاملتون. اسمع بني، أعلم جيداً أنني ربيتكم جميعاً على مبادىء ماكدونالد، لكي يصبح كل

منكم رجلاً يحترم كلامه. لكن هذا المبدأ لا يصلح لكل زمان ومكان.. وأنا أرى أن هذا الزمان وهذا المكان ليسا مناسبين لذلك».

هز فيرغوس رأسه: «لا أوافقك الرأي.. بل أظن أن الزمان والمكان مناسبان تماماً ليحترم الرجل منا كلمته».

بالرغم من علمه أنه قد يخسر كلويه إلى الأبد. لكن.. هل كانت له يوماً كي يخسرها الآن؟

إنما، لولا هذه الورطة، لولا رغبته في تأليف تلك الرواية، ولولا والدها ومشكلته، ولولا... لكن كلويه لم تكن له من قبل ولن تكون له أبداً...

ألحّ جده قائلاً: «وماذا عن كلويه؟».

أخذ فيرغوس جرعة كبيرة من العصير من كوبه قبل أن يتمتم قائلاً: «لقد سمعتها يا جدي مثلي تماماً. سوف تذهب لتعيش في باريس».

قال جده متسائلاً: «وسوف تدعها تفعل ذلك؟».

أكّد فيرغوس: «سوف أدعها تفعل ذلك».

تنهّد الجد بإحباط: «أعترف بأنني ربيتكم لتكونوا رجالاً محترمين يفون بوعودهم. لكن لا أظن بأنني ربيت أحدكم ليكون مغفلاً».

ابتسم فيرغوس بفتور: «لن تشكرني كلويه إذا أخبرتها الحقيقة».

من المؤكد أنها لن تسارع إلى الارتماء في أحضانه إذا ما أخبرها الحقيقة.

يُقال إن قول الحقيقة يحرّر المرء، لكن قول الحقيقة في حالة فيرغوس سيقيده أكثر فأكثر. سأله جده: «ألا تعتقد أن عليها أن تحكم على هذا الأمر بنفسها؟».

وافقه فيرغوس: «نعم، على الأرجح. لكنني لا أملك الحق في أن أخبرها».

قاطعه جدّه قائلاً: «بحسب رأيي، لديك كامل الحق».

رفع فيرغوس حاجبيه الداكنين: «كيف استنتجت ذلك جدي؟».

قال الرجل العجوز: «لأنك تحبها».

أسند فيرغوس ظهره إلى الوراء وراح يحدق إلى وجه جده غير مصدّق. هل يحب كلويه حقاً؟! ذلك الألم الذي يشعر به في صدره، وذلك الفراغ الذي ظهر فجأة في حياته لمجرد التفكير بأنها ستغادر إلى باريس يؤكدان ذلك..

وقف فجأة وسار إلى النافذة محدّقاً إلى الخارج بجدية. إنه يحب كلويه.. هل يحبها حقاً؟ نعم إنه يحبها! منذ متى وهو مغرم بها؟ لا يعرف. لكنه يعرف أنه يحبها، يحب كل ما فيها؛ من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، حتى ذلك الغضب الذي تبديه من وقت إلى آخر. لكن أكثر ما يحبه فيها هو الإخلاص الذي أظهرته منذ البداية لوالدها، وخصوصاً في الأسابيع الأخيرة. إن الجهود الجبارة التي بذلتها كي تتأكد من أن الرواية التي قد تؤثر على مستقبل والدها لن ترى النور، لهي أكبر دليل على ذلك. حتى الطريقة التي حاولت بها تبرئة والدها في حين رفض هذا الأخير أن يدافع عن نفسه تؤكد أيضاً إخلاصها الكبير له. إنه يضحي بأي شيء لكي تحبه كلويه وتثق به كما تحب والدها وتثق به.

تكلم جده بهدوء: «حسناً فيرغوس!».

أخذ فيرغوس نفساً عميقاً قبل أن يلتفت إليه ويتكلم بهدوء: «ماذا؟ هذه ليست قصة خيالية جدي. إنها واقعية، وفي الحياة ليس من الضروري أن يتزوج الأمير الأميرة!».

وقف جده وقال باشمئزاز: «نعم، لن يحصل ذلك إذا كان الأمير عنيداً، أيها المغفل. أرى أن لا داعي للنقاش معك، لذا أرجو أن تعذرني، فقد وعدت دارسي ولوغان أن أزورهما بعد الظهر».

شعر فيرغوس بالسرور لمغادرة جده، إذ سيتيح له ذلك الفرصة للتركيز، لا سيّما أن الموضوع يتعلق بحبّه لكلويه.

يا للغرابة! لم يظن أنه قد يغرم يوماً. ليس لأنه تعمّد ألاّ يقع في الحب. بل لأنه عرف في حياته العديد من العلاقات القصيرة، التي لم تكن مبنية على الحب، لذا ظن أنه لن يقع في الحب أبداً. لكن ذلك حصل الآن، ومع كلويه هاملتون من بين كل النساء. تلك المرأة التي لديها الكثير من الأسباب لتكرهه.

لم يكن فيرغوس يخدع نفسه حين لم يوافقها على قولها إنه صوّب مسدساً إلى رأس والدها. فما قام به لم يكن سوى حافزاً جعل الأمور تتحرك بسرعة في الأسابيع الأخيرة. لكنه لم يدرك أن كلويه لن تسامحه على ذلك أبداً. ربما مع مرور الوقت؟ لا! لن يتمكن الوقت من تخفيف الدمار الذي سببه لها ولأسرتها عن غير

قصد.

لكن، كيف ستكون حياته وهو يحب كلويه ويدرك في الوقت نفسه أنها لن تكون له أبداً؟ عليه أن يحاول للمرة الأخيرة. يجب أن يتكلم مع بول هاملتون ليقنعه بالكفاح مجدداً في سبيل هدفه. عليه أن يفعل ذلك! لا يستطيع قضاء بقية حياته وهو يحب كلويه من دون أن يتمكن من إخبارها بذلك..

ردّت السيدة هاملتون على اتصاله، ففيرغوس يمكنه أن يميّز هذا الصوت المهذّب أينما سمعه. إنه يشبه صوت كلويه لكنه أكثر نضجاً. عرّف عن نفسه وطلب التحدث إلى بول هاملتون، لكن ديانا اعتذرت منه: «أخشى أن لديه اجتماع عمل، سيّد ماكلاود».

ثم أضافت بسرعة: «انتظر قليلاً سيد ماكلاود، أظنني أسمع صوته قادماً الآن».

ثم ساد الصمت على الجهة الأخرى من الهاتف.

راح فيرغوس يطرق بأطراف أصابعه على الطاولة بنفاد صبر فيما هو ينتظر ردّ ديانا. ربما كان عليه أن يذهب إلى منزلهم مباشرة بدلاً من الإتصال هاتفياً، فمن المحتمل أن يرفض بول هاملتون استقباله. لكن، إذا وصل إلى منزلهم فجأة من دون أن يتوقعوا قدومه، فقد يلتقي كلويه صدفة ويسبب لها صدمة. بعد أن تناول غداءه وفكر في الموضوع لم يعد واثقاً أن أياً منهما مستعد للقاء مفاجىء كهذا.

عادت ديانا لتكلمه: «آسفة على التأخير سيد ماكلاود. لكن زوجي يتساءل إن كنت تهتم بالانضمام إلينا على العشاء هذا المساء؟».

شعر فيرغوس بالصدمة لهذه الدعوة. لم يفترق هو وبول هاملتون على خلاف، لكنه لم يتوقع أن يرغب بول بدعوته لتناول العشاء ثانية. ظل صامتاً، فتابعت ديانا: «إنه بمثابة عشاء وداع فأنا وبول سنغادر إلى مايوركا في الشهر المقبل».

إنه يعلم ذلك. لكن بدا واضحاً من نبرة صوتها الدافئة، أن ديانا لم تكن تعلم أنه جزء من الأسباب التي دفعت زوجها للسفر إلى مايوركا.

حين فكر بالاتصال ببول هاملتون، لم يخطر في باله عشاء الوداع. لكن من

حسنات هذا العشاء أنه سيتمكن من رؤية كلويه. وربما.. ربما ساعدها ذلك لترى أن والديها لا يحقدان عليه. لذا قبل دعوة ديانا قائلاً: «أودّ ذلك كثيراً، شكراً لك».

وضع فيرغوس السماعة ببطء، غير واثق من رد فعل كلويه حين تعرف أنه ضيف والديها على العشاء. لقد ودّعا بعضهما البعض اليوم، وما من أي سبب يجعله يشعر بأنها ستسر برؤيته كضيف لوالديها. لكن.. لعله يشعر بالقلق من دون مبرر.

رأت كلويه أن هذا العشاء غير ضروري أصلاً. لقد أدركت أن والديها بحاجة إلى توديع الأصدقاء قبل سفرهم الطويل، لكن، ألم يكن من الأفضل لهما أن يقيما حفلة وداع واحدة، بدلاً من مجموعة حفلات عشاء صغيرة؟ لكن كلويه قررت أن تدعمهما، لذا ستحضر العشاء من أجلهما بالرغم من عدم رغبتها في ذلك.

أبدى دايفيد وبيني الوفاء نفسه للعائلة. كانا ينتظران في غرفة الجلوس عندما وصلت كلويه ودخلت الغرفة قبل الساعة الثامنة بقليل. بدت بيني شاحبة لكن يبدو أنها قررت هي أيضاً أن تحضر من أجل والديها، تماماً كما فعلت كلويه.

فوجئت كلويه قليلاً حين وصل أول ضيفين وذلك بعد الثامنة بقليل. إنهما بيتر وجين آمبروس. كانت تعرف مسبقاً أن ثمانية أشخاص سيحضرون العشاء لكنها لا تملك أدنى فكرة عن هويتهم.

يبدو أن هذا العشاء سيكون أسوأ مما تخيلت، فوالدها لم يبلغ رئيس المعارضة بقراره، ومن المؤكد أنه سيفعل ذلك الليلة.

غمزت كلويه شقيقتها فردت بيني بهزة من رأسها قبل أن تلتفت مجدداً نحو الضيفين.

بدا والدهما وسيماً في بذلة السهرة السوداء، أما والدتهما فقد بدت في غاية الأناقة في فستان من تصميم كلويه، يليق عليها كثيراً بلونه الأزرق الذي يشبه لون عينيها.

بعد دقائق، أعلن الخادم وصول السيد ماكلاود.

شهقت كلويه شهقة خافتة وشدت بيديها على كوب الماء الذي تحمله، وراح

وجهها يتلون بألوان مختلفة، وهي ترى فيرغوس يدخل الغرفة. إنه كما عرفته منذ الليلة الأولى تماماً. متعالٍ، واثق من نفسه، طويل القامة، ووسيم جداً في ثياب السهرة.

ما الذي يفعله هنا؟ لم يذكر في الصباح أنه سيتناول العشاء مع والديها. ما الأمر إذن؟

وقبل أن تتاح لكلويه فرصة أن تستفيق من صدمتها الأولى، أعلن الخادم من جديد: «والسيد ماكدونالد».

انتقلت نظراتها بحدّة من فيرغوس إلى الباب خلفه، لترى هيوغ ماكدونالد، جدّ فيرغوس، واقفاً هناك. بطلّته المميزة، مرتدياً بذلة سهرة سوداء وقميصاً ناصع البياض.

ألا يكفي سوءاً أن فيرغوس هنا الليلة، فما الذي أتى بجده أيضاً؟

من الواضح أن جده يقيم عنده هذه الأيام. ولعل هذا هو السبب الذي جعل والداها يدعوانه أيضاً. أما بالنسبة لفيرغوس، فهي واثقة من أنه لن يجد صعوبة في إيجاد امرأة ترافقه إذا ما رغب بذلك!

وجهت نظرة اتهام إلى فيرغوس لتجد أنه ينظر مصدوماً إلى جده وكأنه فوجئ بظهوره مثلها تماماً. يبدو أنه لم يكن مسروراً برؤيته!

سارت كلويه بتمهّل إلى حيث وقف الرجلان بعد أن سلّما على والديها.

بدا لها واضحاً أنهما يتبادلان حديثاً حامياً. كان فيرغوس يقول بلهجة غاضبة: «ظننت أنك ستزور دارسي ولوغان الليلة جدي. على أي حال، من الأفضل أن تنسى ذلك الحديث الذي دار بيننا بعد الظهر».

لم يبدِ هيوغ ماكدونالد أي انزعاج من حديث حفيده الذي لا يتسم بالترحيب البتة، بل استدار ليبتسم لكلويه ما إن اقتربت منهما قائلاً بإعجاب: «تبدين رائعة عزيزتي».

ثم أضاف وعيناه تومضان ببريق عابث: «لقد أخبرتك أنني أعرف والدك».

شكرته كلويه على مجاملته قائلة: «شكراً لك، نعم لقد أخبرتني بذلك».

كانت ترتدي فستاناً من دون كمين وقبته محفورة تظهر جمال عنقها العاجي

اللون. أما الفستان فلونه ذهبي باهت يصل إلى ما فوق ركبتيها. ردّت له مجاملته بمودّة لم تكن تشعر بها في الحقيقة: «أنت أيضاً تبدو في غاية الوسامة».

ما الذي يفعله فيرغوس وجدّه هنا؟ أعطاها هيوغ ماكدونالد اليوم انطباعاً بأنه يعرف والدها جيداً، بالرغم من أنها لا تذكر أنها التقته من قبل. أما بالنسبة إلى فيرغوس.. ! فقد كانت تعتقد أنه آخر شخص قد يرغب والدها برؤيته الآن.

نظر الرجل المسن إليها بخبث وهو يبتسم ابتسامة عريضة ثم نظر مشيراً إلى فيرغوس: «إن رجال عائلة ماكدونالد يحتفظون بوسامتهم حتى عندما يشيخون مسنين».

لم يكن فيرغوس قد وجّه إليها أي كلمة حتى الآن، إلا أن التجهم الذي يعلو وجهه يغني عن أي كلام!

استدارت لتنظر بتحد إلى فيرغوس قائلة بعذوبة بالغة: «لكن فيرغوس ليس من عائلة ماكدونالد».

أخيراً نظر فيرغوس إليها والسخرية بادية في تينك العينين البنيتين: «كما يحلو لجدي أن يقول دوماً، أنا من أسرة ماكلاود بالاسم فقط».

بالرغم من الحديث الحاد الذي دار بينهما منذ دقائق، بدا واضحاً أن علاقة عاطفية قوية تجمع الرجلين.

شبكت كلويه ذراعها بذراع هيوغ ماكدونالد مقترحة بلطف: «تعالَ لأعرفك على أختي وزوجها».

ثم أشارت إلى فيرغوس: «وأنت أيضاً فيرغوس إذا شئت».

لكن هذا الأخير رفض قائلاً: «سبق أن تعرفت إليهما، شكراً لك. أظنني سأذهب لأجدّد معرفتي ببيتر آمبروس بدلاً من ذلك».

ثم استدار بحدة على عقبيه ومشى عبر القاعة لينضم إلى بيتر آمبروس وزوجته.

أطلق هيوغ ماكدونالد ضحكة خافتة فيما هو يسير إلى جانبها، وهز رأسه الذي يعلوه الشيب بخفة: «أرجو أن تعذري فيرغوس يا عزيزتي».

ثم أضاف بعد ذلك بغموض: «فهو لا يحب أن يشاركه أحد فيما يخصه».

بدا كلامه لغزاً لكلويه؛ فهي لا تملك أدنى فكرة عما يقوله هيوغ ماكدونالد. لكنها لاحظت أن فيرغوس يتصرف بقسوة بالغة هذا المساء، أكثر مما يفعل عادة!

قالت للعجوز من جديد: «تعال لتلقي التحية على بيني ودايفيد».

وبعد لحظات قدمته إلى صهرها وأختها، وشعرت بالارتياح عندما استلم دايفيد زمام الحديث مع العجوز.

هذه الاستراحة أعطت كلويه الفرصة لتنظر خفية إلى حيث يقف فيرغوس. كان هذا الأخير يتبادل أطراف الحديث مع بيتر وجين آمبروس ووالديها، من دون أن تبدو عليه ملامح القسوة التي رأتها عليه منذ دقائق خلت.

إنها لا تملك الفرصة لتعرف ما الذي يدور في رأس فيرغوس ماكلاود! فقريباً ستنتقل إلى باريس. حسناً، من يعلم إلى أين.. بل إلى من سينتقل فيرغوس؟

ظنت كلويه أن أحداً لن يلاحظ أنها تنظر مطولاً إلى فيرغوس، إلا أن هيوغ ماكدونالد كان يراقبها، فيما هو يتابع حديثه بلباقة مع دايفيد. أشاحت كلويه بنظرها بعيداً عن نظراته المتفحصة، فيما احمرت وجنتاها بسبب الارتباك.

لم تكن حالها أفضل على العشاء؛ فلأسباب تجهلها، أجلستها أمها بين فيرغوس وجده. بدا هيوغ ماكدونالد في غاية اللطف أمّا فيرغوس فبالكاد وجّه إليها الكلام.

في الواقع، بدا الجالسون إلى المائدة مشدودي الأعصاب ككلويه تماماً، باستثناء العجوز الإسكوتلندي الذي جعل الحديث سلساً. بعد قليل، سأل رئيس المعارضة بنبرة تلقائية: «كيف ستسير الانتخابات برأيك خلال السنة المقبلة؟».

ـ أنا..

توقف بيتر فجأة عن الكلام لينظر إلى بيني التي أوقعت السكين من يدها في تلك اللحظة.

نظرت كلويه إلى أختها متعاطفة فلا شك أن التوتر الذي يسود هذه الأمسية أصابها هي أيضاً. وهذا ليس مفاجئاً، فبيني تدرك أن والدها لم يبلغ رئيس المعارضة بقراره التخلي عن السياسة..

حثه هيوغ ماكدونالد: «ما الذي كنت تقوله؟».

لكن فيرغوس قاطعه بحدة وقد شعرت كلويه أن عينيه الداكنتين تطلقان تحذيراً باتجاه الرجل العجوز: «منذ متى تهتم بالشؤون السياسية يا جدي؟».

صر هيوغ بقوة على أسنانه وأجاب مشاكساً: «منذ قرر الإنكليز أن يتركونا لندير شؤوننا بأنفسنا».

ضحك بيتر آمبروس ضحكة خافتة: «كلام رجل اسكوتلندي أصيل».

أكد هيوغ ماكدونالد: «اسكوتلندا هي أجمل مكان على هذه الأرض. حسناً، ما هي توقعاتك بالنسبة للانتخابات المقبلة؟».

ابتسم بيتر: «سوف نربحها بالتأكيد».

أطلق هيوغ ضحكة خافتة: «بالتأكيد».

ثم نظر بإعجاب إلى والد كلويه: «وأي حقيبة تنوي إسنادها إلى صديقنا هذا؟».

فوجىء بيتر آمبروس بهذا السؤال المباشر. فبحسب علمه، قلة من الناس تعلم أن والد كلويه يفكر بالعودة إلى الحياة السياسية. أما من يعلمون بأنه ينوي اعتزالها نهائياً فهم أقل بكثير. وجهت كلويه نظرة قاسية إلى هيوغ ماكدونالد. ما الذي يعرفه هذا الرجل بالتحديد؟ على أيّ حال، لا حاجة للسؤال عمن أفضى إليه بهذه المعلومات!

وجهت نظرة اتهام إلى فيرغوس، لكن هذا الأخير هز كتفيه باستسلام، ما أنبأها أنه عاجز مثلها عن إلهاء جده ومنعه من المضي في حديثه الذي قد يسبب الإحراج.

قالت له بصوت مخنوق: «إفعل شيئاً».

أجابها بغضب: «هل تريدينني أن أقيده وأكمّ فمه؟».

التمعت عيناها بلون أزرق داكن وتمتمت: «يكفي أن تكمّ فمه».

تنهّد فيرغوس بنفاد صبر: «أنا...».

تساءل جدّه محاولاً إغاظته: «ما الأمر الحميم الذي تتهامسان بشأنه يا طيرا الحب؟».

عبس فيرغوس في وجه جده: «بالكاد يمكن أن تسمينا طيري حب جدي».

ثم تابع ببرودة قاسية: «لعل هذا الحديث الممل عن السياسة أضجرنا!».

شهقت كلويه شهقة خفيفة لهذا التعليق. فقد أدركت أن فيرغوس، بمحاولته إلهاء جده عن حديثه المتعلق بالسياسة، أساء إلى معظم الأشخاص الذين يجلسون إلى المائدة معهم من دون أن يقصد!

ارتفع حاجبا هيوغ الفضيان فوق عينيه الزرقاوين الحادتين. ثم أجابه: «لا أصدق أن كلويه توافقك الرأي. فأنا واثق من أنها متحمسة جداً، شأننا جميعاً، لعودة والدها إلى مكانته السياسية التي تليق به».

ابتسم بيتر آمبروس مبدياً استحسانه لملاحظة هيوغ ماكدونالد: «أرأيت بول؟ لقد قلت لك إنك تبالغ في القلق مما سيقوله الناس بشأن عودتك إلى مضمار السياسة. فالناس ينسون بسرعة».

بدا وجه والد كلويه شديد البياض بسبب التوتر: «ثمة أمور لا يمكن نسيانها. وفي ما يتعلق بهذا الأمر...».

ـ لا، أبي. لا يمكن أن أدعك تقوم بذلك!

نظرت كلويه إلى بيني بذهول وقد فوجئت بهذا الانفجار المفاجىء. فعلى غير عادتها بدت أختها مشدودة الأعصاب خلال هذه السهرة. أما الآن فكانت في حالة سيئة جداً، إذ شحب وجهها واغرورقت عيناها بالدموع فيما هي تقف لتواجههم جميعاً.

وجهت بيني كلامها مباشرة إلى والدها: «لقد حافظت على هدوئي حتى الآن. حاولت أن أحترم القرار الذي اتخذته منذ ثماني سنوات لكنني لن أسمح لك بتقديم المزيد من التضحيات من أجلي».

مدت أمها يدها إليها لتهدىء من روعها: «بيني، عزيزتي...».

هزت بيني رأسها بحزم لتقول بلهجة بدت محيرة بالنسبة إلى كلويه: «وأنت أيضاً ماما، وكذلك كلويه».

ثم أخذت نفساً مرتعشاً قبل أن تقول: «إنه الوقت المناسب لكشف الحقيقة».

لم تكن كلويه تملك أدنى فكرة عمّا يدور حولها. لكن، ما إن جالت ببصرها على الموجودين حتى لاحظت أن تعابيرهم جميعاً تنم عن التعاطف مع بيني، على

عكس تعابيرها المذهولة المليئة بالحيرة. أدركت أنها الوحيدة التي تجهل ما يحصل..

وللمرة الأولى لاحظت أن فيرغوس أخذ إحدى يديها ليضمها بشدة بين يديه!

***

www.elromancia.com

١٤ ـ لا أستطيع الانتظار

أحكم فيرغوس شد قبضته على يد كلويه حين شعر أنها تحاول انتزاعها.

لقد تطورت الأمور بسرعة وخرجت عن سيطرته. إن لم يستطع أن يفعل شيئاً لكلويه، فعليه، على الأقل، أن يكون إلى جانبها حتى لو لم تشأ ذلك!

كانت تعابير وجه بيني مليئة بالحنان، لكنها بدت مستسلمة. وما لبثت أن ألحّت على زوجها: «دايفيد؟».

تمنى فيرغوس لو أن الأمور لم تصل إلى هذا الحد. نظر إلى جده مؤنباً، فهو يعلم أنه من أثار هذا الموضوع. من الواضح أن هذا الأخير قرّر التدخل في هذه المسألة منذ حديثهما بعد ظهر هذا اليوم. لطالما أحب فيرغوس جده وهو يكنّ له تقديراً كبيراً، لكن في هذه اللحظات بالذات رغب بأن يخنقه.

وقف بول هاملتون وتوجّه إلى ابنته الكبرى: «لا أريدك أن تفعلي ذلك بيني».

ثم أخذها بين ذراعيه مؤكداً لها: «لا داعي لذلك عزيزتي، صدقيني».

نظرت بيني إليه من دون خوف وقالت بلطف: «ناقشنا أنا ودايفيد الموضوع قبل مجيئنا إلى هنا الليلة. وقرّرنا أن من الأفضل توضيح الأمور جيداً، وذلك لمصلحة الجميع».

ثم نظرت إلى بقية الجالسين: «وبما أن المعنيين بهذه المسألة موجودون هنا الليلة..».

قاطعها فيرغوس: «لا أظن أنني وجدّي من ضمن هؤلاء الأشخاص».

لاحظ أن كلويه لا تزال مذهولة بما يجري. لكنها بعد دقائق ستشعر بالصدمة، فهو نفسه صُدم حين عرف الحقيقة. ابتسمت له بيني بكآبة وقالت:

«أعتقد أنك معني فيرغوس. أما بالنسبة إلى جدك، فهو الشخص الذي ساعدني على إدراك الأمور بصورتها الصحيحة. حين أتى لرؤيتي بعد الظهر، جعلني أفهم أنّ على هذا الجنون أن يتوقف، وأنّ الحقيقة مهما كانت مؤلمة يجب أن تقال».

تهدّج صوت بيني وهي تتلفظ بكلماتها الأخيرة.

فوقف دايفيد على الفور واقترب من زوجته، ثم قال بصوت أجش: «بيني.. أرجوك لا تفعلي ذلك بنفسك، أنا الملام في ذلك».

قالت بيني بقوة: «تفاهات. لو لم أكن منشغلة عنك..».

من المفاجئ أن جد فيرغوس هو من قاطعها هذه المرة: «بيني، زوجك على حق. ليس عليك أن تفعلي ذلك».

ثم التفت إلى كلويه والابتسامة تعلو وجهه: «الجميع هنا، باستثناء كلويه، على علم بما حدث منذ ثماني سنوات. ولا داعي لأن تتابعي تعذيب نفسك. لقد مررتما أنت ودايفيد يومها ببعض المشاكل، وقد أدت تلك المشاكل، لسوء الحظ، إلى ابتعاد والدك عن مضمار السياسة، وذلك بموافقة بيتر».

وتابع مؤكداً لها بحزم: «وهذا الجزء الأخير هو المهم الآن فقط».

شعر فيرغوس بازدياد توتر كلويه، فقد أصبحت الآن تشد على يده. كان واثقاً من أنها لا تدرك مدى القوة التي تضغط بها على يده، فهي لن تقبل، لو أنها بكامل وعيها، أن تظهر لأي شخص مدى الرعب الذي أصابها حين سمعت الحقيقة. دايفيد، زوج بيني وصهر كلويه، كان عشيق سوزان سترلينغ منذ ثماني سنوات.

لقد أصيب فيرغوس بالذهول أيضاً حين أتى دايفيد لرؤيته منذ عشرة أيام وأخبره الحقيقة. ثم أضاف أنه سيلجأ إلى الصحافة ليعلن للجميع ما حدث مهما كانت العواقب، ويضع بذلك حداً لكل ما قيل عن بول منذ ثماني سنوات.

لقد عرف بول ما حدث منذ ثماني سنوات، وناقش الموضوع مع ابنته الكبرى، وقرر تحمّل اللوم ليخفف من عذابها. لقد مرّ زواج بيني ودايفيد منذ ثماني سنوات بأزمة. وحين اعترفت بيني لدايفيد بأنها تورطت بغباء في علاقة مع رجل آخر، أقام هو أيضاً علاقة مع امرأة أخرى.

فكّر فيرغوس في أنه كان ليفعل الشيء نفسه. لكن علاقة دايفيد القصيرة بسوزان سترلينغ جعلت تلك المرأة مهووسة به حتى بعد أن قطع علاقته بها، فأصبحت تلاحقه أينما ذهب وتتصل به في المنزل وتهدّده بإخبار بيني. ولكي يمنع دايفيد تلك المرأة من إخبار بيني قال لها إنه لا يريد أي علاقة بها وإنه من المستحيل أن يترك زوجته التي يحبها. عندئذ، أخبرته سوزان أنها تنتظر مولوداً منه.

التفتت كلويه إلى فيرغوس معاتبة: «كنت على علم بذلك؟».

ابتلع ريقه بصعوبة، وقد أدرك أنها ستغضب منه. لكن ما الذي كان بإمكانه أن يفعله منذ عشرة أيام سوى احترام ثقة دايفيد به؟ بعد أن فكر ملياً باعتراف دايفيد، وبعد زيارة كلويه له في اليوم نفسه، قرر أن يمنع الرجل من التوجه إلى الصحافة لإطلاعها على الحقيقة، فجاء لزيارة بول وأخبره بما ينوي دايفيد فعله. يومها قطع وعداً بألا يخبر أحداً بالأمر، حتى كلويه. أجاب بهدوء: «نعم، كنت أعلم».

قالت بسخط: «كل هذا الوقت».

عشرة أيام ليست بالوقت الطويل. لكن هذه الأيام بدت لفيرغوس كحياة بأكملها، فقد أخفى الحقيقة عن كلويه. وأدرك من اللوم الذي بدا بوضوح في تعابير وجهها، أن هذه الأيام كانت طويلة عليها أيضاً. نظر إليها متفحصاً: «لقد تصرف والدك منذ ثماني سنوات بإيمان كبير وفعل كل ما في وسعه لحماية ابنته وزوجها وأبنائهما من الصحافة. فهل تتوقعين مني أن أقوم بأقل من ذلك؟».

سحبت كلويه يدها بقوة من بين يديه، ووقفت لتقول لأختها بكل تهذيب فيما هي تسير نحوها: «كان عليك أن تخبريني بذلك، فأنا لم أعد طفلة».

أمسكت بيني بيدها قائلة: «لكنك كنت كذلك منذ ثماني سنوات. كما كان علي أن أحترم رغبة أبي، فقد فعل كل ذلك من أجلنا».

ونظرت بيني إلى والدها المحبّ الذي ضحّى بنفسه من أجلها منذ ثماني سنوات. فأكّد لها بول بصوت أجش: «وقد أفعل ذلك ثانية...».

قاطع جد فيرغوس الحديث بنفاد صبر: «لكن، ألا ترى يا رجل أن لا داعي لتقديم المزيد من التضحيات؟ ما حصل منذ ثماني سنوات يخص ستة أشخاص في

هذه الغرفة فقط».

ونظر باعتذار إلى فيرغوس مضيفاً: «وأنا أستثني فيرغوس ونفسي حتى الآن».

أذعن فيرغوس لنظرات جده وردّ بهزة خفيفة من رأسه. التفت هيوغ إلى زعيم المعارضة وزوجته: «خمسة منكم كانوا على علم بالحقيقة، وهذا لا يشكل عائقاً أمام عودة بول إلى الحياة السياسية. ما أحاول قوله هو...».

لم يتمكن فيرغوس من منع نفسه من أن يقول بجفاء: «وهو في العادة يأخذ وقته ليقول ما يريد».

رمقه جدّه بنظرة قاسية: «يبدو لي أيها الفتى أن مشروع كتابك هو الذي أوصل الأمور إلى هذا الحدّ. ولو كنت مكانك لجلست صامتاً».

ابتسم فيرغوس موافقاً على ما قاله جده. لا شك أن موضوع كتابه هو ما جعل كرة الثلج تتدحرج. ثم وقف وهو يقول بنفاد صبر: «للمرة الأخيرة أقول إنني لن أقوم بتأليف هذه الرواية اللعينة».

أكّد هيوغ برضى: «بالضبط».

ثم تابع وهو يشعر بالانتصار: «لذا، لن تتكرر تلك الحملة الإعلامية التي تعرض لها بول منذ ثماني سنوات. وبالتالي ما من سبب يمنعه من العودة إلى الحياة السياسية. كما لم يحصل ما يجعله يغيّر قراراً اتخذه منذ عدة أشهر».

لم يكن فيرغوس واثقاً من أنه يوافق جدّه على جملته الأخيرة، فشعور كلويه نحوه تغيّر بالتأكيد. إنه يعلم أنها لم تكن متيّمة بحبه من قبل، لكنها الآن لم تعد تطيقه، فمنذ قليل كانت تنظر إليه باشمئزاز.

تابع هيوغ قائلاً: «لطالما عرف بيتر الحقيقة، وهو يريدك في حكومته. زوجتك وابنتك الكبرى وزوجها يعرفون الحقيقة أيضاً. وحدها كلويه عليها أن تغير طريقة تفكيرها».

ووجه الكلام إليها بلطف: «أليس كذلك يا صغيرتي؟».

نظر فيرغوس أيضاً إلى كلويه، وقلبه يتقطع لرؤية شحوب وجهها والحزن الواضح في عينيها.

تغيّر طريقة تفكيرها. . . ؟

في تلك اللحظة لم تكن قادرة على التفكير أصلاً. شعرت وكأن أحدهم ضربها بالمطرقة على رأسها. لطالما عرفت أن والدها ليس مذنباً، ولم تشك به يوماً. لكن، أن يكون دايفيد وسوزان ستراينغ عشيقين. . . هذا ما لم يخطر في بالها من قبل. رغم أن هذه الأمور تحصل أحياناً في الزواج، فالناس يرتكبون الأخطاء. أمر واحد بدا واضحاً بالنسبة إليها: «السيد ماكدونالد على حق أبي. . . ».

قال الرجل الإسكوتلندي بلطف: «هيوغ».

منحته ابتسامة امتنان وصحّحت قائلة: «هيوغ محق يا أبي. ما من سبب يجعلك تنتقل إلى مايوركا. وتبديل رأيك بالنسبة للعودة إلى البرلمان حجّة غير مقبولة».

قال بيتر آمبروس بحدّة: «بالتأكيد ليس سبباً مقنعاً، وأنا لن أقبل قراراً مماثلاً».

وأضاف بحزم: «أنا أحتاجك بول».

شعر والدها بالرضى بسبب كلمات الثقة هذه: «لا أريد أن أكون عائقاً».

أكّد له بيتر بثقة: «لن تكون كذلك».

ومنح بيتر الرجل العجوز ابتسامة صغيرة: «إن هيوغ محق تماماً. وأنا أفكر بمكان مميز لك في حكومتي المقبلة».

وتابع: «وقد يتطلب منك ذلك تغيير سكنك».

ـ حسناً. بما أن الأمور توضّحت، أظن أن الوقت حان لفيرغوس وكلويه. . .

حملق فيرغوس في وجه جده وقاطعه قائلاً: «جدّي، ألا تظن أنك تدخلت بما فيه الكفاية اليوم؟».

لم تجعله نظرات فيرغوس يضطرب أبداً بل قال بغموض: «على العكس. ولعلمك، لم أتدخل إلا من أجلك».

استمعت كلويه إلى الحديث المتبادل بين الرجلين وهي مشوشة كلياً. إنها توافق هيوغ الرأي في ما يتعلق بوالدها. لكن ما علاقتها هي وفيرغوس بالأمر؟

ولتكون أكثر دقة ما من شيء اسمه كلويه وفيرغوس معاً.

قال فيرغوس بغضب: «أجد ذلك صعب التصديق. ولو سألتني أولاً لربما. . . ».

ردّ هيوغ عليه من دون ندم: «لقد فعلت. لكن لدي أمنية قبل أن أموت وهي أن أرى أولاد أحفادي، لا أن تأتي بصحبتهم لزيارة قبري بعد موتي».

شعرت كلويه بضياع كامل. كانت لا تزال مذهولة مما اكتشفته الليلة، ولم تعد تستطيع التفكير بشكل متّزن، فكيف ستتمكن من فهم محادثة فيرغوس وجدّه.

ثمة أمور قليلة لا شك لديها فيها. فقصة دايفيد مثلاً يجب أن تبقى سراً كما بقيت لثماني سنوات، كما أن والدها يجب أن يتابع مشاريعه ويعود إلى الحياة السياسية. أما هي فستنتقل للعيش في باريس في الأسبوع المقبل. .

ـ جدي، أنت حقاً عجوز فضولي. .

قاطع هيوغ ثورة فيرغوس: «تذكر أيها الفتى أننا لسنا وحدنا الآن».

وأضاف معاتباً: «إن لم تسألها أنت، فسأسألها أنا».

ثم استدار إلى والد كلويه بتوتر: «بول، هل من حديقة يمكن لفيرغوس وابنتك أن يتمشيا فيها قليلاً؟».

بدا والدها مذهولاً مثلها تماماً. بالطبع لديهم حديقة، لكن كلويه لا ترغب بأن تتمشى فيها الآن، ولا تظن أن فيرغوس يرغب بذلك أيضاً.

ردّت والدتها بدفء: «بالطبع لدينا حديقة».

ثم أشارت بحزم غير معتاد: «بيني، عزيزتي، أرشدي فيرغوس إلى الحديقة، وأنت كلويه، اذهبي معه».

هذه اللهجة الحازمة التي لم تتعود عليها من أمها جعلت كلويه تنصاع لأمرها وتسير إلى الحديقة. أو على الأقل، هذا ما أقنعت نفسها به. .

من جهته، لم يجد فيرغوس عذراً، إلا أنه تبع كلويه وبيني إلى الخارج أيضاً.

استدارت بيني ثم عانقت كلويه قائلة: «أنا حقاً آسفة، لأن هذه المسألة جعلت الأمور صعبة عليكما».

www.elromancia.com

ثم قالت لكلويه بانفعال: «لم أكن أظن أن الأمر بينكما جدّي إلى أن أخبرني هيوغ بذلك. ولا أظن أن ماما وبابا أدركا ذلك أيضاً، حتى جاء هيوغ بعد الظهر لرؤيتهما. لم يكن أبي ليسمح بأن تصل الأمور إلى هذا الحد لو علم، فهو يحبك كما يحبني تماماً».

وجدت كلويه نفسها في منتصف الطريق إلى الحديقة برفقة فيرغوس، من دون أن تعرف ما عليها أن تفعله. فهي تشعر بالارتباك في هذه اللحظات؛ أولاً بسبب ما قاله جدّ فيرغوس، والآن بسبب ما قالته بيني. حتى إنها لم تتمكن من النظر إلى فيرغوس.

قال فيرغوس بصوت أجش فيما هو يسير إلى جانبها: «ربما بدا جدي فضولياً، لكن قلبه آمن في صدره، أما قلبي أنا..».

وتوقف عن الكلام قليلاً ليتابع: «إن قلبي بين يديك أنت كلويه فوكس هاملتون!».

رفعت كلويه بصرها إليه وقد اتسعت عيناها. شعرت بأن اللون اختفى من خديها ليعود بعد ذلك بقوة أكبر، كما شعرت بصعوبة في التنفس فقد كان فيرغوس يرمقها بنظرات ملؤها الحب. أمسك ذراعها برفق قائلاً بصوت أجش: «دعينا نخرج».

أرشدته كلويه إلى الخارج وهي تمشي كالرجل الآلي. هل قال فيرغوس حقاً إن قلبه معها؟.

بدت رائحة الأزهار في الخارج زكية وقوية بما يكفي لتجعلها تصاب بدوار. لكنها مصابة بالدوّار أصلاً.. فيرغوس مغرم بها! وجدت هذه الفكرة صعبة التصديق، في الواقع لم تتمكن من تصديقها مطلقاً.

راح فيرغوس ينظر إليها على ضوء القمر، وقال مشككاً: «كلويه؟».

بللت شفتيها الجافتين فجأة وقالت: «لم أكن لطيفة في الأسبوعين الأخيرين».

ضحك فيرغوس بهدوء ثم قال بنبرة كئيبة: «لم تكوني لطيفة معي يوماً، لكنني لم أفقد الأمل».

ابتلعت ريقها بصعوبة: «هل هذا صحيح؟».

عبس فيرغوس قائلاً: «تقصدين بخصوص دايفيد؟ نعم، لكن يجب ألا تلوميه لأنه لم يكشف هوية عشيق سوزان ستيرلنغ، فوالدك لم يسمح له بذلك. ويمكن لوالدك أن يكون رجلاً عنيداً جداً..».

صحّحت له كلويه قائلة: «لا. لم أكن أسأل عن دايفيد. لكني... أنا.. أنا أسأل إن كان صحيحاً أنك.. أنني أنا..».

أنهى فيرغوس جملتها بلطف: «أنني أحبك؟ نعم، كلويه هذا صحيح تماماً».

شعرت كلويه أن أنفاسها علقت في حنجرتها فقد كان فيرغوس ينظر إليها وتعابيره تعكس حبه الكبير لها، ما لم يترك مجالاً للشك بأنه يكن لها مشاعر حقيقية.

هل هذا معقول؟ أيعقل بعد الأسابيع الماضية المليئة بالألم وسوء التفاهم، أن تنتهي الأمور على أفضل ما يرام؟.

قال فيرغوس: «حاولت تصحيح الأمور من أجلك. لكن كل ما نجحت فيه هو التسبب لك بالمزيد من الألم. لكنني حاولت حقاً، صدقيني كلويه أرجوك».

إنها تصدّقه، ولم تكن بحاجة لأن يخبرها بالمزيد: لقد انتهى الماضي، وما يهم الآن هو المستقبل. مستقبلها مع فيرغوس...

قالت بأنفاس مقطوعة: «فيرغوس، أنا أحبك».

نظر فيرغوس إليها بذهول، كما فعلت هي تماماً منذ دقائق حين أخبرها أن قلبه بين يديها، ثم قال: «هل تحبينني حقاً؟».

ضحكت بنعومة والسعادة تطل من عينيها: «نعم، أحبك».

- بما يكفي لكي تقبلي بالزواج بي؟.

- إذا كنت واثقاً من أن هذا ما تريده حقاً.

ردّت كلويه عليه بذلك، مع أنها كانت واثقة من مشاعره نحوها وقد بدا ذلك واضحاً على وجهها. لكن أن يحبها هو أمر، وأن يتزوجها أمر مختلف تماماً.

فأكّد لها: «إن كنت تحبينني حقاً، فلن أخطط لأي شيء آخر».

شعرت كلويه أن قلبها يكاد يقفز من صدرها: «أنا حقاً أحبك!».

عانقها قبل أن يقول: «إذن، كلويه فوكس هاملتون، هل تمنحينني شرف أن تصبحي زوجتي؟».

ارتمت بين ذراعيه ما جعلها تسمع دقات قلبه المتسارعة وهو ينتظر جوابها. فأجابته بعطف: «يسرني ذلك فيرغوس».

حملها فيرغوس بين ذراعيه وسار بها إلى زاوية الحديقة حيث المقعد الخشبي. أجلسها على المقعد وعانقها عناقاً حاراً.

كل الألم وسوء التفاهم والحزن التي شعرت بها في الأسابيع الماضية تبدّدت مع هذا العناق الصادق. وعندما افترقا لينظر كل منهما بشغف إلى الآخر، بدا وجهاهما متوهجين وعيونهما تلتمعان ببريق الحب.

رفع فيرغوس يده ليلامس خدّها المتورّد، وهمس بصوت أجش: «أكاد لا أصدق أنك ستصبحين زوجتي».

ابتسمت كلويه بشيء من الخجل وهي لا تزال مبهورة بالحب الذي جمعهما: «منذ أسابيع، كان الزواج آخر ما قد تفكر فيه».

لقد حصل كل شيء بسرعة. مشاعر الحب فاجأتهما. أما الآن وقد عرفا أنهما يحبان بعضهما بعضاً، بدت كلويه واثقة من أنها لا تريد أن تعيش من دون فيرغوس وتمنت أن يساوره الشعور نفسه.

عانقها فيرغوس بقوة قائلاً: «سأكون صادقاً معك، وأنا أنوي أن أبقى كذلك في المستقبل. أظن أن فكرة الزواج بدأت تراودني منذ استيقظت يوم الأحد ورأيتك تقفين بجانب سريري. كما أنني لم أتعمد أبداً تجنب الزواج. لكنني لم أكن قد التقيت بعد المرأة المناسبة.. المرأة التي أشعر أنني لا أستطيع العيش من دونها».

تأوهت كلويه بلهفة وهي تضع رأسها على كتفه الدافىء وقالت: «آه فيرغوس.. هذا بالضبط ما أردت سماعه!».

ضمّها فيرغوس إليه قائلاً: «أنا أحبك كثيراً، وأنوي إخبارك ذلك كل يوم من حياتنا معاً».

لم تكن كلويه تعرف أن هذا المقدار من السعادة موجود على الأرض حتى هذه

اللحظة. ففي هذه اللحظة، أدركت لما كافح والداها وبيني ودايفيد بقوة للحفاظ على زواجهم، فالتخلي عن شخص يحبك بهذه القوة ليس أمراً سهلاً.

نظر إليها فيرغوس وقال يغيظها: «متى تودين أن ننتقل إلى باريس؟».

اتسعت عيناها للمفاجأة: «نحن؟ لكن..».

رفع حاجبيه الداكنين: «لن أتركك تذهبين من دوني، ألا تعلمين ذلك؟».

ثم هزّ رأسه بحزم: «كل أولئك الباريسيين الرومنسيين سيحاولون التودد إليك.. لا، لن أدعك وحدك. كما أني كاتب، ويمكنني أن أكتب رواياتي أينما كنت. وباريس تبدو لي مكاناً مناسباً».

لم تصدق كلويه أنه سيفعل ذلك من أجلها: «سأسافر على الأرجح لبضعة شهور فقط».

أومأ فيرغوس برضى: «سوف نجعله شهر عسل طويل. لا أستطيع الانتظار!».

ثم أضاف ممازحاً: «بعد الجهود الجبارة التي بذلها جدي، يبدو لي أننا يجب أن نسمي طفلنا الأول على اسمه».

وعبس قائلاً: «هيوغ ماكلاود».

راحت كلويه تقهقه بسعادة: «فلنأمل أن تكون فتاة».

لا تبالي ما سيكون اسم طفلهما الأول، يكفيها أن هذا الطفل ثمرة حبهما الكبير.

استعاد فيرغوس ملامحه الجدية ليقول: «أريد أن نتزوج قريباً».

وألحّ قائلاً بصوت أجش: «قريباً جداً».

أجابته بلهفة: «نعم، أرجوك».

ابتسم لها ابتسامة دافئة وقال مداعباً: «ألا تظنين أن علينا أن نعود الآن إلى الداخل ونضع حداً للتعاسة التي يشعر بها الآخرون؟».

قالت باختصار: «أظن أنهم شعروا بما يكفي من التعاسة في الأسابيع الماضية».

قرر فيرغوس بلهجة حاسمة: «حان الوقت لإقامة احتفال».

ووقف كلاهما فيما ظل فيرغوس ممسكاً بيدها معلناً برضى: «لندخل ونجعلهم يشاركوننا الاحتفال بالمناسبة.. سوف ندعوهم جميعاً إلى زفافنا».

وافقته كلويه والسعادة تغمرها.

***

١٥ ـ الخاتمة

ـ فيرغوس. أليس ذلك رائعاً؟

أعلنت كلويه هذا بسعادة وهي تقف إلى جانبه، ثم أضافت بانفعال: «أنا سعيدة إلى درجة تجعلني أرغب في البكاء».

أجابها فيرغوس بتساهل: «إنه تأثير الهورمونات عزيزتي».

فهو يعلم أن كلويه أصبحت شديدة التأثر خلال فترة حملها، وها قد مضى شهران على حملها. لكن هذا اليوم بالذات هو يوم مميز لهم جميعاً، لا سيما بالنسبة إلى والد كلويه. فبالأمس، حقق حزبه السياسي فوزاً كاسحاً في الانتخابات العامة، واليوم كلفه بيتر آمبروس بمهام وزير العلاقات الخارجية.

لقد بدأت الاحتفالات في منزل والدي كلويه منذ ساعتين، ويبدو أنها ستستمر طيلة الليل. أفراد الأسرة كلهم مجتمعون، بمن فيهم فيرغوس وغيره من رجال السياسة والأعمال.

مضى على زواج فيرغوس وكلويه ستة أشهر، وقد عادا من باريس الشهر الماضي بعد أن قدمت كلويه عرضاً ناجحاً للأزياء هناك.

كانت هذه الأشهر الستة أكثر الأشهر سعادة في حياتهما. وقد تأكدا صباح اليوم من أن كلويه حامل فغمرتهما السعادة أكثر فأكثر.

قال فيرغوس بصوت أجش: «أحبك، كلويه».

ردت عليه بنبرة ملؤها العاطفة: «وأنا أحبك أيضاً».

هذا كل ما يريده فيرغوس، بل كل ما أراده طيلة حياته.

نظرت كلويه بحماسة إلى زوجها: «متى نزف إليهم هذا الخبر السعيد؟».

www.elromancia.com

حبست أنفاسها في صدرها وهي تشعر بالسعادة لوجوده إلى جانبها. أجابها فيرغوس بتسامح: «حين تشائين. من جهتي، أود أن أصرخ بصوت عالٍ معلناً هذا الخبر للعالم أجمع!».

هذا ما تشعر به كلويه تماماً. لم تنسَ بعد ذهولها وسعادتها لأن هذا الرجل الرائع يحبها بعمق كما تحبه هي. نظرت بلهفة إلى لوغان ودارسي وهما يناغيان طفلهما الصغير، دانيال هيوغ، وهمست بصوت خفيض: «لم نعد مضطرين لأن ندعوه هيوغ».

ردّ فيرغوس محاولاً إغاظتها: «قد يكون بتاً وليس صبياً، لكني أعرف ماذا تقصدين».

هذا الانسجام والتفاهم بينهما رائع. وكأن كل منهما متناغم تماماً مع مشاعر الآخر وأفكاره.

نظرت كلويه من جديد عبر الغرفة، وإذا بها ترى برايس يقف وحيداً قرب إحدى النوافذ وهو يراقب الاحتفالات بعينين خضراوين شاردتين. فهمست: «مسكين برايس».

ثم تابعت تقول: «إنه يحتاج إلى امرأة تملأ حياته، هو أيضاً».

ضحك فيرغوس ضحكة خافتة وهز رأسه هازئاً: «برايس قادر تماماً على إيجاد المرأة المناسبة بنفسه إذا ما رغب في ذلك».

برّرت كلامها قائلة: «لعله لا يعرف أنه بحاجة إلى امرأة».

ضحك فيرغوس برقة وضمّها بين ذراعيه قائلاً: «لا تشغلي بالك بما يحتاجه برايس، بل أخبريني متى يمكننا أن نغادر هذا المكان؟».

والتمعت عيناه: «أشعر بحاجة ملحّة للانفراد بزوجتي».

كانت كلويه تشعر بالرغبة نفسها نحوه، فبعد ستة أشهر من الزواج لا تزال الرغبة تتأجج بينهما، وهي تعلم أنها وفيرغوس لن يكفا عن حب بعضهما البعض أبداً.

***